3

رَوضَةُ المُبَلِّغِينَ

كتاب دوري يتضمن مقالات تخصصية للمبلّغين

2013 م

المركز الإسلامي للتبليغ

شبكة المعارف الإسلامية
www.almaaref.org

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

روضة المبلّغين
٢٠١٣م

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العام
هاتف: ٤٧١٠٧٠/ ٠١ - ص- ب: ٥٣/ ٣٢٧٠٢٤/ ٢٥

www. almaaref.org
email: info@almaaref.org

الكتاب:	روضة المبلّغين (٣) - ٢٠١٣م
تأليف:	المركز الإسلامي للتبليغ
نشر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الإصدار الأول:	٢٠١٣ م - ١٤٣٥هـ

روضة المبلّغين

إصدار دوري يتضمن دراسات تبليغية تخصصيّة

٣

المركز الإسلامي للتبليغ
www.almenbar.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدمة ١١

عزيزي المبلّغ ١٢

التبليغ في كلام الإمام الخامنئي دام ظله ١٣

التبليغ والثورة ١٥

العلماء قادة الإصلاح ١٦

العلماء الحقيقيون ضرورة لحفظ الدين ١٦

مؤثرية وجود العلماء في الجبهة ١٦

العلماء ركن في التحولات الاجتماعية والدينية والسياسية ١٧

العلماء مدعاة للإحساس بالتكليف ١٧

مؤثرية العلماء في جميع طبقات المجتمع ١٨

كرامة العلماء السلف ذخيرة لا تنفذ ١٨

محبة العلماء متجذرة بالتربية من جيل إلى جيل ١٩

الإمام الخميني قدس سره أوضح قدرة العلماء في مواجهة الظلم ١٩

التبليغ ونداء الإمام ٢٠

الباب الأول: ثقافة تبليغية ٢١

القرآن والتبليغ ٢٣

دائرة التبليغ ٢٣
ثواب التبليغ ٢٤
زمان التبليغ ومكانُه ٢٤
أدوات التبليغ ٢٥
آداب القلم والكلام ٢٥
صفات المبلّغ ٢٧
أساليب التبليغ ٢٩
وظائف المبلّغ ٣٢
المبلّغون والآفات الثقافيّة ٣٥
أنواع الغفلة ٣٥
أبعاد الهداية ٣٧
ضرورة المحاسبة والتخطيط ٣٨
الخصائص الشخصيّة لمبلّغي الدين ٤١
تمهيد ٤١
أركان التبليغ ٤١
ثلاث خطوات مهمَّة في التبليغ المؤثّر ٤٩
قاعدة التحريك والتشجيع ٥١
تحذيرات ٥٥
الباب الثاني: مهارات تبليغية ٦٥
ثقافة التبليغ (١) ٦٧
مقدّمة ٦٧

مضمون التبليغ ٦٧
أدوات وأساليب التبليغ ٦٩
آفات التبليغ ٧١
المبلّغ وما ينبغي له ٧٥
تنظيم الخطاب ٧٧
المراثي في التبليغ ٧٨
المستمع والمخاطب ٧٩
معرفة إجماليّة بأعمار المخاطبين ٨٠
ثقافة التبليغ(٢) ٨٥
مقدّمة ٨٥
المبلّغ وأساليب توضيح العقائد ٨٥
أساليب توضيح العقائد ٨٦
أسلوب المشاركة في البحث ومراحله ٩١
أسلوب السؤال والتشجيع ومراحله ٩٢
المبلّغ وتوضيح الأخلاق ٩٣
المبلّغ وتوضيح المسائل السياسيّة ٩٣
زمان التبليغ ٩٤
لباس المبلّغ ٩٤
المبلّغ ومكان السكن ٩٤
المبلّغ والمسائل الماليّة ٩٥
المبلغ والمسجد ٩٦
أسرار الموفقيّة من وجهة نظر الإمام عليّ عليه السلام (١) ٩٩

مقدّمة ٩٩

أسرار الموفقيّة من وجهة نظر الإمام عليّ عليه السلام (٢) ١٠٥

من نشاور؟ ١١٠

أسرار موفقية المبلغ من وجهة نظر نهج البلاغة (١) ١١٣

مقدمة ١١٣

أسرار موفقيّة المبلّغ من وجهة نظر نهج البلاغة (٢) ١٢١

الباب الثالث: ملف العدد ١٣٣

مبادئ الدين المعرفيّة ١٣٦

جواب عن توهّم ١٤٢

المقصود من الدين ١٤٤

معنى الجامعيّة ١٤٦

النسبة بين الدين والدنيا ١٥٢

الهدف الأساس للدين ١٥٣

الحكومة والديانة ١٥٤

الإمامة والقيادة، السمة الدينيّة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ١٥٧

وجوب اتّباع المؤمنين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام ١٦٠

البناء الطبيعيّ للدين ١٦١

تعيين الخليفة ١٦٢

تشريع الإسلام يحتاج إلى منفّذ ١٦٣

خلود ودوام الإمامة ١٦٦

الأسلوب العقلي ١٦٨

الأسلوب النقليّ..... ١٦٩
الباب الرابع: منوعات من الثقافة ١٧١
استنساخ الإنسان، النتائج وردود الأفعال ١٧٣
الوحدة قمّة العزّة والشموخ..... ١٨٥
ضرورة الوحدة والتفاهم والإعداد للتأليف بين القلوب ١٨٥
الاعتصام بحبل الله..... ١٨٦
عوامل الوحدة ١٨٩
مظاهر الهداية في سيرة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وكلامه (١) ...١٩٣
تمهيد ١٩٣
مظاهر الهداية في سيرة الإمام العسكريّ عليه السلام وكلامه..... ١٩٤
موقع الفكر والعمل في كلام الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام (٢) ٢٠١
موقع الفكر والعمل في الثقافة الإسلاميّة..... ٢٠١
منشور الجيل الشابّ في سيرة الإمام الصادق عليه السلام ٢٠٩
العلاقة بالجيل الشابّ..... ٢٠٩
الباب الخامس: أسرة وتربية ٢٢١
التربية في سيرة وكلام الإمام المجتبى عليه السلام ٢٢٣
مقدمة..... ٢٢٣
ضرورة التربية ٢٢٣
دور الوالد الصالح..... ٢٢٤
تأثير الأمّ الصالحة..... ٢٢٥
عاملان مهمّان في التربية الفعّالة (١)..... ٢٣١

التشجيع عامل فعّال ٢٣١
أنواع التشجيع ٢٣٣
قانون التشجيع ٢٣٤
الكلام الأخير ٢٣٧
عاملان مهمّان في التربية الفعالة (٢) ٢٣٩
التنبيه أسلوب مهمّ وعامل مؤثّر ٢٣٩
أنواع التنبيه ٢٣٩
ماذا نختار، التشجيع أم التنبيه؟ ٢٤٠
التنبيه العاطفي ٢٤١
التنبيه الخطير ٢٤١
التنبيه البدني ٢٤٢
الباب السادس: من بيوت الوحي ٢٤٥
تقرير عن منزل السيّدة الزهراء عليها السلام ٢٤٧
خصائص منزل السيّدة فاطمة عليها السلام ٢٤٧
رؤية أخرى ٢٥٣
مصير بيت فاطمة عليها السلام ٢٥٥
الباب السابع: مع القضية المهدوية ٢٥٧
أفضل العلماء في عصر الغيبة ٢٥٩
دعوة الناس إلى الإمام عجل الله فرجه الشريف ٢٦٠

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا...﴾

عزيزي المبلِّغ الموقر...

أحببنا أن تبدأ مقدمة هذا الكتاب بهذا الجزء من الآية الكريمة... ذلك أننا نعتبر أنّ أول الخطى في الحياة بعد العلم... هو العمل... فأن يعمل الإنسان بعد علمه هو المقدمة والمرحلة الأولى سواء أخلص أم لم يخلص...

والأمر الثاني الذي أكملت به الآية الشريفة هو ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التي تعني فيما تعنيه أنّ العمل هو في محضر الله وتحت نظره ونظر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام فلا ينشغلّن بال العاملين في خط الرسالة لأن عاقبة العمل والجد والاجتهاد أنه مرئي وملحوظ وبالنتيجة مقدَّر من قبل الله تعالى...

ولا شك أنَّ أفضل المهام التي يفترض أن تشملها الآية هو المهام الرسالية وعلى رأسها مهمة التبليغ...

وعلى ضوء الآية الآنفة الذكر فإنّ الأساس في المبلغ ورسالته أن يعمل في ميادين الحياة في ايصال الإسلام إلى الناس، لا أن يستغرق في التنظير...

وإن أي تنظير لا سيما في ما خص التبليغ والمبلغين يفترض أن يتحول في النهاية إلى عمل تبليغي، أو منشط للعمل التبليغي، أو مقوٍ لعزائم المبلغين... الخ.

عزيزي المبلّغ

لقد كان الهدف من سلسلة الكتب المجعولة تحت عنوان «روضة المبلغين» والذي بين يديك هو الإصدار الثالث منها، هو ما له أبعاد عملية، لذلك اشتملت هذه الإصدارات الثلاث على ما له علاقة بتنمية المهارات التبليغية، وتطويرها، وتصويب وتنظيم الأعمال التبليغية، إضافة إلى ما يشكل أسوة وقدوة في مجالات التبليغ والتربية... ولم يشذ هذا الإصدار الذي بين يديك عزيزي المبلغ عسى أن يتمتع من الله بالنظر واللحاظ ومنكم بالرضا والقبول...

على أن نطمح إلى ما هو أزيد من افادتكم، وهو أن نستفيد منكم، بأن لا تبخلوا علينا في المركز الإسلامي للتبليغ باقتراحاتكم وملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من الأنشطة...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التبليغ في كلام
الإمام الخامنئي دام ظله

التبليغ والثورة

تمهيد

إن ما حصل طوال سنوات النهضة الإسلامية في إيران لا نظير له إطلاقاً في تاريخنا، حيث أن تيار النهضة الإسلامية قد أوجد شبكة واسعة من العمل الجهادي - لحياة الشعب من خلال الخطب والكلمات والدروس الإسلامية العلنية والسرية، وإعداد ونشر البيانات والكراسات والنشاطات التعليمية والتربوية وفقاً لتعاليم الإسلام، وحتى المسيرات والتظاهرات والاجتماعات الدينية والجماهيرية الحاشدة وتنظيم المجاميع الجهادية وما إلى ذلك من أنواع التضحيات المدهشة التي أصبحت مضرباً للأمثال، وترتبط بأجمعها بالقلب النابض لهذه النهضة الجماهيرية، وتحظى بتوجيهات وقيادة تلك الروح العظيمة والإيمان الخالص والعقل المفكر - للإمام الخميني قدس سره - ومع انتصار الثورة الإسلامية وقيام الجمهورية الإسلامية، وقع حدثان عظيمان متزامنان في كل أنحاء العالم هما: الأمر الأول وجود تيار الثناء والأمل والعبرة التي استقتها الشعوب المستضعفة الرازحة تحت نير الظلم وخاصة في البلدان الإسلامية، وكذلك المسلمون في مختلف الأرجاء، وكل أحرار العالم. الأمر الثاني: وجود تيار القلق والتآمر والعداء من قبل الدول المستكبرة والصهاينة والرأسماليين الناهبين لثروات الشعوب، وعملائهم في بعض البلدان الأخرى.. ولكن الثورة لم تتوقف قط، ولم تبد أي تراخ في السير باتجاه بناء بلد عامر حر مستقل يتمتع بالعزة والتقدم المادي والمعنوي تحت لواء الإسلام.

العلماء قادة الإصلاح:

إن كل حركة إصلاحية وكل كفاح اجتماعي وسياسي وكل تحول عظيم حدث في إيران، فإما قاده العلماء أو كانوا ضمن قيادته. وهذا ثابت في التاريخ رغم محاولات أعداء العلماء طوال (٥٠ - ٦٠) عاماً الماضية إنكار هذه الحقيقة. فأول صوت للمشروطة خرج من حنجرة كبار العلماء، كذلك في قضية «التنباك» والامتيازات في عهد ناصر الدين شاه، وقضية تأميم النفط، وفي قضايا الكفاح ضد الظام البلهوي والتي أدت إلى النهضة الإسلامية العظيمة وإقامة الحكومة الإسلامية. وهذه حقيقة يدركها العدو جيداً..[١]

العلماء الحقيقيون ضرورة لحفظ الدين:

المؤسسة العلمائية بحاجة إلى إصلاحات مستمرة، لقد قال إمامنا العظيم يوماً ما شيئاً حول ضرورة تواجد العلماء في الساحة، وكذلك في هجومه على الذين همُّوا بالقضاء على العلماء أوائل الثورة، ثم قال في أثناء حديثه ما مضمونه: «إنه لظلم وزور في إطلاق لفظة (عالم) على البعض حقيقة» ثم قرأ شطراً من بيت شعر «وكم فرقة تستوجب النيران»، والحقيقة هي كذلك، فهناك عالم بالدين وهناك المتظاهر بالعلم، لكن وجود العلماء ضروري ولازم، ولزومه لأجل حفظ الدين والإيمان في المجتمع...[٢]

مؤثرية وجود العلماء في الجبهة:

إن بإمكان العلماء أن يحلّوا المشاكل والعقد الدقيقة في الأوقات الضرورية والظروف الحساسة. فقد رأيتم أثناء الحرب مدى تأثير تواجد عالم الدين أو

(١) العلماء حصون الأمّة ١٥ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ.

(٢) العلماء حصون الأمّة ١٥ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ.

طالب العلم في الجبهة. يأتي إلينا القائلون في تلك الأيام، يعاتبوننا ، لماذا لا يوجد عالم في منطقة من الجبهة، أو يثنون إن تواجد العلماء هناك. فليس بالأمر السيء أن يجعل الإنسان نفسه وشغله وحياته وكل ما يملكه وقفاً لتبيين الدين ونشر المعارف الإسلامية وبث الروح الإيجابية، بل هو أمر حسن فلماذا لا يدرك البعض هذه الحقيقة؟![1]

العلماء ركن في التحولات الاجتماعية والدينية والسياسية:

أود أن أطرح مسالة لها علاقة بالعلماء بمختلف طبقاتهم ومرابتهم، وهي أن العلماء في بلدنا ومنذ عدة قرون على الأقل كانوا سبباً لتحولات اجتماعية ودينية وسياسية، مهمة أو كان لهم دورهم في هذه التحولات، بسبب وضعهم الخاص وعلاقاتهم بالناس، والاعتقاد الذي كان لدى الناس تجاه العلماء كما حصل في قضية المشروطة (الدستورية)، أو تأميم الصناعة النفطية، والأوضح من كل ذلك في انتصار الثورة الإسلامية وانتشارها ليس الطلاب الشباب والمتحمسين هم الذين أثرّوا لوحدهم في المجتمع قبل النصر. إن جميع السادة المتصدين لهذه الأمور يعرفون أن مشاركة العلماء من أهل المكانة الاجتماعية والشيوخ المحترمين من أهل العلم الذين يحترمهم الناس، وإن لم تكن لهم خلفية في الثورة، ولم يدخلوا السجن ولم يكافحوا ولم يصدروا بيانات، عندما قرروا في السنة الأخيرة والشهور الأخيرة دخول الساحة ودخلوها، كان لمشاركتهم تأثير كبير في دفع طبقات الشعب في المسيرات.[2]

العلماء مدعاة للإحساس بالتكليف:

إن شعور المرأة بالتكليف داخل المنزل، وشعور الشيوخ والذين لم تكن لديهم

(١) العلماء حصون الأمّة ١٥ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ.

(٢) مسؤولية العلماء والمبلّغين ٢٢ شعبان ١٤١٣ هـ.

خلفية ثورية بالتكليف، والشعور بالتكليف في المدن والقرى، وثورة الشعب بصورة مفاجئة، كانت بفعل المشاركة الشاملة لعلماء الدين كبيرهم وصغيرهم، شيوخهم وشبابهم، وفقهائهم الطاعنين في السن، ووعاظهم المتحمسين. فدخول هؤلاء الساحة يتبعه دخول جميع طبقات الشعب، كان الحال هكذا في إيران ولعله في بعض الدول الإسلامية أيضاً في القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة، ولعله كان مختلفاً قبل ذلك ولا نريد أن نحكم على المناطق التي ليس لدينا اطلاع صحيح عليها، أما في بلدنا فقد كان هكذا.[1]

مؤثرية العلماء في جميع طبقات المجتمع

لو لم يكن للعلماء – وجود – لكان من الممكن أن تدخل طبقة من الشعب الساحة وتصمم فئة من المجتمع على الثورة، ولكن قمع وترويض فئة ما ليس أمراً صعباً. أما الشيء الذي لا يمكن القضاء عليه ولا يمكن سد طريق النصر عليه، فهوعامة الشعب. وإذا أرادت طبقات المجتمع كلها أن تتواجد في مكان ما، فيجب أن يكون العلماء هناك، وإذا تواجد علماء الدين في مكان ما فمعنى هذا أن جميع طبقات الشعب والأكثرية الساحقة للشعب ستتواجد هناك، وهذه هي طبيعة بلدنا. وهو أمرقد ثبت خلال قرون طويلة. فما هي علة هذا؟ إن العلة هي وضع العلماء..[2]

كرامة العلماء السلف ذخيرة لا تنفذ:

لقد قلت مراراً إن علينا أن لا نتصور أن كرامة الجيل الحالي من العلماء، قد أدى إلى توجه الشعب نحو هذه الثورة، كلا، فهذا خطأ، حيث إنَّ كرامة العلماء منذ ألف سنة والتي كانت ذخيرة لا تنفذ، قد أدت إلى هذا النصر وهذا النجاح. إن هذه الكرامة التي عمرها ألف سنة هي نتيجة قرون طويلة من علم وتقوى العلماء

(١) مسؤولية العلماء والمبلّغين ٢٢ شعبان ١٤١٣ هـ.

(٢) مسؤولية العلماء والمبلّغين ٢٢ شعبان ١٤١٣ هـ.

الكبار، أي أن العلامة الحليّ له دور في ذلك والمحقق والمجلسي والشهيدين والشيخ الطوسي والسيد المرتضى والشيخ الأنصاري كلٌ له دور، والعلماء الكبار في النجف لقرون طويلة لهم دور، وعلماء قم لهم دور والمرحوم الحاج الشيخ (آية الله العظمى عبد الكريم الحائري) له دور والمرحوم السيد البروجردي له دور. أي أن آلاف الناس الممتازين قد أمضوا أعماراً في الطهارة والتقوى وأنشأوا مؤسسات علمية رفيعة المستوى وكتبوا مؤلفات علمية حتى أعتقد المجتمع والشعب تدريجياً بالعلماء بصورة جذرية....[1]

محبة العلماء متجذرة بالتربية من جيل إلى جيل:

عندما تصبح المحبة متجذرة فإنها تورّث، كالخصال الإنسانية وتنتقل من جيل إلى جيل آخر كما هي محبة الحسين بن علي عليه السلام، أو محبة أهل البيت عليهم السلام فهذه الأمور لا تكون لدى جيل من الأجيال، فيأتي جيل آخر ويحاول تعلمها، كلا، فهي لا تأتي عن طريق التعليم بل يورّثها جيل إلى جيل آخر، فهي تنتقل عن طريق تربية الآباء، وتربية الأمهات، ودلال المربين، وفي مناغاة المرضعات للأطفال، وبهذا المعنى تتجذر مسألة ما، وقد كان ولا زال الاعتقاد بالعلماء متجذراً في مجتمعنا.[2]

الإمام الخميني قدس سره أوضح قدرة العلماء في مواجهة الظلم:

إن على هذه الطبقة أن تفكر بنفسها، وتفكر بتلك الذخيرة وتلك الكرامة، وطبيعي أنه بالإمكان زيادة تلك الكرامة، كما عمل إمامنا الكبير الذي أضاف على تلك الكرامة للعلماء التي عمرها ألف سنة، وعزز من كرامة العلماء من زمن الشيخ المفيد حتى اليوم، ورفعها وأوضح قدرة العلماء في مواجهة

(١) مسؤولية العلماء والمبلّغين ٢٢ شعبان ١٤١٣ هـ.

(٢) مسؤولية العلماء والمبلّغين ٢٢ شعبان ١٤١٣ هـ.

السيئات والظلم والجور. فأوضح كيف يمكن للعالم أن يكون وارثاً لموسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام والنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم. أفٍ للذين لا يعرفون قيمة الدور الرفيع لهذا الرجل الكبير ويتصورون أنهم مخلصون للعلماء أو محبون لهم، أفٍ لجهالتهم ولفعلتهم وكيف أنهم لا يعرفون ولا يفهمون التقييم الصحيح.[1]

التبليغ ونداء الإمام:

عندما أطلق الإمام تصريحاته في عامي (٧٧ و١٩٧٨) ودعا الناس إلى الثورة الشاملة، لم تبقَ مدينة ولا قرية في كل البلاد إلا ولبّت نداءه وهنا يُطرح السؤال: كيف استجابت القرى والمدن النائية لنداء الإمام؟ والتي ربما لم يسمع بعضها آنذاك باسم الإمام، أو لم تكن لديها معلومات واضحة عنه، ومن ثم لا يمكنها إدراك نداءاته؟ اعلموا أن السر يكمن في وجودكم... فكل فرد منكم توجّه وبكل تواضع إلى نقطة من نقاط البلاد أو قرية منها لا يزيد أحياناً عدد أسرها عن الخمسين أو الستين حيث عايش الناس على الطبيعة لمدة عشرة أيام أو عشرين يوماً أو شهرٍ وتحدّث إليهم مباشرة... فتهيأت أذهان الناس في البلاد كافة ببركة هذه العمامة التي يلبسها الشباب المتواضعون القنوعون الذين يبلّغون العلوم الإسلامية[2].

(١) مسؤولية العلماء والمبلّغين ٢٢ شعبان ١٤١٣ هـ.

(٢) خطاب القائد ـ ألقي في ١٣٧٣/١١/٥هـ.ش.

الباب الأول

ثقافة تبليغية

القرآن والتبليغ

الشيخ محسن قراءتي

إشارة

المقال الذي بين أيدينا، خلاصة كتاب «القرآن والتبليغ» لمؤلفه حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محسن قراءتي. وقد تمّ خلاصة أهمّ مطالب الكتاب مع بعض التغيير الطفيف. سنشير في المقال إلى موقع التبليغ، آداب التبليغ، صفات المبلغ، أساليب التبليغ ووظائف المبلّغ.

دائرة التبليغ

يجب الشروع في التبليغ من النفس ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾[١]. ثم ينتقل التبليغ إلى العائلة ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾[٢] وفي المرحلة الثالثة يرتفع التبليغ ليصل إلى الأقارب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٣] وفي النهاية يجب أن يصل التبليغ إلى أهل المدينة ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٤].

(١) سورة المدثر، الآيات: ٣ـ٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٢.

ضرورة التبليغ

١- يمكن ومن خلال التبليغ إبطال مؤامرات الشياطين وأصحاب الجشع والطمع.

٢- التبليغ جزء من مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١].

٣- عدم الاهتمام والالتفات إلى مسألة التبليغ يؤدي إلى الغضب الإلهيّ. ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[٢].

ثواب التبليغ

٤- ثواب التبليغ أكبر من الدنيا وممّا يتعلّق بها. يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**لئن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من الدنيا وما فيها**»[٣].

٥- استغفار كافّة الموجودات: يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**معلّم الخير تستغفر له دوابُّ الأرض وحيتان البحر وكلّ صغير وكبير في أرض الله وسمائه**»[٤].

٦- ثواب عتق رقبة: يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**وادع الناس إلى الإسلام واعلم أنّ لك بكلّ من أجابك عتق رقبة من وُلد يعقوب**»[٥].

زمان التبليغ ومكانُه

٧- المسجد هو أفضل أماكن التبليغ. يخاطب الإمام الصادق عليه السلام أبان بن

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ ـ ٧٩.
(٣) بحار الأنوار، ج١، ص١٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧.
(٥) وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٩٨.

تغلب: «اجلس في المسجد وافت الناس»[١].

٨- يجب أن يقوم الشخص بالتبليغ في الزمان المناسب له وإلّا فلن يصل إلى نتيجة مطلوبة. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «مُجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه».

أدوات التبليغ

٩- يجب إقامة علاقة مع المخاطب إذا أردنا إيصال خطابنا إليه ولعلّ أفضل وسيلة الخطاب «القلم»: و«الكلام». ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[٢].

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة وُزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»[٣].

آداب القلم والكلام

١٠- بما أنّ الله هو المؤثّر الحقيقي، لذلك يجب شروع الكلام باسمه. ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[٤].

١١- كل كلام لا يبدأ باسم الله فهو ناقص. يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كلّ أمر ذي بال لم يُبدأ فيه باسم الله فهو أبتر»[٥].

١٢- كلام الإنسان لا يخلو من الخطأ عادة إلّا إذا كان متّصلاً بالوحي.

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٦].

---

(١) منتهى الآمال، ج٢، ص١٦٦.
(٢) سورة القلم، الآية: ١.
(٣) بحار الأنوار، ج٢، ص١٦.
(٤) سورة العلق، الآية: ١.
(٥) تفسير الميزان، ج١، ص١٦.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٤٣.

وكلام المبلّغ يجب أن يكون:

١٣- كلام حقّ، لأنّ الدين نزل بالحقّ. سُئل الإمام زين العابدين عليه السلام عن شرائع الدين فأجاب: «**قول الحقّ والحكم بالعدل والوفاء بالعهد**»(١).

١٤- الطاهر والطيّب ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾(٢).

١٥- الهادي الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾(٣).

١٦- المنطقيّ والبرهانيّ: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(٤).

١٧- المحسوب بشكل جيّد. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾(٥).

١٨- الذي يكون في سبيل رشد المخاطب وكماله وتعاليه. ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾(٦).

١٩- الممزوج بالبشارة والتشجيع. ويمكن ملاحظة نموذج عن البشارة في الآية الآتية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾(٧).

٢٠- المترافق مع الموعظة والتحذير. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾(٨).

---

(١) ميزان الحكمة، ج٥، ص٥٠.
(٢) سورة الحج، الآية: ٢٤.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١.
(٤) سورة النمل، الآية: ٦٤.
(٥) سورة الكهف، الآية: ١.
(٦) سورة الجن، الآية: ٢.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٤.

٢١- المناسب لمقتضى حال المخاطب. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**»(١).

٢٢- البليغ والمتين: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾(٢).

٢٣- الهادئ واللّين. ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾(٣).

٢٤- المفيد والمختصر قال عليه السلام: «**من محا طرائف حكمته بفضول كلامه فكأنّما أعان هواه على هدم عقله**»(٤).

صفات المبلّغ

يكون مبلّغ الدين موفّقاً في عمله إذا كان يمتلك الصفات الآتية:

٢٥- المعرفة الكاملة بالموضوع. ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾(٥).

٢٦- الإيمان بهدفه كما كان الخضر عليه السلام. ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾(٦).

٢٧- تعليم النفس قبل تعليم الآخرين ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾(٧).

٢٨- الإخلاص في التبليغ. ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٨).

---

(١) ترجمة أصول الكافي، ج١، ص٢٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٣.
(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.
(٤) أصول الكافي، ج١، ص١٧.
(٥) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٧٧.
(٧) سورة هود، الآية: ٨٨.
(٨) سورة الشعراء، الآية: ١٠٩.

٢٩- الكلام انطلاقاً من العدل ومن دون حبّ وبغض: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[١].

٣٠- امتلاك سعة الصدر. ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢].

٣١- عدم اليأس من الوعود الإلهيّة. ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٣].

٣٢- القاطعيّة والشهامة. ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾[٤].

٣٣- قبول النقد، لأنّ عدم الإصغاء إلى الحقائق من صفات الكفّار. ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[٥].

٣٤- المدافع عن المحرومين ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٦].

٣٥- التوكّل على الله. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٧].

٣٦- المنظّم والدقيق بالوقت. أوصى الإمام عليّ عليه السلام الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام: **«أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم»**[٨].

٣٧- التواضع والعفو. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٩].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٦.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.
(٦) سورة هود، الآية: ٢٩.
(٧) سورة القصص، الآية: ٥٦.
(٨) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الرسالة ٤٧.
(٩) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

٣٨- النظافة والتطيّب. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينفق على الطيب أكثر ممّا ينفق على الطعام**»(١).

٣٩- الليونة والحنان واللُّطف. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾(٢).

٤٠- شعبيّ يعيش آلام الناس. ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٣).

٤١- يستمع إلى كلام الآخرين ولكن لا يُرَتِّب الأثر على كلّ كلام. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

٤٢- ذو سابقة صالحة. ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾(٥).

٤٣- يعيش حياةً بسيطة لا تكلُّفَ فيها. «**كان رسول الله يحب الركوب على الحمار مؤكفاً، والأكل على الحضيض مع العبيد، ومناولة السائل بيديه**»(٦).

أساليب التبليغ

يمكن الاستفادة في تبليغ الدين من أساليب متعددة. ذكر القرآن الكريم الكثير من هذه الأساليب من جملة ذلك:

٤٤- التذكير بالنعم الإلهيّة وبالرحمة الإلهيّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾(٧).

(١) بحار الأنوار، طبعة بيروت (مؤسسة الوفاء)، ج١٦، ص٢٤٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٦١.
(٥) سورة هود، الآية: ٦٢.
(٦) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٣٨.
(٧) سورة فاطر، الآية: ٣.

٤٥- تحريك العواطف. جاء في القرآن الكريم حول تحريك العواطف: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[١].

٤٦- سؤال المخاطب: استفاد القرآن الكريم من هذا الأسلوب مثال ذلك: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[٢]. وجاء في مكان آخر: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[٣].

٤٧- توضيح تاريخ ومصير المتقدّمين. استعان القرآن الكريم بهذا الأسلوب، مثال ذلك: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٤].

٤٨- التحذير والتشجيع: يقول الإمام عليّ عليه السلام في هذا الخصوص: «**ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الاحسان في الاحسان وتدريباً لأهل الاساءة على الاساءة**»[٥].

٤٩- التلقين: لَقَّن القرآن الكريم الناس أنكم إذا آمنتم فأنتم الأعلون. ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٦].

٥٠- التشبيه والتمثيل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٧].

٥١- الاستعانة بالقصص: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[٨].

٥٢- البرهان، الجدل والمناظرة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٩].

٥٣- الحرب الباردة (ايجاد الشك والترديد): كان الكافرون يقولون في مواجهة

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٢) سورة التكوير، الآية: ٢٦.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.
(٥) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الرسالة ٥٣، ص٩٨٨.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.
(٧) سورة الحشر، الآية: ٢١.
(٨) سورة يوسف، الآية: ٣.
(٩) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الرسول ﷺ: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[1]. أمـا جواب القرآن الكريم على هؤلاء: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ...﴾[2].

٥٤- الاستعانة بالفنّ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾[3].

٥٥- المقارنة: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾[4].

٥٦- الإعداد وإيجاد الأرضيّة: يتحدّث القرآن الكريم حول آدم وحوّاء ومنعهما من الاقتراب من الشجرة الفلانية مع أنه سمح لهما الاستفادة من كلّ الثمار والأشجار. ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[5].

٥٧- التعريف بالنماذج الحسنة: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾[6].

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[7].

٥٨- الاستمرار والتكرار: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[8].

٥٩- إقامة التعادل بين الدنيا والآخرة ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[9].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥.
(٢) سورة المدثر، الآيات: ٢٣.
(٣) سورة طه، الآية: ٨٨.
(٤) سورة فاطر، الآيات: ٢١.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩.
(٦) سورة التحريم، الآية: ١١.
(٧) سورة التحريم، الآية: ١٠.
(٨) سورة القصص، الآية: ٥١.
(٩) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

٦٠- الاستعانة بالأسلوب غير المباشر: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[١] أراد الله تعالى أن يفهم أتباع عيسى بشكل غير مباشر أن اعتقادهم بألوهيّة عيسى عليه السلام وأمّه شِرْك.

٦١- الاستعانة بالأسلوب التدريجيّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[٢].

٦٢- الدعوة إلى المشتركات: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٣].

٦٣- السؤال والجواب: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[٤].

وظائف المبلّغ

٦٤- التبليغ العمليّ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[٥].

٦٥- تعليم الناس وتزكيتهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٦].

٦٦- التبليغ للولاية والقيادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[٧].

٦٧- مواجهة الطاغوت: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[٨].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٦.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٦) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٨) سورة طه، الآية: ٢٤.

٦٨- مواجهة الخرافات: يأمر الرسول الأكرم ﷺ معاذاً فيقول له: «**وَأَمِتْ أَمْرَ الجاهلية إلّا ما سُنَّه الإسلام**»[١].

٦٩- احترام الآخرين: يقول الرسول ﷺ: «**أذلُّ الناس من أهان الناس**»[٢].

٧٠- الاهتمام بالجيل الجديد: يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**عليك بالأحداث فإنّهم أسرع إلى كلّ خير**»[٣].

٧١- التعاطي المناسب مع المخالفين: جاء في القرآن الكريم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٤] وتحدّث أيضاً حول كيفيّة التعاطي مع الأقارب المنحرفين: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[٥]. وتحدث أيضاً حول الأتباع الذين أصبحوا في عداد المخالفين: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[٦].

وقد حدد القرآن الكريم كيفية التعاطي مع كلّ مجموعة بما يناسبها.

(١) ترجمة تحف العقول، ص٢٦.
(٢) بحار الأنوار، طبعة المكتبة الإسلامية، ج٧٥، ص١٤٢.
(٣) بحار الأنوار، طبعة بيروت (مؤسسة الوفاء)، ج٢٣، ص٢٣٦.
(٤) سورة الكافرون، الآية: ٦.
(٥) سورة هود، الآية: ٤٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

المبلّغون والآفات الثقافيّة

محمود مهدي بور

إنّ الذي يهدّد الإيمان والمعرفة، والعلم والرؤى، والعواطف والمشاعر الإنسانية الأصيلة، هو الذي يُعتبر من جملة الآفات الثقافيّة أمثال: الغفلة، الجهل، اللغو، النسيان، الغرور، الحيرة، الظلمة والضلال باعتبارها جزءاً من الآفات الثقافيّة. ويقابل هذه العبارات ما يكون معارضاً لها أمثال العلم، الذكر، الموعظة، العبرة، اليقظة، المعرفة، المحاسبة، اليقين، النور والهداية.

إنّ معرفة واحصاء كافّة آفات وأبعاد وآثار وموانع الهداية والمعرفة يحتاج إلى كتاب إذ هو بحث يتجاوز حدود المقال.

أنواع الغفلة

لكلّ واحدة من الآفات الثقافيّة، أنواع وعوامل وعلائم وطرق علاج خاصّة. سنشير في هذا المقال إلى موضوع «**الغفلة الثقافيّة**» وأبعادها المتعدّدة وهي عبارة عن:

- **الغفلة عن الله.**
- **الغفلة عن المعاد.**
- **الغفلة عن الهدف.**

- **الغفلة عن التكليف.**
- **الغفلة عن الأصدقاء ومشاكلهم.**
- **الغفلة عن النِعَم الإلهية الماديّة والمعنويّة.**
- **الغفلة عن الموقع في نظام الخلق.**
- **الغفلة عن حياة أولياء الله وأنبيائه.**
- **الغفلة عن الآيات الإلهيّة.**

إنّ كلّ واحد من الأمور المتقدّمة، هو نوع من الأمراض الثقافيّة. وحذّرت الآيات القرآنيّة وأحاديث المعصومين عليهم السلام بشكل مكرّر من أبعاد مسألة الغفلة المتنوّعة وأوضحت بعض العلاجات للخروج منها أمثال: اليقظة، المعرفة، العلم، النورانيّة. وينبغي على حرّاس الثقافة الإسلامية التعرّف على علائم وعوامل وطرق علاج كلّ واحدة من تلك الأمراض. لا تختصر الآفات الثقافية في القرآن الكريم بالكفر والشرك والنفاق والعصيان. مع العلم أنّ أكبر الأخطار الثقافيّة هو في الانحرافات الفكريّة، إلّا أنّ تفصيل هذه الآفات يحتاج إلى فرصة أكبر إذ إنَّ آثارها وتجلّياتها أكبر من أن تختصر في مقال أو كتاب.

قد تجرّ الغفلة الإنسان إلى حدود الكفر والشِّرك، وبعض درجات الغفلة تُسْقط الإنسان من حيثيّة الإنسانيّة وتجعله في مستوى الحيوانات أو أقلّ من ذلك، نقرأ في سورة الأعراف الآية ١٧٩: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

وتحدّثت بعض الروايات الإسلاميّة حول مقدار خطورة درجات الغفلة المتدنيّة. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**كفى بالرجل غفلة أن يضيِّع عمرَه فيما لا يُنجيه**»[1].

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٢٨٧، الحديث ١٥٢١٢.

ويقـول أيضـاً في حديث آخـر: «كفى بالمـرء غفلـة أن يصرف همتـه فيما لا يعنيه»[1].

إنّ الحوزة الدينية، هي مؤسّسـة مهمّتها حراسـة الثقافـة الإلهيّة للأنبياء وأمّا غفلة الحوزويّين فتؤدّي إلى مضاعفة خطر المهاجمين.

إنّ تكليف الحوزويّين والمبلّغين لا ينحصر في الحفاظ على أنفسهم وعائلاتهم، بل يتعدّى ذلك إلى المجتمع الذي ينبغي الحفاظ عليه وحراسـته من نفوذ الثقافة الغربية وإبعاده عن مرض الغفلة والغرور.

أبعاد الهداية

يحمل المبلّغون بشـكل خاصّ وعلماء الدين بشـكل عامّ على عاتقهم مسـؤولية إرشاد وهداية «الأمّة» في مختلف الأبعاد.

- هداية المجتمع في البعدين الفكريّ والرؤيويّ
- هدايـة الناس فـي الأبعاد السياسـيّة والإدارة الاجتماعيّـة والتعريف بالحقوق والوظائف الأساسيّة والعلاقات المتبادلة بين الدول والأمم.
- هداية الجموع في المجالات الأخلاقيّة والإنسانيّة وآداب المعاشرة الاجتماعيّة.
- هداية الناس في البعد العباديّ والتكامل العرفانيّ.
- هداية الأمّة والدولة في النشاطات التعليميّة والتربويّة.
- هداية الناس على مستوى الاحتياجات الصحيّة والعلاجيّة.
- هداية المجتمع على مستوى معرفة العدوّ ومعرفة كيفيّة التعامل مع الأعداء في

(١) المصدر نفسه، ة الحديث ١٥٢١٣.

الداخل والخارج.

- هداية الأمّة على مستوى معرفة كيفية تأمين الاحتياجات الاقتصاديّة وأساليب الإنتاج والتوزيع والصرف.
- هداية البلد والأمّة في كيفيّة الحفاظ على الحقوق الاجتماعيّة مع الحفاظ على الاستقلال والحريّة.
- قيادة الأمة في تأمين كافّة احتياجاتها الاجتماعيّة والفرديّة، كلّ ذلك يقع تحت مجموعة التكليف الكبير أي الهداية وقيادة الأمّة.

ينبغي لِحراس ثقافة الأنبياء عليهم السلام الاهتمام بكافّة أماكن البلد والتعرّف على الأماكن البعيدة والأماكن الخطيرة والتي يمكن أن توجّه الضربات من خلالها، وبالتالي الحؤول دون نفوذ الشيطان وجنوده إلى قلب وذهن أبناء الإسلام.

من جملة أسباب موفقيّة المبلّغين في رسالتهم أي حراسة الثقافة الإسلاميّة: معرفة الخلل الثقافي، الحاجات الفكريّة، السموم الثقافيّة، الجاذبيّات الثقافيّة، الأدوات واللوازم والبضائع الثقافيّة المعاصرة. وأمّا النهوض بالتبليغ الدينيّ في العالم المعاصر فيتطلّب مقدّمات من أبرزها: معرفة وسائل الإعلام. البرامج التقنيّة، المواقع الثقافيّة للصديق والعدوّ، والتعرف على الوجهة التي تعمل من أجلها المراكز الثقافيّة في الداخل والخارج.

ضرورة المحاسبة والتخطيط

إنّ فرصة أربعين الإمام الحسين عليه السلام، وأوقات الفراغ والعطل بحسب كل مبلغ في بلده، تشكّل كلّ واحدة منها مقدّمة للتغذية الثقافيّة للأمّة الإسلاميّة. من جهة يجب أن ندقّق في صحيفة أعمالنا ونتعرّف على نقاط القوّة ونقاط الضعف التي نمتلكها، ومن جهة أخرى يجب الاهتمام بآفاق المستقبل. فنتطلّع إليه من خلال

التخطيـط. صـحيح أنّ للتخطيط الفرديّ أهميّة خاصّـة، إلاّ أنّ التخطيط للثقافة الإسـلاميّة ومواجهة الأفـكار الالحاديّة والمنحرفة يتطلّب العمـل بعيداً عن البعد الفرديّ أي إلى ما هو ذو علاقة بالمجموع. يحتاج المبلّغون إلى التعاون والتخطيط في ثلاثة مستويات إذا أرادوا الموفّقية في عملهم:

١- التخطيط العامّ وهو أمر يجب أن يضطلع به مسؤولو البلد.

٢- التخطيط الذي يجب أن تقوم به المراكز الثقافيّة والتبليغيّة.

٣- التخطيـط الـذي يجـب أن يقـوم بـه عالـم الديـن والمبلّغـون علـى مستوى نشاطاتهم الشخصيّة.

الخصائص الشخصيّة لمبلّغي الدين

السيّد أحمد خاتمي

تمهيد:

النصّ الذي بين أيدينا، هو خلاصة محاضرة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد أحمد خاتمي أستاذ الحوزة العلميّة في قمّ، في جمع من متعلّمي المجموعة التعليمية المعروفة باسم «تربيت راهنما». نقدّمها للقارئ بعد التلخيص والتصرّف على أمل أن تكون مفيدة للمبلّغين الأعزّاء.

أركان التبليغ

للتبليغ ثلاثة أركان أساسيّة، تقومُ بدورٍ محوريّ في موفّقيّة التبليغ:

الركن الأوّل: المبلّغ وشخصيّته.

الركن الثاني: أسلوب التبليغ.

الركن الثالث: أدوات التبليغ.

لعلّ أفضل نموذج يصلح لتوضيح خصائص المبلّغ، هو سلوك الأنبياء عليهم السلام. إنّ الطريق الذي اختاره مبلّغو الدين، هو استمرار لطريق الأنبياء، لذلك فمن المفيد دراسة خصوصيّات الأنبياء بالأخصّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

١ ـ الاخلاص في التبليغ

يمكن فهم مسألة الإخلاص في التبليغ من الآية الشريفة: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[١]. ويتحدّث الإمام عليّ عليه السلام عن الذين يجعلون علمهم وسيلة رزقهم فيقول: «**المستأكل بدينه حظُّه من دينه ما يأكله**»[٢]. وتؤيّد التجربة هذا الأمر أيضاً. لو شاهد الناس المبلّغَ يتحدث باستمرار عن المال ومتاع الدنيا وعرفوا كم ذاك عزيز لديه، فسيفقد عزّته من وجهة نظرهم ولن يكون لكلامه تأثير فيهم. والتجربة أثبتت أيضاً أنّ الناس يحبّون المبلّغ، القويّ الطبع. هذا أحد جوانب المسألة، والجانب الآخر أنّنا نعتقد أنّ وراء عالم الوجود هذا، قدرة أخرى بيدها كافّة الأمور؛ حيث العزّة والرزق والمحبّة بيده تعالى. يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[٣]. ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[٤].

إذا أردنا أن لا نكون وحيدين في الأزمات، يجب أن نكون مع الله. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[٥]. ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٦]. يجب علينا أن نؤدّي تكليفنا وباقي الأمور بيد الله تعالى.

٢ ـ السلوك الشعبيّ

جاء في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٧].

---

(١) سورة هود: الآية: ٢٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٦٣.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٥) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٦) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

وجاء أيضاً قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[1] وجاء كذلك: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[2] تحكي هذه الآيات الشريفة عن أنّ الأنبياء كانوا سواسية مع الناس. كانوا يعرفون الناس ويدركون ثقافتهم.

أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة عندما قال: «**خالطوا الناس مخالطة إن متُّم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنُّوا إليكم**»[3].

يعتبر آية الله أحمد ميانجي من مصاديق هذه الرواية. ذاك الوجه المحبوب في زمانه. كان آية الله أحمد ميانجي أحد أبرز الوجوه المحبوبة في مجلس خبراء القيادة. كنّا نقول له باعتبار الفاصل العمريّ بيننا وبينه، إنك كنت وما زلت وستبقى أستاذنا الأخلاقيّ، فلو شاهدت منّا عملاً غير مقبول فانصحنا. وعندما توفّي هذا العالم الكبير شُيّع تشييع المراجع.

- ما هو أسلوب الحياة الشعبيّ؟

يظنّ البعض أنّه يصبح شعبيّاً ومع الشعب إذا كان كثير المزاح معهم. وقد أكّدت التجربة أنّ مزاح عالم الدين، يسقطه من أعين الناس.

أمّا حالة العبوسة والاستغراق في الذات فغير مقبولة أيضاً، والمزاح الكثير يذهب بماء الوجه. وإذا كانت بعض الحالات أكّدت على أصل المزاح، إلّا أنّ كثرته مرفوضة وقد نُهينا عنه. جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إيّاكم والمزاح فإنّهُ يذهب بماء الوجه**»[4].

ينبغي الابتعاد عن عرض بعض حالات المزاح الموجودة في داخلنا على

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٤٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٦٧.
(٤) الكافي ٢/٦٦٤.

المجتمع، لأنّ ذلك يؤدّي إلى الذهاب بماء وجه الإنسان. وأنا أعرف العديد من الخطباء البارزين الذين ليس لهم مكانة بسبب مزاحهم الكثير، وهناك الكثيرون ممّن يستحقّون إمامة مسجد، إلّا أنّهم سقطوا من هذا الموقع بسبب المزاح. أن تكون مع الناس وأن تكون شعبيّاً فهذا يتطلّب خصائص كان يمتلكها الرسول ﷺ وهي عبارة عن:

ألف ـ تفقّد أحوال الناس

جاء في حالات الرسول ﷺ أنه: «**كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كان غائباً دعا له وإن كان شاهداً زاره وإن كان مريضاً عادة**»[1]. هذا هو السلوك الشعبيّ. فإذا كنتم كذلك، عندها لن يقول قائل: «**هذا الشخص قد نسينا**»...

ب ـ احترام الناس

احترام الناس يعني عدم توجيه ما يؤدّي إلى تحقير شخصيّتهم، فإذا كنّا نمتلك نقداً عليه، فالأفضل أن نخبره بذلك بشكل خصوصيّ، بالأخصّ إذا كان من الشباب والناشئة. علينا أن لا نخدش أو نحقّر أحداً في تبليغنا، فلكلّ نقطة في البلد حدود معينة علينا الالتفات إليها، كي لا نساهم في عدم احترام الآخرين، وعلينا أن نلتفت إلى مسألة أخرى وهي أن لا نصبح منبراً لأحد فنساهم في تحقّق تطلّعاتهم الشخصيّة على حساب الجمع.

ج ـ التواضع

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2]. خفض الجناح هو التواضع

(١) سنن النبي ﷺ للسيد الطباطبائي.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

التـوأم مع الحنـان؛ فالطائر يفتح جناحيه ليحنو على فراخـه. أراد الله تعالى من الرسول الأكرم ﷺ أن يمتلك هذا النوع من التواضع مع المؤمنين. جاء في أحوال الرسـول ﷺ أنه: «كان يسـلّم على الصـغير والكبير»[1]. كان الرسـول ﷺ يسلّم حتّى على الأطفال. ينقل المرحوم المجلسـيّ في البحار حول الرسول الأكرم ﷺ: **«كانـت الوليـدة من ولائد المدينـة تأخذ بيد رسـول الله ﷺ ولا ينزع منها يده حتّى تذهب به حيث شاءت»**[2].

د ـ معرفة ثقافة الناس

إنّ معرفـة ثقافة المخاطبين وظروف التبليغ الزمانيّة والمكانيّة، من المسـائل المهمَّة في طريقة الحياة مع الناس. يدخل الرسـول الأكرم ﷺ المسـاجد، فيجد الناس قد جلسـوا يقرأون الشعر. جلس واستمع. ضحكوا فضحك. **«ولا يزدجرهم إلا عن حرام»**.

٣ ـ محبة وعشق العمل التبليغيّ

جـاء فـي القـرآن الكريـم: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾[3]. كان الرسول ﷺ يحمل همّ الدين والحقّ ويتألّم عندما يرى أنّ الحقّ غير مقبول. وقد وصـل الأمر إلى مستوى أن خاطب الله تعالى نبيّه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[4]. القـرآن الكريم يخاطب الرسـول ﷺ بأنّك هل ترغب أن تصل إلى حافّة الموت إذا لم يؤمنوا؟

وتحدّث القرآن الكريم حول اهتمام وعشـق الرسـول ﷺ لتبليغ الدين: ﴿لَقَدۡ

(١) مستدرك الوسائل، ج٨، ص٣٦٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٠٦، الباب ١٣٠.
(٣) سور طه، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٦.

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

إذا كان مقرّراً أن تكونوا مبلّغي دين، عليكم أن تشاهدوا حتّى في منامكم ما هو المفيد للمنطقة التي ستبلّغون فيها. هذا هو العشق للعمل، هناك الكثير من أئمّة الجمعة والمبلّغين الذين يردّدون دائماً: لقد تأخّرنا عن الدرس والتحصيل وعلينا الذهاب. هذا الأمر يؤدّي إلى ابتعاد الناس ويأسهم وإلى يأس المبلّغ نفسه.

٤ ـ سعة الصدر والتحمّل

بمجرّد أن أصبح موسى عليه السلام نبيّاً، قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾[2]. يقول الله تعالى حول إعطاء هذه الموهبة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[3].

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «آلة الرئاسة سعة الصدر»[4] ماذا تعني سعة الصدر؟ هل يعني ذلك التساهل والتسامح؟ هل يعني السكوت مقابل إهانة الدين؟ لا، ليس الأمر كذلك على الاطلاق. لم يسكت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقابل المعصية. سعة الصدر تعني تحمّل الأذواق والسلائق والأفكار المختلفة.

لا يوجد أيّ مبلّغ دين ليس له من يعارضه، سواء كانت المعارضة في التبليغ، أو في التدريس والتأليف والإدارة. ومن ليس له معارض، ليس له دور مؤثّر، إذ الدور المؤثّر يقتضي وجود المعارضة. طبعاً قد تكون المعارضة تقوم على الحقّ وقد لا تكون على ذلك. والسلاح الفعّال هنا، هو التحمّل واعتبار الأنبياء والأئمّة قدوة. ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة طه، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الانشراح، الآية: ١.
(٤) خصائص الأئمة عليهم السلام، ص١١٠.
(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

انظروا كيف تصرّف معارضو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكيف تصرف هو معهم؛ أعطى اللّواء لسعد، ورفع سعد اللواء وقال: «اليوم يوم الملحمة». عندما سمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الكلام، أرسل عليّاً عليه السلام الذي أخذ اللّواء من يده ونادى: «اليوم يوم المرحمة».. «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ويمكن مشاهدة هذا السلوك في شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام في حرب الجمل حيث أرسل محمّد ابن أبي بكر مع أخته عائشة ليعيدها إلى بيتها. انتهت الحرب، فأمر الإمام عليّ عليه السلام عشرين من النساء ارتداء لباس الرجال ووضع النقاب على وجوههنّ وطلب إليهن مرافقة عائشة إلى المدينة. وصل الموكب إلى المدينة، فنزعت النسوة لباس الرجال. عند ذلك أصبحت تردّد أنّ أكثر الرجال محبوبيّة هو عليّ عليه السلام.

ثلاث خطوات مهمَّة في التبليغ المؤثّر

عليّ اقليدي نجاد

قد يواجه المبلّغ في حياته التبليغيّة السؤال الآتي: كيف يمكنني أن أشجّع الآخرين على القيام بأعمال متنوّعة أمثال دفع تكاليف المناسبات الدينيّة والمسجد أو القيام بأعمال أخلاقيّة كمساعدة المحتاجين، واحترام الوالدين والابتعاد عن الربا، وكيف يمكنني أن أدفعهم إلى هذه الأعمال؟

عمل الكثير من المبلّغين للحصول على جواب عن السؤال، لذلك حاول البعض منهم الابداع في العمل فقلّلوا من مشاكلهم إلّا أنّهم لم يقدموا طريق حلّ عامّ، قصير، بسيط وفعّال. أمّا هذا المقال فيعمل على تقديم طريق حلّ مستفيداً من الخطط الموجودة، ويمتاز بأنّ ما يقدّمه يمكن اجراؤه في مدّة قصيرة وكذلك في مدّة طويلة بعد إجراء تعديلات عليه. البديهيُّ أنَّ مقالنا سيتمحور حول كيفيّة إعداد النصّ والخطاب المؤثّر والمحرّك ولن يجعل المبلّغين في غنىً عن مسائل أخرى كإيجاد الحرارة لدى المخاطب، والإيمان بما يقولون، والاهتمام بالمخاطبين، والتحدّث بأمور تتناسب ومستواهم، والاطّلاع على الموقع الذي هم فيه، ورعاية الاعتدال. وذلك لأنّ كلّ واحدٍ من الأمور المذكورة من جملة المتغيّرات التي تتركها آثارها الإيجابيّة أو السلبيّة على مستوى تحريك الناس والتأثير فيهم.

ممّا لا شكّ فيه أنّ الإيمان بالهدف يؤدّي إلى إيجاد حرارة خاصّة في الكلام،

بينما عدم الإيمان بالهدف لن يؤدّي سوى إلى ضجر المخاطبين وسَأَمهم.

إنّ عدم الاهتمام بالمخاطَبين وعدم مراعاة مستواهم في الخطاب يعتبر من جملة النواقص التي تصيبه، وقد أشار خطاب الوحي إلى هذه المسألة عندما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[1]. إنّ الاهتمام بالمخاطبين والالتفات إلى مستواهم من الأمور التي تؤدّي إلى تحريك وتشجيع المخاطبين. من جهة أخرى فإنّ إدراك الموقع والظروف الزمانيّة والمكانيّة، من جملة الأمور المؤثّرة في الإدراك المقابل، بشرط مراعاة الاعتدال. ممّا لا شكَّ فيه أنّ الخطاب المؤثّر يكون أكثر فائدة إذا كان مرافقاً للاعتدال. من هنا نجد أنّ الله تعالى يذكر في كتابه العزيز العذاب والعقاب إلى جانب ثمرة الطريق الصحيح والسليم. جاء في القرآن الكريم على سبيل المثال: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾[2].

وقد استعمل هذا الأسلوب أيضاً في الحديث العلويّ حيث حدّد أمير المؤمنين عليه السلام وظيفة العقلاء: «**الفقيه كل الفقيه من لم يُقَنِّط الناس من رحمة الله ولم يؤيِّسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله**»[3].

يتحدث أحد الأساقفة الإنجليز المشهورين في مرحلة الحرب العالمية الأولى مع مجموعة من الجنود في معسكر ابثون. كان من المقرّر أن يذهب الجنود إلى خندق الاجتماعات، وكان هناك القليل منهم ممّن يدرك سبب الاجتماع... تحدّث الأسقف مع الجنود حول العلاقات الدولية وحقّ حاكميّة الصرب على أراضيهم، مع العلم أن نصف الجنود كانوا لا يعرفون هل أن الصرب

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٣) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الحكمة ٨٧.

اسـم مدينة أم اسـم مرض. وكان عند الباب حارس يمنع الخروج أثناء الخطاب. فلو تحدث الأسـقف حول المجرّات والفرضيّات السـماويّة، فسيكون كلامه فاقداً للمعنى كما الحديث السابق[1].

لمـاذا كان حديـث الأسـقف باعثـاً على الملـل عند الجنـود، فلـم يتمكّن من تشـجيعهم على البسالة في الحرب، لا بل أدّى نتيجة عكسية؟ السرّ في ذلك يكمن فـي عدم المعرفة بأصـول التشـجيع والارتباط. بنـاءً على القاعدة فـإن الحديث العـام، عدم الاهتمام بمسـتوى المخاطبين، وعدم الالتفـات إلى روحياتهم وعدم وجـود خطاب يحرّك أرواحهـم، كلّ ذلك يؤدّي إلى زوال ارتبـاط الأفراد، ويبعث على اختلال مضـمون البيـان. ولكن ما هو طريق الحلّ؟ فـي الجواب يجب القول: الحـلّ يتعلّق بالزمـان والمكان والمخاطَب. ما يمكن الحديث به على شـكل أصـل عامّ ومع الأخذ بعين الاعتبار زمان ومكان الارتباط، هو التشـجيع. يمكن تحسـين الارتبـاط بالنـاس وجعلـه مفيـداً وعمليّاً من خلال هذا الأصـل ومراعـاة الهدوء والجاذبيّـة والفعاليّة في الارتباط التبليغيّ. صـحيح أنّ هذا الأصـل الخاصّ يؤدّي إلى إيجاد ارتباط عاطفيّ، إلّا أنّه يمكن الاسـتعانة ببعض أجزاء تلك الأصـول في العلاقات والارتباطات الأخرى.

قاعدة التحريك والتشجيع

تتألّف هذه القاعدة من ثلاثة أجزاء نوضحها بداية بشكل مختصر، وبعد ذلك نفصل الحديث فيها.

الأوّل: بداية الخطاب بتجربة ذات مغزى، يمكن أن يحتلّ هذا القسم الجزء الأكبر من الخطاب وينبغي أن يحمل الخطاب التجربيّ في هذه المرحلة، الأصول

(١) قواعد الخطابة، ديل كارنغي، ص١٢٨، بتصرف.

العشرة المشتركة[1].

الثاني: بعد مرحلة التجربة ينبغي تقديم رؤيتنا وقضيتنا بشكل واضح قابل للفهم.

الثالث: توضيح أسباب عرض رؤيتنا، وتبيين ما ينفع وما يضرّ المخاطب وشرح المخاطر التي تترتّب على عدم العمل بما ينبغي فعله.

وعلى هذا الأساس فالخطوة الأولى أي التجربة، هي أهمّ الأقسام بينما تحتاج الخطوتان التاليتان إلى وقت أقلّ.

اسمحوا لنا أن نبدأ هذا القسم بتجربة لأحد المبلّغين: **«ما جرّبته بنفسي وعملت به هو أنّ: الناس لا يعجبون بالكلام العامّ والكلّيّ، وكلّما كان الخطاب جزئيّاً ذا ارتباط بحياتهم، يكون مقبولاً لديهم. لقد شاهدت بعض المنابر التي كانت مملوءةً بالآيات والروايات إلّا أنّ الكلام فيها كان كلّيّاً، لذلك لم تكن مؤثّرة. أمّا ما يمكن أن يكون عذباً، فهو سرد حكاية أو قصّة حيث تكون هذه الأمور عادة جذّابة، مع العلم أنّ الرواية العلميّة البحتة هي متعبة»**[2].

أشار المبلّغ إلى أنّ الابتعاد عن الكسل والخمول عند المستمع يمكن أن يكون من خلال الشروع بتجربة أو قصّة شخصيّة أو جزئيّة. قد تسألون: ما هو سبب

---

(١) جاء ذكر الأصول العشرة في مجلة «مبلغان» العدد ١٨، ص٢٨. وهي عبارة عن: ١ ـ المواضيع التي يحتاج إليها المخاطب ويشتاقها.
٢ ـ قدرة المخاطبين.
٣ ـ الصدق والتصميم.
٤ ـ التصوير من خلال الكلمات.
٥ ـ البساطة والسهولة.
٦ ـ الأسلوب الصحفي.
٧ ـ الحدود في الموضوع.
٨ ـ التقييم والاختيار.
٩ ـ معرفة الثقافة واللغة والرؤية.
١٠ ـ رسالة الاحترام.

(٢) تجارب المبلغين الماهرين، ص١١٣ و١١٤.

هذا الأمر؟ لماذا يجب الشروع بتجربة أو قصّة بدل المقدّمة العلميّة أو الرواية الجميلة؟ ويتلخّص الجواب في عدد من النقاط:

١- التجربة هي أعظم أستاذ في الحياة وهي تلقي علينا أموراً قد لا ننساها طوال الحياة. ممّا لا شكّ فيه أنّ المهتمّين والسابقين في التبليغ الدينيّ يرغبون وبشكل جديّ، الانتصار في هذه الحرب التبليغيّة، يرغبون أن تؤتي جهودهم ثمارها وأن تكون أفعالهم موفّقة. فإذا رغبتم في ذلك، فعليكم أن تجعلوه ضمن برامجكم وستحصلون عليه في التجربة.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الظفر بالحزم والحزم بالتجارب»[١]. التجارب هي معلّم كبير يأخذ بيد العواطف ويحرّك اللسان المشتاق، لذلك عندما ننقل تجربة إلى الآخرين فنحن ننقلها مترافقة مع عواطف خاصة تؤدي إلى ارتباط قريب بيننا وبين مخاطبنا. الشرط الأساس هنا هو عرض التجربة بشكل جميل وبأسلوب فنيّ حيث يمكن هنا الاستعانة بأسلوب المراسلين الصحفيين[٢]. وقد يسأل البعض أننا لا نمتلك تجارب شخصيّة في كافّة الأمور، فكيف يمكننا الشروع بارتباط يحمل معه الترغيب؟ والجواب واضح. ليس من الضرورة أن يكون للمبلّغ تجربة شخصيّة في كافّة الأمور، بل يمكنه الاستعانة بالأحداث التي تقع حوله حيث يمكنه الاطّلاع عليها. إلّا أنّه لا يجب الغفلة عن مسألة أساسيّة وهي أنّ عليكم سرد التجارب التي تركت فيكم آثاراً خاصّة أو التي تفاعلتم معها، فلو أردتم على سبيل المثال الحديث عن مخاطر الإدمان فعليكم الاستعانة بالإحصاءات والأحداث التي تأثّرتم بها. في هذه الحالة يشعر المخاطب بما كنتم تشعرون به.

٢- السبب الثاني الذي يدعو للشروع بالتجربة أنّ هذا الأسلوب يؤدّي إلى الابتعاد

(١) غرر الحكم، ص٤٢.

(٢) الذي، أين، مَن، ماذا، لماذا، كيف.

عن الملل والقوالب المزعجة. والمخاطب يهرب في العادة من العبارات المقولبة والجامدة ويعشق القوالب الحديثة. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الخصوص: «**إنّ هذه القلوب تَمَلُّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم**»[1].

لذلك ينبغي في بداية الارتباط بالمخاطب الاستعانة بعبارات جذّابة لديه. فإذا أردنا على سبيل المثال تكريس الإحساس بالاحترام للكبار في السنّ وتعليم الوضوء للأطفال، يمكن اللجوء إلى قصّة الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام مع الشيخ الكبير الجاهل بالوضوء[2]، ويمكن التأثير في الكبار من خلال الاستعانة بالعبارات العاطفية. وتشكّل الآيات الآتية أحد النماذج التي تشجع المستمع وتجذبه وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[3]. لقد بلغت هذه الآية من الجمال والسحر بحيث جعلت المذنب والعاصي يتحرّك داخليّاً نحو التوبة والعمل بالأمور الحسنة. إنّ عبارة ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ تحمل ثقلاً عاطفياً كبيراً يدلّ القلوب.

وفي هذا الإطار أيضاً يمكن الرجوع إلى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العميق والجميل حيث يشجع العاصين على التوبة: «ما أهمّني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين وأسأل الله العافية»[4]. قدّم الإمام عليّ عليه السلام طريقاً للتوبة في قالب من التجربة، وعمل على عواطف ومشاعر المخاطب وأرشده إلى طريق العودة. لذلك يجب الاقتناع أنّ إيجاد الارتباط في قالب التجربة، حسّاس وفعّال.

تجدر الإشارة إلى أنّ أسلوب الترغيب القائم على أساس التجربة، لم يغب عن

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الحكمة ٨٩.
(٢) قصص الأبرار، ج٢، ص١٠٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٤) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الحكمة ٢٩١.

القرآن الكريم. ذكرت العديد من الآيات الإلهيّة، مجموعة من الشواهد التاريخيّة والتجريبيّة البشريّة، وذلك في سبيل ترغيب المخاطبين بالأمور الحسنة وإبعادهم عن القبائح، ولعلّ النموذج الأبرز ما جاء في سورة إبراهيم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1] وقد مزج بحث الخروج من الظلمة إلى النور بتجربة تاريخية، ليستقرّ المطلوب في روح المخاطب فيكون ذلك أكثر أهمية على مستوى التأثير فيه.

جاء في الآية الشريفة المتقدمة إكمال للأمر: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾[2] ثم ذكرت الآيات أجزاء من قصة موسى عليه السلام. لذلك يجب عدم الغفلة عن التجارب الملموسة.

تحذيرات

١- صحيح أنّ ذكر التجارب يجب أن يكون بأسلوب فنيّ جذّاب مترافق مع التأكيد على الجزئيّات إلّا أنّه ينبغي الاشارة إلى أنّ الاستغراق في الجزئيّات الخارجة عن الحدود، هو أمر غير مقبول، لأنّ ذلك يؤدّي إلى الابتعاد عن المطلوب الأساس ولا يسمح للمتحدّث الوصول إلى أهدافه. فلو أردنا الحديث عن النتائج السلبيّة للسفور أو الحجاب السيِّئ، فينبغي الحديث عن حادثة شاهدتموها أو قرأتموها أو سمعتموها وحسب الأولويّات عند المخاطب ويمكن الاشارة إلى ما يهدّد الفتاة التي لا تهتمّ بالحجاب فتقع في شرك الأفراد الفاسدين... ولكن إذا عمدتم هنا إلى نقل ما تقوم القوى الأمنية في مواجهة السفور والحجاب السيِّئ، فقد يؤدّي الأمر إلى نتيجة عكسيّة، لذلك ينبغي أن تكون التجربة المذكورة تتمحور حول الهدف وبالتالي ذكر ما يدور حوله.

(١) ترجمة آية الله مكارم الشيرازي، ٢٥٥.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

٢- عند الحديث عن تجربة ينبغي ذكر الحادثة بحركات تتناسب معها. فلو أردنا على سبيل المثال الاشارة إلى صعود وهبوط الطائرة، من المناسب الإشارة بالأيدي إلى هذا الأمر.

وتستعمل هذه الطريقة في المسائل التعليميّة كالأحكام مثلاً. وفي غير هذه الحالة لن نتوقّع تفاعلاً مقبولاً من الطرف الآخر. ويشير إلى هذا الأمر التجربة الآتية: «**ذهبت إلى أحد الأماكن حيث قام أحد الإخوة خطيباً، جلست لأستفيد من كلامه الذي كان كلاماً جميلاً وذا مضمون مفيد، إلّا أنّه من البداية وحتى النهاية لم تصدر عنه أدنى حركة. مع العلم أنّ بإمكانه رفع يديه إلى الأعلى عند الاشارة إلى السماء، وتحريكها إلى الأسفل عند الحديث عن الأرض، ووضع اليد على الصدر عند الحديث عن القلب، كان بإمكانه تحرير منبره من حالة الكسل والملل التي سيطرت عليه**»[١].

٣- صحيح أنّ الأمر يحتاج إلى عمل وجهد، إلّا أنّ ما يذكر ينبغي أن يكون مناسباً لأجواء الارتباط وللهدف وإلّا فستكون نتيجته عكسيّة.

الخطوة الثانية: عرض الرؤية بشكل شفّاف

بعد الانتهاء من مرحلة عرض التجربة والاستفادة الصحيحة من أسلوب الصحفيّين، نصل إلى الخطوة الثانية. في هذه المرحلة لا بدّ من رعاية بعض الأصول الأساسيّة ليترك الخطاب أثره ويشاهد المخاطب الهدف بوضوح. إنّ هذه الخطوة شديدة الأهميّة على مستوى تقديم الخطاب المشجّع.

الأصل الأوّل: أعرضوا رؤيتكم بشكل عمليّ. المخاطبون يتعلّقون بالخطاب الذي يظهر فيه جوانب عمليّة، والذي يفهمون منه بوضوح المطلوب منهم. وبما أنّ

(١) تجارب المبلغين الماهرين، ص١١٦.

هذه الخطوة هي خطوة تُدخل المخاطب إلى المطلوب، لذلك من الأفضل أن تكون العبارات بعيدة عن العموميّة التي لا تنسجم مع العمل. وفي هذه الحالة يمكننا أن نتوقّع صدور عمل ما منهم. وبدل أن نخاطبهم قائلين: «**الوالدان شخصان محترمان، حاولوا أن يكونا راضيَيْن عنكم**» يمكننا أن نقول: «**سنسعى جميعنا يوم الجمعة وبالإتكال على الله تعالى أن نذهب للقاء والدَيْنا، وسنحمل لهما ما يحبان ويتمنَّيان...**».

اسمحوا لنا أن ننقل البحث إلى كتاب اللّه العزيز حيث أكّد في الآيات الشريفة على هذه الطريقة التي أشرنا إليها. تارة يتحدّث القرآن الكريم ضمن إرشاد كلّيّ وعامّ حول احترام الوالدين ويقول: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[1]. وفي هذه العبارة نقاط عميقة من جملتها أنّ كلمة الإحسان عندما تأتي مع حرف «إلى» فيكون المراد الإحسان بشكل غير مباشر، ولكن عندما تأتي كلمة الإحسان مع حرف «الباء» فيكون المراد الإحسان بشكل مباشر ومن دون وساطة. وكأنّ الآية الشريفة تؤكّد على أنّ الإحسان للوالدين مهمّ إلى درجة أنّ الشخص يجب أن يباشره بنفسه وليس من خلال الوساطة[2]. ثمّ إنّ الآيات الشريفة تشير إلى الموضوع عينه بشكل واضح.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[3].

قدَّمت لنا الآيتان الشريفتان موضوع ضرورة احترام الوالدين وتكريمهما ضمن ستة أوامر عمليّة:

الأول: ضرورة الإحسان إلى الوالدين من دون وساطة ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) ألف مسألة ومسألة من القرآن، ص٤٣٥ نقلاً عن المنار، ج٨، ص١٨٥.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤.

الثاني: عدم توجيه أصغر أذى لهما: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾. عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لو علم الله شيئاً أدنى من أفٍّ لنهى عنه وهو أدنى العقوق ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما**»[1].

الثالث: عدم نهرهما ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾.

الرابع: التحدّث إليهما بلطف وبشكل كريم ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

الخامس: التواضع لهما ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾. واللّافت أنّ القرآن الكريم عندما يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله احترام المؤمنين، يقول له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وعندما يحدّثه عن احترام الوالدين يستعمل كلمة خفض الجناح التي هي كناية عن الاحترام الشديد ويذكر معها كلمة «**الذل**»: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

السادس: طلب الرحمة لهما عند المناجاة ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ نشاهد أنّ الوصايا القرآنيّة تقوم على أساس البعد العمليّ في الحياة. لذلك ينبغي للمبلِّغ الالتفات لتكون وصاياه عمليّة ومفيدة.

يجب الابتعاد عن العبارات المبهمة والعامّة، لأنّ هذا النوع من العبارات لا يتضمّن شيئاً يُطلب من المخاطبين. ويكون طلب الشخص من الآخر صريحاً وشفّافاً إذا تضمّن معياري العمل المحدّد والزمان المعيّن، وهذا يجعل العمل قابلاً للقياس. أي أنّ المبلّغ يمكنه حساب مقدار التأثير الذي تركه العمل بعد مدّة زمنيّة محدّدة. وبدل أن نخاطب مجموعة ونقول لها: «**الحجاب غير الكامل سيِّئ ويحمل عواقب اجتماعيّة وخيمة**»، من الأفضل أن نخاطبهم: «**الأخوات العزيزات بالالتفات إلى التجربة التي أشرت إليها، أليس من الأفضل لكنّ من هذه اللحظة ومن هذه الجلسة، الاهتمام أكثر بالحجاب وأن تُفكِّرْن في ذلك**

(١) نور الثقلين، ج٣، ص١٤٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

قبل أيّ شيء آخر؟».

اسـمحوا لنا أن نضـفي نوعاً من العمق على كلامنا من خـلال عبارات الإمام أميـر المؤمنيـن عليه السلام الذي يقول: **«لا يكون الصديق صديقـاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته»**[1].

الأصل الثاني: الشفافية والإتقان

من جملة الأصول المعتبرة في الخطوة الثانية أن يكون الخطاب شفّافاً، بسيطاً ومتقنـاً. يجب الالتفات إلـى أنّ ما يتمّ إنتاجه في هذه الخطـوة هو الذي ينفذ إلى أعمـاق أرواح المخاطبيـن. وهذا يعنـي أنّ الجهـود المبذولة في الخطـوة الأولى والثالثـة هو لأجل الخطوة الثانيـة، أي لنجعل المخاطب يقتنع بما نريده منه. فإذا عجـز الخطيـب عن جعل ما يطلبه من المخاطب شـفّافاً فهذا يعني أنّه عاجز عن توضيح هدفه وبالتالي إيجاد اختلال على مستوى ترغيبه بالمطلوب. من المناسب تقديـم هذه الخطوة من خـلال الأمثلة ممّا يجعل المطلـوب عينيّاً للمخاطب. وقد اسـتعمل القرآن الكريم هذا الأسـلوب، فاسـتعان بالأمثلة والحكايات والشـواهد التاريخيّة: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

فـإذا أردتـم تشـجيع مجموعـة على حفـظ آيـات القـرآن الكريـم يمكننا أن نخاطبهـم: **«مـن أراد أن يرفع من مستـوى حافظته يمكنه أن يـردّد آية أو رواية خمس مـرّات يوميّاً يفصل بين المرة والأخرى دقيقـة واحدة، عند ذلك يتمكّن مـن حفظ الآية أو الرواية»** وهذا أفضـل من مخاطبتهـم بقولنا: **«من أراد تقوية حافظته فعليه حفظ القرآن»**. لذلك ينبغي أن لا ننسـى الوصـيّة القرآنيّة في هذا

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الحكمة ١١٥١/١٢٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية:٢٥.

الخصوص: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1].

القرآن الكريم أوّل من رفع لواء الشفافية في القول وتقديم خطابه وما يطلبه بشكل واضح. وقد مهّد لذلك بذكر العديد من الأمثلة والحكايات ثمّ أشار إلى هدفه بشكل واضح. خاطب القرآن الكريم الرسول الأكرم ﷺ ببيان متين فحدّد الهدف من البعثة: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ... وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾[2].

وفي آية أخرى حدّد الهدف من نزول القرآن الكريم، وقد عرض ذلك ببيان ممزوج بالكناية والتشبيه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

الأصل الثالث: الإيمان والشوق

الأصل الثالث في الخطوة الثانية من أهمّ الطرق وأكثرها حساسية على مستوى الوصول إلى الموفّقية في مسألة الترغيب والتشجيع. يجب أن يكون الخطاب بشكل شيِّق بحيث يظهر الإيمان والشوق في ثنايا العبارات والكلمات. في هذا الحال فقط يمكنه محاكاة أرواح المخاطبين وإلّا فلن يتجاوب المخاطب معه.

لعلّ النموذج الأبرز لهذا الأمر، هو قضيّة المباهلة. والحقيقة أنّ الرسول ﷺ قدّم خطابه بإيمان وثبات وشوق حيث يمكن مشاهدة الإيمان بالهدف من خلال هذه الطريقة التي قدم بها خطابه. وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا الشكل هو الذي ينفذ إلى أرواح المخاطبين. ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[3].

إن هذا النوع من الخطاب الذي يصدر من أعماق الإيمان والاعتقاد، سيشغل

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ـ٤٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

قلـب المخاطب ويدعـوه إلى تجديد النظر في أموره. هنـا لا بدّ من ذكر الخاطرة الآتيـة: «أقـوم بالتبليغ منـذ ١٥ عاماً في أحـد المساجد وفي زمـان الحرب كنت أدعو الناس في المسجد إلى جمع المال والتبرّع للحرب ولكنّي كنت أقدّم المال بشـكل مخفـيّ وذلك بهدف الاخلاص فـي العمل. في يوم من الأيّام وبينما كنت أدعـو الناس إلى التبرّع نهض شخص وخاطبني قائـلاً: أنت تدعونا إلى التبرّع والمساعدة ولم تبادر ولو لمرّة واحدة إلى ذلك. ومنذ ذلك الحين أصبحت كلّما طلبـت من الناس المساعـدة كنت أوّل من يخرج الأموال من جيبه ويقدمها»[١]

إنّ الإيمـان بما نقول يترك آثاراً خارجيّة سـواء في العمـل أو في الخطاب، والأهمّ من ذلك كلّه أنّ الإيمان والاعتقاد اللذين هما روح خطابنا هما اللّذان يصلان إلى المخاطب.

لعلّ القصّة التالية توضح البعد الإيمانيّ في الخطاب:

«صادفت في أحد الأيّام شعراً جميلاً، لذلك سجّلته وقلت لنفسي إنّ بإمكاني الاستفـادة منـه استفادة حسنـة بالأخصّ وأنّ بإمكانـي الاستعانة به في مجالس العـزاء. قـرأت الشعر في أحد المجالس التي قرأتها ولكن لم يكن له ذاك الأثر الذي كنت أتوقّعه، بعد ذلك أدركت أنّ المجلس الموفّق هو الذي يصدر عن قلب مشتـاق وفـي هذه الحالـة يمكن التأثير في الآخرين. يضـاف إلى ذلك أنّ قارئ العـزاء يجـب أن يكون معتقداً بما يقرأ. عند ذلـك يمكننا توقّع الأثر المطلوب. قد نشاهد شعراً جميلاً وصوتاً عذباً إلّا أنّ القارئ، لا يقرأ انطلاقاً من الإيمان والاعتقاد، لذلك لن تكون قراءته جذّابة»[٢].

قد يسـأل البعض: كيف يمكننا الوصـول إلى مرحلة الشوق والإيمان؟ والجواب

(١) تجارب المبلغين الماهرين، ص٩٨، بتصرف.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٣، بتصرف.

أنّ السرّ في ذلك يكمن في ترك ما نهينا عنه والعمل بما أُمرنا به. جاء في القرآن الكريم على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾[1].

الخطوة الثالثة: الاستماع إلى ما يفيد وما يضرّ المخاطبين

بعد المرحلتين الأوليين، يسأل المخاطب نفسه: ما هي منافع ومضار هذا العمل بالنسبة إليَّ وإلى المجتمع؟ ماذا سيحصل لو لم أعمل هذا الأمر؟ وأمّا الجواب عن مثل هذه الأسئلة فهو الخطوة الثالثة. هنا ينبغي أن يبادر المبلّغ بشكل واضح وصريح وبعيداً عن الكلام العبثيّ والطويل، إلى ذكر الأدلّة التي تؤيّد القيام بالعمل أو عدم القيام به، طبعاً هنا تجب الإشارة إلى أنّ المخاطب قد وصل إلى مرحلة من التعب بحيث لا يمكن التركيز على المطلوب، فينبغي تقديم هذه الخطوة بأسلوب يجعله يرغب بما يقال له ويتشوّق للقيام بما يُطلب منه. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ القلب إذا أُكره عمي**»[2]. لذلك ينبغي هنا الاهتمام بالنقطتين الآتيتين:

ـ النقطة الأولى: التناسب

أن تكون الأدلة المذكورة متناسبة مع الأمثال أو التجربة التي ذكرت في البداية، وينبغي أن يكون الدليل قد تمّ التمهيد له في الخطوة الثانية. فلو كنّا نتحدّث عن احترام الوالدين، ينبغي أن يكون الدليل بشكل يجعل المخاطب مستسلماً لما نقول وأن يشعر بلذة احترام الوالدين وأن يدرك القيمة المعنويّة لذلك. شرح القرآن الكريم عظمة احترام الأمّ وذكر الدليل على ذلك ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص٥٠٣.

أُمُّهُۥ كُرْهًا ﴾[1]. تؤكّد الآية على احترام الأمّ وتجعل ذلك أعلى من حقّ الوالد. فقد تمّ توضيح مسألة الإحسان إلى الوالد والوالدة بشكل كلّيّ، ثمّ ذكر الأمّ بشكل مستقلّ وهي التي تحمّلت آلام الحمل والولادة[2].

ـ النقطة الثانية: الاصرار على الدليل

ينبغي الاعتماد على أكثر الأدلة قوة. والأقوى هنا نسبيّ؛ أي يجب الاختيار بناءً على أوضاع المخاطبين. وهنا يجب أن يتركّز الجهد على اختيار الدليل القوليّ. لا تتصوّروا أنّ تقديم الكثير من الأدلة يؤدّي إلى اقتناع المخاطب. لأنه لو كان مؤيّداً لكم فإنّ ذكر الكثير من الأدلّة سيحمل إليه التعب وإذا كان مخالفاً فسيهبّ للمعارضة بسبب سرعة استحضار الأدلّة وعدم الاهتمام بدقائقها. يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**من محا طرائف حكمته بفضول كلامه فكأنّما أعان هواه على هدم عقله**»[3].

لو انتقلنا إلى القرآن الكريم لشاهدناه يقدّم الأدلّة بأسلوب خاصّ. جاء في إحدى الآيات الشريفة حول حرمة التجسّس والغيبة: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾[4].

توضح الآية الشريفة، ما تؤدّي إليه الغيبة من أضرار وذلك ببيان جميل وتشبيه جذّاب، إنّ هذه الصفة غير المقبولة تؤدّي إلى إفساد أفراد المجتمع وتقضي على الألفة والأنس بينهم وترفع من حالة الخوف، وهذا لا يتلاءم مع أساس المجتمع الإسلامي الذي جاء فيه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. والغيبة كالميت، لأنّ الميت يفقد

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٢) الاستعانة بالتفسير الكبير، ج٢٨، ص١٤؛ ألف مسألة ومسألة من القرآن، ص٤٣٧.
(٣) أصول الكافي، ج١، ص١٧.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

القدرة على الإجابة عن ما يقال عنه فهو غائب[١].

الواضح أنّ على المبلّغين الواعين أن يجعلوا كلام الوحيّ نصب أعينهم للاستفادة منه في ما ينفع ويضرّ المخاطبين. هنا يمكن أن يكون كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أفضل نموذج لكلامنا وعباراتنا. يقول الإمام عليه السلام: «أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبريء، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه. ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونوّر في قلبه اليقين»[٢].

من هنا يجب العمل لتقديم دليل واضح وشفّاف وقويّ ومتين والتقدّم في الخطوة الثالثة وبالتالي القدرة على ترغيب المخاطب نحو عمل أو أمر ما. في الختام يمكننا أن نجد خلاصة كلامنا في عبارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول: «**إذا ازدحم الجواب خفي الصواب**»[٣].

(١) اقتباس من تفسير الميزان، ج١٨، ص٣٢٣.

(٢) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الحكمة ٣٦٥، ص١٢٦٢ ـ ١٢٦٣.

(٣) المصدر نفسه، الحكمة ٢٣٥، ص١١٩٤.

الباب الثاني

مهارات تبليغية

ثقافة التبليغ (١)

معاونيّة التبليغ في مكتب الإعلام الإسلاميّ - خراسان

مقدّمة:

بمـا أنّ التبليغ يحوز اليوم على أهميّة خاصّـة وحسّاسـة وذلـك لارتباط مقولة التبليـغ الدينـيّ بمجـالات العلوم على اختلافهـا. لذلك قرّرنا وفي إطار الرسـالة الخطيـرة الملقاة على عاتقنا، إيجاد أثر موضـوعي للكتب والمجلّات والخطابات والمؤتمـرات المتعلّقـة بالتبليغ، لنتمكّن من إضـفاء نوع مـن التنظيم على تجارب المبلّغين المحترمين وتقديمها بما فيه من فائدة على مستوى ثقافة التبليغ.

علـى أمل أن يكون الجهد الحالي خطوة إضـافيّة على طريـق تعالي التبليغ من الناحيتين العلميّة والعمليّة.

مضمون التبليغ

- **ما هي الأولويّات التبليغية؟**
- **ما هي المطالب التي يجب توضيحها في التبليغ؟**

التبليغ عبارة عن كتابة الوصـفة الطبيّة، ومن الخطأ كتابة الوصفة قبل معاينة المريض. من الخطأ الاعتماد على الموجـود في أذهاننا أي أن نتحدّث بما نعرف فقـط. لا بـل يعتبر ذلك خلافاً للأصـول التبليغية. يجب على المبلّغ أن يشـخّص:

مـاذا يريدون منه وهل أنّ ما يريدونه منه، معقول أو غير معقول؟ وهل ما يطلبونه يطابق حاجتهم أو لا؟ هل في وسع المبلغ القيام بذلك أم لا؟

- يجب أن تتركّز المطالب على الموجود في المجتمع. سواء كان المجتمع صغيراً كالعائلة أو كبيراً.
- يجب أن تتناسـب المطالب مع زمان المخاطب ومكانه وقدرته على الفهم، ومع حاجة المستمع، وأهميّة المطلب وضرورته.
- إنّ الذي يترك آثاراً مهمَّة هو عمل المبلّغ بما يقول.
- أمّا الأحاديث التي يجب تبيّنها عند التبليغ فهي الآتية:

١- التي تتمحور حول القرآن وتفسيره.

٢- العقائد بالأخصّ بحث المعاد- لأنّ سدس القرآن يتمحور حول المعاد - وبحث الإمامة.

٣- الأخلاق.

٤- الأحكام والمسائل المبتلى بها والأمور الفقهيّة الجديدة.

٥- الإجابة عن الشبهات.

٦- الصلاة، التي كان الأئمّة عليهم السلام يوصون بها حتّى في آخر لحظات حياتهم.

٧- المسائل العائليّة.

٨- المسائل الاقتصاديّة.

٩- البحث حول الإمام المهديّ عجل الله فرجه حيث إنّ معرفة إمام الزمان من الضروريّات.

١٠- دائرة الدين والدنيا.

١١- المسائل العامّة التي تساهم في زيادة الوعي.

١٢- التأكيد على الجوانب الأرضيّة لأهل البيت عليهم السلام أكثر من الجوانب السماويّة.

- الامتناع عن طرح الشبهات والإشكالات من دون الإجابة عنها. أو تقديم إجابات ناقصة وغير مُقنعة، والأفضل عدم التعرّض للأبحاث التي لا ضلوع كافياً لنا بها.
- يجب أن يتنوّع مضمون المنبر.
- الحديث بالأمور التي يجب أن تقال والتي لا يُلتفت إليها.
- ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام بشكل لائق.
- توضيح الأدعية، وشرحها بالأخصّ الصحيفة السجاديّة.
- شرح نهج البلاغة.
- توضيح وتحليل تاريخ الإسلام بالاستفادة من المصادر.

أدوات وأساليب التبليغ

- **«أسلوب التكريم»**: إكرام واحترام الناس.
- **«أسلوب التدريج»**: لا يمكن الحديث بكلّ المطالب في جلسة واحدة، فقد نزل القرآن الكريم بالتدريج.
- **«أسلوب التأخير»**: عدم تقديم إجابات عن كافّة الأسئلة، بل يمكن تأخيرها لمزيد من التأمل.
- **«أسلوب التبيين»**: حاولوا توضيح المطالب بشكل حسن لتتشكّل الأسئلة والذهنيّات بشكل صحيح.

- **«أسلوب المدافعة»**: من الضروريّ الدفاع عن مسلّمات الإسلام، طبعاً يجب أن يحصل ذلك بشكل معقول ومنطقيّ. والدفاع السيِّئ عن الدين لا يقلّ عن توجيه ضربات له.

- **«أسلوب السؤال وتشجيع الآخرين لتقديم إجابات»**: كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام يبدأون الكلام من خلال توجيه السؤال.

- **«التمهيد»**: قد يتطلّب الأمر أن تكون المقدّمة أكثر أهميّة من ذي المقدمة، فيجب أن نمهّد لتوضيح جمال الدين.

- **الاستعانة بالخيال:** الخيال أداة فعّالة ومهمّة للتبليغ. وهنا يمكن الاستعانة بالمنظومات الشعريّة.

- **الاهتمام بالجلسات الصغيرة:** لأنّ التأثير العاطفيّ يكون في المجموعات الصغيرة أكثر منه في الكبيرة.

- عند الإنسان أربع أدوات إرسال (العين، الوجه، السلوك والقول) حيث تقوم هذه الأدوات بإرسال الرسائل واستقبالها. فمن الضروريّ الاستفادة من هذه الأدوات الأربع بشكل لائق.

- قد يمكن الاستفادة من حالات التصعيد والهيجان، إلّا أنّه يجب الالتفات إلى أهميّة تحريك العواطف إلى جانبها.

- **التبليغ ليس حديثاً بل هو إيصال:** يجب أن يطمئنّ المبلّغ إلى أنّ المستمع قد وصلت إليه الرسالة. وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ... **ألا هل بلغت؟** قالوا: بلى يا رسول الله.

- **الانسجام:** يجب أن يكون مضمون التبليغ منسجماً. ولا يجب أن يظهر التناقض بين البداية والنهاية.

- الاستفادة بشكل مناسب من عنصري «الخوف والرجاء» وهذا يعني عدم الاستفادة من الخوف إلى مستوى اليأس وعدم الاستفادة من الرجاء إلى مستوى الغرور.
- التنوّع في الكلام، فمن الخطأ الحديث حول موضوع واحد ثلاثين ليلة.
- يمكن أن تكون الأدعية في نهاية الخطبة متناسبة مع مضمونها.
- تقسيم النظر إلى المخاطبين عند الكلام.
- ويعتبر المسرح، الفيلم، العرض، الكتاب، المجلّة، الجريدة، والخطابة من جملة أنواع ووسائل وأدوات التبليغ.

آفات التبليغ

الآفة هي كلّ ما يؤدّي إلى النقص أو الفساد في شيء آخر.

آفات الكلام عبارة عن:

١- السكوت الذي يحصل في وسط الكلام.

٢- الحديث على وتيرة واحدة.

٣- عدم التوازن في حركات الأعين، الرأس واليد مع الكلام.

٤- عدم البلاغة في المقدّمة والدخول والخروج وتنظيم المطالب وكذلك النتيجة.

٥- عدم وجود الشجاعة اللّازمة والوقوع تحت تأثير المجلس.

٦- عدم التوازن في قوّة الصوت وضعفه.

٧- الاعتماد على كلام غير مفيد.

٨- الاستفادة غير المناسبة من المكتوبات على المنبر.

٩- المضمون الضعيف.

١٠- الأخطاء الأدبيّة واللفظية وعدم مراعاة مسألة اللغة.

١١- الانتقال إلى الحواشي والهروب غير المناسب من المضمون.

١٢- عدم استعما ل الألفاظ التي تدلّ على الاحترام.

١٣- عدم الوفاء بإتمام الكلام.

١٤- الإفراط والتفريط في التجليل للمعصومين عليهم السلام والعظماء وذكر أسمائهم.

١٥- عدم قراءة الأبيات الشعريّة بلحن صحيح.

١٦- الإفراط والتأكيد المتكرّر على بعض المسائل.

١٧- الحديث بلحن العتاب والإهانة.

١٨- طرح المسائل السياسيّة بشكل شعاريّ.

١٩- الاستفادة من الكلمات العربيّة وعدم ترجمتها.

٢٠- الضعف في المعلومات العامّة.

٢١- كون المنبر بسيطاً وعادياً.

٢٢- عدم الاعتياد عند قراءة المصيبة على اللحن المخصوص.

٢٣- عدم قراءة العبارات العربيّة بشكل صحيح وواضح.

٢٤- الضعف في ترجمة الأحاديث.

٢٥- عدم الإعلان عن موضوع الخطاب.

٢٦- اختيار عنوان قبيح للخطاب.

٢٧- عدم تناسب الدعاء الأخير مع الخطاب.

٢٨- طرح البحث بشكل مشتّت.

٢٩- نسيان الذات، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[1].

٣٠- الاستعانة باللهجات المحليّة في الخطابات.

٣١- العجز عن استعمال الكلمات أو استعمالها بشكل غير مفهوم.

٣٢- الصوت القبيح الخشن.

٣٣- ردة الفعل السريعة مقابل الشائعات.

٣٤- إنكار ورفض الواقعيّات ومخالفة الفطريّات.

٣٥- مدح المضيف أكثر من الحدّ.

٣٦- البساطة والثقة السريعة بالجميع.

٣٧- كثرة الكلام المؤدّي إلى الملل في توضيح المطالب.

٣٨- الإشارة إلى الخلافات الدينيّة والقوميّة سواء عن قصد أو غير قصد.

٣٩- الوقوف إلى جانب مجموعة أو شخص معيّن بدل الوقوف إلى جانب الحقّ.

٤٠- النقص في وسائل الإعلام كمكّبر الصوت..

غرور المبلّغ الذي تسبّبه عوامل متعدّدة:

أ - تمجيد المستمعين.

ب - تقديم خطاب جميل والشعور بالموفقيّة.

ج - كثرة المجتمعين والمستمعين.

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

د – وجود مستمعين بارزين من حيث المستوى العلميّ أو الاجتماعيّ أو السياسيّ.

هـ – مكان الخطاب كالمسجد الجامع للمدينة، الجامعة، المحافظة، مقام الإمام أو ما شابه ذلك.

و – سابقة الخطيب...

٤١– التنقّل مع الأشخاص السيِّئي السمعة.

٤٢– الحسد وعدم تحمّل الزميل.

٤٣– التحليلات الخاطئة والكلام الباطل، وبالتالي البدعة والالتقاط.

لاحظوا معي الآيات التالية:

- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[١].
- ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾[٢].
- ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٣].
- **«من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب»**.
- ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾[٤].

٤٤– أن يصبح الشخص أسير العادات كاللّعب بأزرار اللباس، كثرة وضع اليد على اللحية، إغلاق الأعين...

- الكلام بشكل سريع.
- الكلام المدير (كالتحدّث بشكل أمريّ).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٤٤.

- الحركات السريعة التي تدلّ على الاضطراب والعصبيّة.

المبلّغ وما ينبغي له .

- الإخلاص لله تعالى.
- يجب أن نعلم أنّ شخصية المبلّغ مقدّمة على بيانه.
- احترام الأشخاص ومراعاة الأعمار.
- تواضع المبلّغ.
- الرفق والمداراة وسعة الصدر.
- المرح.
- شهامة قول الحقّ.
- الشجاعة لقول «**لا أعلم**».
- احترام جميع الناس بالأخصّ المستضعفين منهم.
- الامتناع عن مجالسة الأغنياء.
- المشاورة وقبول النقد.
- الاهتمام بالنظافة والترتيب.
- الحياة البسيطة.
- الاهتمام بالآداب الاجتماعيّة الأخلاقيّة.
- العمل بالقول.
- العفّة بالأخصّ فيما يتعلّق بالنساء.

- أن يكون المبلّغ عالماً (في مجالات العقائد، الأحكام، الأخلاق، الآداب، تفسير القرآن، الحديث، التأريخ، المسائل الحديثة ...).
- أن يكون المبلغ عادلاً.
- أن يكون المبلّغ عاقلًا.
- المعرفة بالكلام وحفظ شروط البلاغة.
- تحريك الحاضرين من خلال توجيه سؤال.
- المحافظة على مستوى خاصّ للصوت.
- أن يكون المبلّغ على طهارة ووضوء.
- أداء ركعتي صلاة قبل الصعود إلى المنبر.
- ـ التوسّل بمحمّد وآل محمّد قبل الصعود إلى المنبر.
- أن لا يتراجع المبلّغ عن موقفه بعد هيجان المستمع.
- يجب أن يدرك المبلّغ أنّ الشخصيّة المطلوبة هي الشخصيّة السالمة الصحيحة، التي يمكنها التعامل مع كل مجموعة بحسبها.
- العطف والليونة.
- عزّة النفس.
- الوعد بتقديم الجوائز والهدايا بعد إحضارها.
- إنّ الحديث عن الذات قد يؤدّي إلى الحطّ من قيمة المبلّغ لدى المستمع ويترك لديه آثاراً سلبيّة.

تنظيم الخطاب

يجب الإشـارة بداية إلى أنه لا يجب التضـحية بالمطلـب لأجل المنبر. وكذلك يجب الإشـارة إلى ضـرورة تقديم الكلام الجيّد في قالب جيّد ليكون مؤثّراً. طبعاً يجب عدم نسيان حاجة الناس والمخاطبين.

- في البداية يجب جمع المطالب.
- أن تكون المطالب مدعّمة بمصادر إسلاميّة غنيّة.
- تدوين المطالب على الورق.
- تدوين المصادر والإشارة إليها من على المنبر.
- التدقيق في الكلام الذي ترغب بقوله.
- يجـب أن يمتلـك المبلّـغ نوعين مـن المطالعة: الأولـى لفهم المطلـب والثانية لتوضيح أسلوب تفهيم المطلب.
- إعداد الإشكالات والأسئلة والعمل على الإجابات.
- المعرفة بجوانب الموضوع حتّى وإن كانت إجماليّة.
- كتابة المطلوب من الكلام بشكل واضح.
- تقديم المطلب كما يستحقّ في الوقت المحدّد.
- يمكن الإشـارة في الخطابـة إلى اللطائف، ذكر الأمثال، القصـص، الحوادث التاريخيّة والشعر.
- الإفصاح عن النتيجة في اللحظات الأخيرة.
- ختم المطلب بقراءة المراثي المتعلّقة بأهل البيت عليهم السلام.

- تدوين موضوع الخطاب، وتاريخه، زمانه ومكانه في دفتر خاصّ.

المراثي في التبليغ

- من الضروريّ التحدّث بمصائب أهل البيت عليهم السلام ، طبعاً يجب أن يكون ذلك بشكل سريع، حزين، مقبول مع تصبُّر ونغمات مأنوسة. وذلك بالاستعانة بالأشعار والمقاتل الصحيحة.
- اطّلاع المبلّغ على ما في المراثي من تحريفات وأكاذيب حتّى لا يُبتلى بها.
- أن تتناسب المراثي مع الخطبة قبلها ومع المدّة المقرّرة.
- تأدية المرثيّة بلغة «المحاورة» حيث تكون مقبولة أكثر من لغة «الكتاب».
- يجب أن يمتنع المبلّغ عن قراءة المراثي التي يفهم منها ذلّة أهل البيت عليهم السلام .
- الامتناع عن ذكر أعداد المحاربين أو القتلى..
- الابتعاد عن المراثي الطويلة المملّة.
- عدم الشروع بالمرثيّة قبل التمهيد.
- يجب أن يدرك المبلّغ أنّ هدف المرثيّة ليس «البكاء» وعلى فرض كان البكاء مقبولاً فلا يجب أن يكون وسيلة للاستفادة من أي طريق (كالكذب).
- الاستفادة من العبارات التي كانت رائجة في تلك الأيّام.
- الامتناع عن قراءة المراثي التي فيها نوع من التفجّع.
- الكناية في ذكر المصيبة أفضل من التصريح.

المستمع والمخاطب

- من المهمّ في التبليغ معرفة المخاطب. والمبلّغ الموفّق هو الذي يمتلك نوعاً من المعرفة الروحيّة والنفسـيّة والذي يشخّص الأمور بناءً على الشكل. ومن جملة الأمور التي يجب الالتفات إليها هنا، الاختلافات الشخصيّة بين البشر.

يجب الالتفات إلى الأمور الآتية في معرفة المخاطب:

- الالتفات إلى أعمار المخاطبين.
- الالتفات إلى جنسهم (رجل، امرأة).
- تابعية المخاطب (إيرانيّ، أوروبيّ، أفغانيّ، كرديّ...).
- قدرته على الاستيعاب (القدرات الذهنيّة).
- الاعتقادات (مؤمن، جاهل، معاند، مفسد،...).
- الجانب الثقافيّ (متعلّم، جاهل، أستاذ).
- الجانب الاقتصاديّ (ثريّ، فقير...).
- الجانب الاجتماعيّ (مدير، موظّف...).
- الجانب الجغرافيّ (جنوبيّ، شماليّ، غربيّ...).
- الجانب السياسيّ.
- اللغة واللهجة.
- المهارات الاجتماعيّة للمخاطب (رياضيّ، فنّان، ...).
- النموّ الجسميّ للأفراد (سمين، ضعيف، طويل، قصير...).
- الظروف البيئيّة والمحيط التربويّ.

- الاعتقادات والمظاهر الدينيّة للمخاطب.
- الاهتمام بحاجات المخاطب (حاجات عامّة، خاصّة).
- الاهتمام بزمان المخاطب.
- الاهتمام بالمكان، ومعرفة المكان (مسجد، مدرسة، ...).
- الاهتمام بالكتب التي تجمع كتب الوعّاظ. طبعاً يجب الإشارة إلى أنّه من الخطأ حفظ عين تلك المواعظ لأنها كانت مختصّة بمخاطبين خاصّين في زمن خاصّ بل يمكن الاستفادة منها بأشكال أخرى.
- احترام شخصيّة المخاطب في الخطب وعند ذكر الأمثال.
- تقسيم النظرات بين جميع المخاطبين بشكل عادل.
- معرفة كيفيّة تأثّر المخاطبين من قبيل:
- قيم المجتمع وأسباب صحّتها.
- الالتفات إلى مقاومة المخاطبين.
- الإبداع والإتيان بالجديد.
- الاهتمام بقادة المجتمع المفكّرين والوسائط (مدراء المجتمع، الوالدين، المعلمين...).

معرفة إجماليّة بأعمار المخاطبين

الأطفال

- يهتمّ الأطفال بشكل بارز بالشخصيّة وكيفيّة الكلام وصلاة القدوة.
- يجب مخاطبة الأطفال دائماً بكلام موجز، جميل وبليغ.

- الالتفـات إلى حاجاتهـم العاطفيّة، لأنّهم يعتبرون شخصـيته مصـدر المحبّة ويظهرون ميلاً للتعاطي.
- يلتفت الأطفال إلى الأعمال أكثر من التفاتهم إلى الأقوال.

الشباب

- الشباب أكثر الأشخاص حساسية.
- الشـابّ كثير البحث وكثير التفتيش عن الكلام الجديد والسـلوكيات العاطفية والمنطقية.
- للشباب حاجات ودوافع متعدّدة.
- الشابّ هو شخص هرب من الطفولة ويريد الالتحاق بالكبار.
- دائم البحث عن الهويّة الفرديّة والاجتماعيّة.
- الشابّ يبحث عن المثل.
- يحتاج إلى الهداية والإرشاد والدعم.
- يكتسب الحديث معه أهميّة خاصّة بالأخصّ إذا تمّ التطرّق إلى أوضاعه.
- يجب الابتعاد عند مخاطبة الشباب عن الكلام الأمريّ والسلطويّ والتهديديّ.
- يحبّون أن تتكلّم معهم بلغة بسيطة، مفهومة، نابعة من الحكمة والصداقة.
- يحبّون إعطاءهم مجالاً للسؤال والاعتراض وبعض الأوقات للمخالفة.
- يحبّون أن تكون شخصيّتهم كما هي عليه حتّى لو لم نرتضِ بذلك.
- ينبغي أن يقوم المبلّغ بتشجيع النقاط الإيجابيّة في شخصيّتهم.
- كلّ النـاس تميـل إلـى المحبّة وترفض الإهانـة والتحذير، ويظهر هـذا الميل

بوضوح عند الشباب.

- يقبلون الاستدلال الكلاميّ الذي يصاحبه أحاسيس وعواطف.

الكبار

- - يصعب على الكبار الجلوس إلى جانب الصغار والأطفال.
- اعتادوا على عقائد خاصّة.
- قليلو الصبر.
- تكون أعمارهم أكبر من عمر المبلّغ عادة. لذلك من الضروريّ رعاية احترامهم.
- وجودهم في المجلس غنيمة وقيمة.
- ينبغي أن يعرفهم المبلّغ بالاسم، ويسأل عنهم عند غيابهم.

أسباب تعب المخاطَب

- يتعب المخاطَب إذا كان الكلام على وتيرة واحدة.
- إذا كانت المطالب ثقيلة وذات مستوى عالٍ.
- عند عدم الاستعانة باللطائف والعواطف.
- عند إطالة الخطبة.
- وقوع الخطبة في زمن سيِّئ.
- عند كون المكان غير مناسب للخطبة من ناحية:

أ - التهوية.

ب - النور.

ج - البرد والحرارة.

د – الضجيج الخارجيّ.

هـ – عدم عمل المكبّرات بشكل سليم.

- إطالة البرنامج قبل الخطبة.
- وجود المنبر في مكان غير مناسب مثلاً إذا كان المستمع لا يرى الواعظ.
- عند التزاحم بين الموعظة وبرنامج آخر، كوجود فيلم أو مباراة رياضيّة..
- عند وجود ضغط على المستمع في عمله.
- بُعد مكان الخطبة عن أماكن وجود المستمعين.
- عند عدم أهميّة موضوع الخطبة.

ثقافة التبليغ (٢)

معاونيّة التبليغ في مكتب الإعلام الإسلاميّ - خراسان

مقدّمة:

أشــرنا في الحلقات الماضــية إلى أهميّة وحساســية مقولة التبليــغ الدينيّ في العصــر الراهن والعلاقة العميقــة التي تربط التبليغ بالعلــوم المختلفة والمناهج الجديدة والحديثة بالأخصّ في مجال الإعلام. وأشرنا إلى المسؤوليّة الملقاة على عاتقنا والتي تفرض علينا مساعدة المبلّغ في التبليغ.

المبلّغ وأساليب توضيح العقائد

تمتلك معارف الدين الإسلاميّ الخصائص الآتية:

١- العمق والسعة

٢- الدقّة

٣- الجاذبيّة

٤- استقبال الناس لها

٥- التطابق مع الفطرة

- يجب أن يتحدّث المبلّغ عند توضــيح العقائد بشكل عميق، دقيق، واسع، مطابق للفطرة وجاذب.

- أراد الله من المبلّغين تبليغ الأمور الآتية: العقائد الحقّة، الأعمال الصالحة، الأخلاق الفاضلة. يقول المرحوم الطبرسيّ في تفسير الآية الشريفة: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾[1] «وفي هذا دلالة على أن من أجلّ الجهاد وأعظمه منزلة عند الله سبحانه، جهاد المتكلّمين في حلّ شبه المبطلين وأعداء الدين»[2].
- العقيدة هي مبدأ ومصدر الأخلاق والسلوك.
- إنّ المسألة الأولى التى دعا الأنبياءُ الناس إليها، هي عبادة الله وتوحيده.
- جاء أعرابيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، علِّمني من غرائب العلم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل من غرائبه»؟ قال الرجل: ما رأس العلم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «معرفة الله حقّ معرفته»[3].

ويقول الإمام عليّ عليه السلام: «معرفة الله أعلى المعارف»[4].

أساليب توضيح العقائد

- توضيح موضوع البحث
- إقامة الدليل وإثبات المدّعى.

أنواع الدليل:

١- الدليل العقلي المحض الذي تكون مقدّماته عقليَّتين كبرهان الوجوب والإمكان.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٢.
(٢) مجمع البيان، ج٧-٨، ص١٧٥.
(٣) بحار الأنوار، ج٣، ص٢٦٩.
(٤) غرر الحكم، ص٨١.

٢- **الدليل العقليّ غير المحض حيث تكون المقدّمة الكبرى عقليّة والصغرى غير عقليّة كبرهان النظم.**

٣- **الدليل النقليّ كبحث المعاد والإمامة.**

هناك بعض المسائل الاعتقادية التي لا يمكن إثباتها إلّا عن طريق الوحي. لأنّها من جملة المسائل الغيبيّة التي تفوق إدراك العقل مثل: حوادث القيامة.

طريق النقل غير محصور بالوحي. ويمكن إثبات بعض العقائد الدينيّة عن طريق النقل غير الوحي. طبعاً إذا كان النقل متواتراً أمثال: معجزات الأنبياء. يمكن الاستناد إلى أقوال وآراء المتخصّصين في مختلف العلوم لإثبات بعض العقائد، لأنّها ستكون مفيدة للإقناع حتّى لو كانت غير يقينيّة. مثال ذلك: الميل الفطريّ نحو الله تعالى.

لا يخلو الشكل الظاهريّ والهيكل المنطقيّ للدليل من ثلاث حالات: **القياس، الاستقراء، والتمثيل.**

القياس: الاستدلال من الكلّيّ إلى الجزئيّ، مثال ذلك: كلّ حادث فهو يحتاج إلى مُحدث. فالعالم يحتاج إلى محدث.

الاستقراء: الاستدلال من الجزئيّ إلى الكلّيّ.

يُستفاد من هذا الأسلوب في العلوم الطبيعيّة حيث يقومون بإجراء التجارب على فرضيّة ما حتّى يصلوا في النهاية إلى قانون عامّ.

قد لا يُستخدم هذا الأسلوب بشكل واسع في العلوم الإلهيّة وإثبات العقائد الدينيّة. أمّا الأشخاص فيستخدمون هذا الأسلوب في حياتهم اليوميّة بشكل واسع وكبير. إلّا أنّ هذا الاستقراء من جملة الاستقراء السطحيّ وغير الدقيق، أمّا الاستقراء العلميّ فهو دقيق ومنطقيّ.

التمثيل: الاستدلال من الجزئيّ إلى الجزئيّ.

ويصحّ هذا الأسلوب عند علمنا بحكم جزئيّ فنحكم على الجزئيّ المشابه له. لعلّ هذا الأسلوب هو الأكثر رواجاً واستعمالاً في حياتنا اليوميّة. ويجب أن نعلم أنّ التمثيل يؤدّي إلى اليقين إذا كان وجه الشبه بين الأصل والفرع هو علة الحكم، حيث يثبت حكم الفرع بالاستناد إلى قانون العليّة.

مثال ذلك: علّة حرمة الشراب كونه مسكراً. وعليه يكون الزبيب المسكر حراماً أيضاً. ويمكن الاستعانة بهذا الأسلوب في الأمور التي نجهل الحكم فيها حيث يكون لها الأولويّة بالنسبة إلى التي نعلم الحكم فيها، فإذا كان الأنبياء يموتون فمن الأولى أن يموت الناس. إنّ التمثيل في الواقع ما هو إلّا نوع من التشبيه. ويكثر استخدام هذا الأسلوب في علم الكلام والإلهيّات.

مثال ذلك: إذا كان لا يعقل وجود آلة تصوير من دون صانع عالم وقادر فمن الأولى أن يكون للعين صانع عالم وقادر.

ملاحظة: التمثيل والتشبيه نوعان:

١- **الإثباتيّ.**

٢- **الموضح الذي يمتلك جانباً تبينيّاً وتوضيحيّاً، وهذا يعني تبيين وتوضيح المطلب الذي يمتلك دليلاً عقليّاً أو نقليّاً.**

يعتبر هذا الأسلوب مفيداً في توضيح المعاني العقليّة غير المحسوسة وقد ذُكر في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

مسألة مهمّة: ينبغي في التمثيل التوضيحيّ عدم استعمال مثال يؤدّي إلى ارتسام صورة غير واقعيّة في ذهن المخاطب.

مثال ذلك: في بحث التوحيد ينبغي عدم الحديث عن مثال السائقين والسيارة.

فالكثير من الطلّاب يدركون أنّ سيّارة واحدة يمكن قيادتها بوساطة سائقين، بل يمكن ذكر مثال اللوحة والرسّامين، ومن ثَمَّ يمكن القول: لو كان في العالم ناظمون، لما استقرّ النظم ولما وجد التعاون.

- الاعتراف بالعجز عن الإجابة عن بعض الأسئلة أفضل من إعطاء جواب غير صحيح.
- يقسم الاستدلال من ناحية المادّة وأنواع الموادّ المستعملة فيه إلى خمسة أقسام: **البرهان، الجدل، الخطابة، الشعر، المغالطة**.
- **البرهان**: هو الاستدلال المؤلّف من مقدّمات يقينيّة والهدف منه إثبات الحقيقة.
- **الجدل**: هو الاستدلال المؤلّف من مقدّمات مشهورة ومسلّمة والهدف منه الإلزام (أن لا يتمكّن الرقيب من إنكار نتيجة الاستدلال).
- **الخطابة**: هي الاستدلال المؤلّف من مقدّمات مقبولة ومظنونة والهدف منها الإقناع.
- **الشعر**: هو الاستدلال المؤلّف من قضايا خياليّة وهو يشتمل على المجاز، الاستعارة، الكناية والتشبيه، وهو يترك آثاراً على روح وأحاسيس المستمع وليس على عقله.
- **المغالطة**: هي الاستدلال المؤلّف من قضايا شبيهة بالمشهورات أو اليقينيّات. وتنبع هذه القضايا من الوهم. أي أنّ الوهم الذي يدرك المعاني الجزئيّة قد يصدر أحكاماً كليّة هي في الواقع من اختصاص العقل. ومن هنا تصدر عن الوهم القضايا المشابهة للمشهورات أو اليقينيّات. لذلك كانت المشبّهات والوهميّات موادّ المغالطة.

مثال: الحكم العقليّ الكليّ: «كلّ موجود جسمانيّ، يحتاج إلى مكان» صحيح وهذا الحكم الجزئيّ والوهميّ «الموجود الجسمانيّ الفلانيّ، يحتاج إلى مكان» صحيح أيضاً. إلّا أنّ الحكم بأنّ كلّ موجود يحتاج إلى مكان غير صحيح، والعقل وحده يدرك عدم صحّة ذلك؛ لأنّ الموجود غير المادي كالله تبارك وتعالى، لا يحتاج إلى مكان. طبعاً الوهم غير قادر على القيام بهذا التفكيك، فيجري حكم الحاجة إلى المكان على الله تعالى.

أشار القرآن الكريم إلى ثلاثة أشياء واعتبرها أساليب للدعوة:

الحكمة، الموعظة الحسنة، والجدل.

الجدل: هو الكلام الذي يُراد منه إبطال كلام الطرف المقابل، وأكثر أنواعه رواجاً هو إبطال رأي المخالف من خلال الأفكار والآراء المقبولة عنده.

- إذا فقد الجدل الشروط المذكورة له في علم المناظرة، فلن يكون من أنواع الجدل الحسن، مثال ذلك أن يعمد المجادل إلى الاستفادة من المظنونات والمقبولات أو اليقينيّات غير المشهورة بدل الاستفادة من المشهورات والمسلّمات.

يعتبر القرآن الكريم أنّ شرط الحُسن ليس كافياً للجدل، وأوصى بالجدال بالأحسن. سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الجدال غير الأحسن فذكر نموذجين له:

أ - الاكتفاء في جدال أهل الباطل بإنكار كلامهم من دون إقامة أيّ دليل.

ب - أن يتحدّث أهل الباطل بكلام حقّ ويكون الهدف من ذلك الاستفادة منه لمصلحته، بينما يرفض المجادل قول الحقّ حتّى لا يستفيد منه أهل الباطل.

أسلوب المشاركة في البحث ومراحله

١- يُكتب الموضوع المبحوث عنه على اللوح.

٢- يُطلب من الحاضرين ذكر ما لديهم من معلومات حول الموضوع.

٣- تدوين ملاحظات الحاضرين على اللّوح.

٤- دراسة النظريّات المقدّمة وتبيين نقاط قوّتها وضعفها.

٥- توضيح الجواب الصحيح والكامل.

ملاحظة: يؤدّي هذا الأسلوب إلى ما يأتي:

أوّلاً: إخراج الصّف من حالة عدم الاهتمام.

ثانياً: إيجاد حالة من المنافسة السليمة.

ثالثاً: سيزداد اهتمام الحاضرين بالبحث بسبب مشاركتهم.

رابعاً: ستزداد قدرة الإبداع عند الحاضرين.

مثال ذلك: لنلاحظ أسلوب الإمام عليّ عليه السلام كيف وضع إحدى الآيات الشريفة موضع البحث. سأل الإمام عليه السلام أصحابه عن أكثر الآيات التي تحمل الأمل، فأجاب الأصحاب ذاكرين الآيات الآتية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١].

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[٢].

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ

(١) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1].

بعد ذلك خاطبهم الإمام عليه السلام معتبراً أنّ جميع الآيات الشريفة تحمل الأمل، إلّا أنّه سمع من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّ الآية المقصودة هي الآتية:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[2].

أسلوب السؤال والتشجيع ومراحله

١- طرح الأسئلة التي تتناسب مع مستوى المخاطبين الفكريّ (كلّم الناس على قدر عقولهم).

٢- يفترض إعداد جائزة للجواب الصحيح من أجل التشجيع.

٣- ينبغي إعلام المتعلّمين بالمصدر الذي يمكن الاعتماد عليه للحصول على الجواب الصحيح.

٤- يجب الابتعاد عن طرح الأسئلة المعقدة التي قد تبعث على الشكّ والتردُّد عند الطلّاب والمتعلّمين.

٥- يجب أن ينبع طرح السؤال من معلومات كافية وكاملة حوله ليمكن تقديم إجابة صحيحة عليه.

٦- يجب أن يطرح السؤال بشكل يسمح بوجود إجابة إجماليّة وتفصيليّة.

٧- الاطّلاع على أنواع الأسئلة اللّازمة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٤؛ أصول الكافي، كتاب التوحيد، باب حدوث العالم.

المبلّغ وتوضيح الأخلاق

- لعلّ توضيح الأمور والمسائل الأخلاقية من الأمور المهمَّة جداً. وكما أن فقدان الأخلاق يؤدّي إلى أضرار كبيرة، كذلك فقد يحصل الضرر من قبل أصحاب الأخلاق غير الصحيحة (الجاهل المتنسّك). يجب توضيح الفضائل إلى جانب الرذائل والتعرّف على الحدود الفاصلة بينهما، ويجب توضيح المفاهيم الأخلاقيّة بشكل دقيق وعميق حتّى لا تختلط المفاهيم مع بعضها، فقد يخلط البعض بين التوكّل والكسل، والغرور وعزّة النفس، والتسليم والحقارة.

وقد أخبر إمام العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف عن وجود هذه المشكلة في آخر الزمان، وذلك في الدعاء المنسوب إليه: «... **وعرفان الحرمة**».

- ينبغي للمبلِّغ وقبل توضيح الصفة الأخلاقيّة، العمل بها وذلك بهدف أن يكون عمله مؤثراً.

المبلّغ وتوضيح المسائل السياسيّة

- يجب أن نتحدّث بمسائل أعلى من القضايا السياسيّة.
- تقديم المعرفة السياسيّة يختلف عن التحزّب لمجموعة أو فرقة خاصّة.
- يجب الإشارة إلى الكليّات اللّازمة والضروريّة التي تمهّد للأبحاث السياسيّة والاجتماعيّة. مثال ذلك: أسباب انتصار أو فشل إحدى الثورات.
- يجب أن لا يشير كلام المبلغ إلى تأييده جناحاً سياسيّاً خاصّاً.
- إذا كنّا نرغب بالحديث عن المسائل الدينيّة أقلّ من المسائل السياسيّة، علينا أن نلتفت إلى أن الناس لا تنظر إلينا بعد ذلك كمبلّغين.
- يجب أن يؤدّي توضيح المسائل السياسيّة إلى إيجاد المعرفة وليس التشنّج.

- المعلومات والتحليلات الصحيحة أمور لازمة للمسائل السياسيّة. وعلى هذا الأساس فمن الأفضل لمن لا يمتلك معرفة سياسيّة عدم الدخول في هذا المعترك.

زمان التبليغ

- لا يمتلك التبليغ زماناً خاصّاً. ولنتذكّر أنّ يوسف عليه السلام كان يبلّغ في السجن، طبعاً لا يمكن إنكار مسألة الاستفادة المناسبة من الزمان والموقف اللذين نوجد فيهما.
- المبلّغ لا يجلس لانتظار زمان التبليغ. بل هو الذي يوجد الوقت المناسب له، وبالتالي يحدّد الزمان وكيفيّة القيام برسالته.
- هناك عبارة مشهورة بين الخطباء، يقولون: «إذا جاء الطعام بطل الكلام» لذلك يجب أن لا يلتقي الإطعام مع الصعود إلى المنبر.

لباس المبلّغ

- ينبغي الالتزام بلباس التبليغ لأنّ ارتداءه تارة وخلعه تارة أخرى يؤدّي إلى آثار سلبيّة على مستوى قداسة المبلّغ.
- يجب أن يكون المبلّغ نظيفاً مرتّباً منظّماً ومعطّراً.
- الأفضل أن يكون اللباس بسيطاً.
- يجب أن لا يمنع اللباس المستمع من الإصغاء إلى الكلام.

المبلّغ ومكان السكن

- ينبغي للمبلّغ رعاية الأمور الآتية:

- يجب أن لا ننسى الاختيار الحكيم لرسول الله ﷺ عند دخوله المدينة المنوّرة، حيث اختار مكاناً يجمع بين رضا الخلق والخالق.
- يجب أن نقوم بأعمالنا الشخصيّة بأنفسنا في منازلنا بحيث لا نؤدّي إلى إزعاج أحد بذلك.
- من المناسب دعوة صاحب المنزل واستضافته.
- ينبغي أن لا ننشر ألبستنا في مكان مفتوح للرؤية.
- ينبغي الامتناع عن ارتياد منازل الأفراد المشكوك بهم والذين هم في محلّ الاتّهام.
- بما أنّ القرى والمناطق البعيدة تفتقر إلى الامكانيّات الموجودة في المدينة، لذلك ينبغي للطلبة أو يوطّنوا أنفسهم على الحياة في هكذا أماكن.
- يجب الاهتمام بنظافة المنزل بما يشتمل عليه من أقسام مختلفة.
- من المناسب أن يعتاد المبلّغ على إحياء العبادات التي تتطلّب النهوض ليلاً (صلاة الليل...) بالأخصّ عندما يكون المبلّغ يشتغل بالتبليغ.
- يجب أن يسارع المبلّغ وقبل الجميع إلى الأمور التي تندرج ضمن المطهّرات.
- من المناسب أن يبادر المبلّغ إلى إحضار بعض الهدايا للأفراد الذين يسكن معهم في مبنى واحد.

المبلّغ والمسائل الماليّة

- إنّ الكلام حول المسائل الماديّة يؤدّي إلى الانتقاص من قداسة المبلّغ.

- يجب إرشـاد النـاس في المسـائل المتعلّقة بالأموال والأوضـاع المعيشيّة مع أنّ التدخّل المباشر قد يضع المبلّغ موضع التهمة.
- كما يكون المبلّغ قويّاً في الأحكام العباديّة، كذلك يجب أن يكون قويّاً في الأحكام الاقتصاديّة. ويجب الإشارة إلى أنّ أكثر من نصف الأحكام تتعلّق بالأمور الماليّة مـن قبيل: الخمس، الزكاة، الوقف، التجـارة، المكاسـب، المعاملات، الهبة، الإرث، الشـركة، الصـلح، الإجارة، الرهن، المضـاربة، المزارعة، المساقاة، الجعالـة، الوكالة، القرض، الحوالة، الكفالـة، الوديعة، العارية، المهر، النذر، الوصيّة، اللقطة، منع التصرّف في المال، الحجّ، الصدقة، الربا، التأمين و...
- لا يمكن أن يصبح التبليغ أمراً ماديّاً معدوداً، وينبغي أن لا نّنزل الأمر السماويّ ليصبح أمراً أرضيّاً، وهذا يعني عدم اعتبار التبليغ مجرَّد وظيفة رسميّة.
- يعتقـد بعض العلماء أصـحاب التجارب أنّ الأموال التـي تأتي من خلال قراءة مجالس أبي عبد الله عليه السلام هي أكثرها حلالاً وأكثرها بركة.
- ينبغي عدم الحديث عن المقابل الماليّ للتبليغ سـواء عن طريق التصـريح أو التلويح.
- يجب أن يدرك الناس أنّه لا يمكن احتسـاب قراءة المجالس الحسينيّة بالمال. وهنا نسـتذكر الإمام الرضا عليه السلام عندما أعطى دعبل الخزاعي مئة دينار في مقابل قراءته لأبيات في رثاء أهل البيت عليهم السلام ثمّ أهداه لباسه واعتذر إليه لأنّ ما قدّمه كان قليلاً.

المبلغ والمسجد

فيما يتعلّق بالمسجد يجب رعاية الأمور الآتية:

١- تفعيل مكتبات المساجد.

٢- الاهتمام بنظافة المساجد.

٣- الاهتمام في الإضاءة، الصوت، التهوية... في المساجد.

٤- إقامة علاقة صداقة مع خادم المسجد وإرشاده إلى بعض الأمور بلطف وهدوء.

٥- يطلق على المسجد اسم «**الجامع**» ولعلّ سبب هذه التسمية يعود إلى كونه جامعاً لكافّة الأطياف والفرق والطبقات، وهذا يعني أنّ المبلغ يجب أن لا يجعل المسجد مكاناً خاصّاً.

٦- المنارتان هما علامتان للإشارة إلى مساجد الشيعة.

٧- الصحيح هو بناء المساجد بالأسلوب القديم التقليديّ وليس بناءً على الفنّ المعماريّ الحديث. طبعاً لا يجب الغفلة عن جمال بناء المساجد.

٨- ينبغي أن لا تكون صلاة الجماعة في المسجد سريعة بحيث لا يتمكّن المأمومون من متابعة الإمام. وينبغي أن لا تكون هادئة بطيئة بحيث تؤدّي إلى فرار الشباب وتعب الكبار.

٩- يجب أن تخضع أعمال أفراد التعبئة في المساجد لسلطة أشخاص ذوي خبرة واسعة وذوي مكانة اجتماعيّة لنمنع بذلك وقوع الأخطاء الناتجة من التسرع..

١٠- التعرّف على مرتادي المسجد والسؤال عن الذي يغيب منهم، فإذا كان مريضاً ينبغي زيارته.

١١- يفضّل أن يحضر المبلغ إلى المسجد قبل الجميع ليكون هناك متّسعٌ من الوقت للإجابة عن المسائل الشرعية ورفع مشاكل الناس.

١٢- من الضروريّ التنسيق مع المساجد الأخرى في برامجها.

١٣- من المستحسن تشكيل فرق للآذان، الإقامة، قراءة القرآن، ترجمة القرآن، مفاهيم القرآن...

أسرار الموفقيّة من وجهة نظر الإمام عليّ عليه السلام (١)

محمد سبحاني

مقدّمة

الإنسان موجود يبحث عن الكمال، وقد وضعت كافّة الإمكانيّات بين يديه للوصول إلى هذا الكمال. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[1]. وأمّا وجود جميع هذه الإمكانيّات بين يدي الإنسان فذلك لأنّ الإنسان يقطع مراتب الكمال بشكل صعوديّ وبإمكانه الوصول إلى توفيقات متعدّدة في الابعاد الماديّة والمعنويّة.

والوصول إلى الأهداف والمقاصد المطلوبة وتذوّق طعم الموفقيّة العذب، يتوقّفانِ على وجود ظروف وعوامل، يمكن من خلالها الوصول إلى تلك الأهداف بشكل أفضل. سنشير في هذا المقال إلى مجموعة من العوامل التي تساعد في الموفقيّة من وجهة نظر الإمام عليّ عليه السلام.

١ ـ التوفيق الإلهيّ

إنّ كلّ إنسان يحتاج للقيام بالأعمال، إلى عناية وتوفيق من الله تعالى ربّ العالمين فما لم يشمله لطف الله، لن يوفّق في القيام بالأعمال، وكلّ سعي غير مؤيّد بالتوفيق الإلهيّ، لن يحمل معه أيّ فائدة.

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**لا ينفع اجتهاد بغير توفيق**»[١].

من جهة أخرى كلّ إنسان يحتاج إلى مرشد للوصول إلى هدفه، ليرافقه على امتداد الطريق. والتوفيق الإلهيّ أكبر مرشد يرافق الإنسان نحو الأمور الحسنة والأعمال المطلوبة. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**لا قائد خير من التوفيق**»[٢].

وكان سفراء الله لا يعتقدون باستغنائهم عن التوفيق الإلهيّ، بل كانوا يطلبونه من الله تعالى في كافّة الأحوال. جاء في القرآن الكريم على لسان شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[٣]. وكتب الإمام عليّ عليه السلام في الجواب عن رسالة إلى معاوية: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[٤].

نعم يحتاج التوفيق الإلهيّ إلى العمل والسعي، فما لم يكن هناك عمل، فليس من المناسب طلب التوفيق من الله تعالى. جاء عن الإمام الرضا عليه السلام: «**من سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه**»[٥].

٢ ـ التديّن والتقوى

إنّ الأساس الأوّل للفلاح هو إطاعة الله والتديّن. بمجرّد أن ظهر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس وأعلن عن بعثته طلب منهم قول «**لا إله إلّا الله**» ليفلحوا. وقد طلب الإمام عليّ عليه السلام من الله المعافاة في الدين فقال: «**نسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان**»[٦].

التديّن والتقوى الإلهيّان من جملة العوامل التي تساعد الإنسان في الوصول

(١) غرر الحكم، الرقم ٤٠٠٢، مركز الاعلام الإسلامي، قم ١٣٦٦ الطبعة الأولى.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١، ص٩٤، الحديث ٣٤.
(٣) سورة هود، الآية: ٨٨.
(٤) نهج البلاغة، الرسالة ٢٨.
(٥) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٥٦، الحديث ١١.
(٦) نهج البلاغة، الخطبة ٩٩.

إلى الآمال الدنيويّة والأخرويّة والحصول على التوفيق. يقول الإمام عليّ عليه السلام في هذا الخصوص: «**فإنّ تقوى الله مفتاحُ سدادٍ، وذخيرةُ معادٍ، وعتقٌ من كلّ ملكةٍ، ونجاةٌ من كلّ هلكةٍ**»(١).

يتحدّث الإمام عليّ عليه السلام حول دور التقوى والتديّن في وصول الإنسان إلى الأهداف ورفع المشكلات:

«**فمن أخذ بالتقوى عَزَبَتْ عنه الشدائد بعد دُنوّها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأَسْهَلَتْ له الصِّعاب بعد إنصابها، وهطلت عليه الكرامة بعد قُحوطها وتحدَّبَتْ عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجّرت عليه النِّعم بعد نضوبها ووبَلَتْ عليه البَرَكة بعد إرذاذها**»(٢).

٣ـ الاستفادة من الفرص

تحصل عند الإنسان في حياته العديد من الفرص التي يمرّ عليها مرور الكرام نتيجة الجهل وعدم المعرفة. الفرص تمضي كالسحاب الربيعيّ(٣)، فإذا مضت فلن تترك إلّا الغصص والحسرات(٤). وإذا التفت الإنسان إلى الموفقيّات التي يحصل عليها، أدرك أنّ لكلّ شيء وقتاً محدّداً وأجلاً معيّناً(٥). فيستفيد من هذه الفرص أحسن وأفضل استفادة.

إنّ الاستفادة المناسبة من الفرص المتوفّرة والقيام بعمل اليوم فوراً وعدم تركه للغد والحساسية اتجاه ثواني العمر، من جملة العوامل التي تؤدّي إلى موفقيّة الإنسان في كافّة المجالات، سواء في المسائل الاجتماعية ـ السياسية أو المسائل المعنويّة.

(١) المصدر نفسه، الخطبة ٢٣٠.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة ١٩٨.
(٣) «الفرصة تمر مرَّ السحاب فانتهزوا فرص الخير»، نهج البلاغة، الحكمة ٢١.
(٤) «اضاعة الفرصة غصة»، نهج البلاغة، الحكمة ١١٨.
(٥) فإن لكل شيء مدة وأجلاً، نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

يذكّر الإمام عليّ عليه السلام بعدّة نقاط حول سرّ هذه الموفقيّة.

أ ـ ضرورة الاستفادة من الفرص بشكل حسن

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**كل مُعَاْجَلٍ يسأل الإنظار وكلّ مؤجَّل يتعلّل بالتسويف**»[1]. فلينتبه الذين لم يفقدوا الفرص بعد وليكونوا طالبين لها كالصيّادين الماهرين.

ب ـ ضرورة العمل أيّام الفراغ وسلامة الجسم.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**فَلْيَعْمل العامل منكم في أيّام مُهْلِه قبل إرهاق أجله وفي فراغه قبل أوان شغله وفي متنفَّسه قبل أن يؤخذ بكظمه**»[2].

ج ـ العمل للاستفادة الكبرى من الفرص

هناك القليل من الفرص التي تحصل للإنسان في حياته، فإذا أحسن الاستفادة منها، عاش العمر في ظلالها. لذلك يجب الاستفادة قدر المستطاع من الفرص التي تحصل، فاليوم الذي يمضي لا يعود على الإطلاق.

يقول الإمام عليّ عليه السلام في هذا الخصوص: «**بادروا بالأعمال عمراً ناكساً أو مرضاً حابساً أو موتاً خالساً**»[3].

٤ ـ محبّة الأقارب

العائلة أوّل تجمّع تتشكّل فيه شخصيّة الإنسان، وهي ذات أهميّة خاصّة. والأبوان اللذان يشكلان النواة المركزيّة لتربية الأولاد، يشكلان مجموعة عظيمة من الأقارب. والعائلة تقوم بدورٍ مهمّ في إيجاد فضاء مناسب يؤدّي إلى تفتّح استعدادات أعضائها. يشبّه الإمام عليّ عليه السلام الأقارب بالأجنحة التي تساعد

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٨٥.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة ٨٦.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة ٢٣٠.

الإنسان للارتقاء نحو الأهداف العالية، لا بل عدم وجودها يمنع الإنسان من الارتقاء إليها. يقول الإمام عليه السلام: «**وأكرم عشيرتك فإنّهم جناحك الذي به تطير وأصلُكَ الذي إليه تصير ويدك التي بها تصول**»(١).

ويقول عليه السلام حول الدور الأساسيّ لهذا المحيط الدافئ في إيصال الإنسان إلى كلّ موفقيّة: «**أيّها الناس إنّه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عترته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم وهم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمُّهم لشعثه وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به**»(٢).

٥ ـ العمل والسعي

تحتاج مواجهة المشاكل والانتصار عليها، إلى إرادة حديدية ليتمكّن الإنسان الاستفادة الكبرى من القوى الدفينة فيه. ليس المطلوب تكبيل اليدين إذ لا يُعدّ هذا مهارة، بل كان العظماء يعملون ويسعون فتمكّنوا من فتح القمم العالية.

السعي والعمل من جملة العوامل التي تساعد الإنسان في الوصول إلى أهدافه. يدعو الإمام عليّ عليه السلام الجميع إلى العمل والاجتهاد ويقول: «**فعليكم بالجِدّ**»(٣). لماذا، لأنّ «**لا يدرك الحقّ إلا بالجِدّ**»(٤) ويوصي الإمام عليّ عليه السلام ابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قائلاً: «**فاسع في كدحك**»(٥) والدليل على ذلك أنّ كلّ من سعى في طلب شيء وجده. «**من طلب شيئاً ناله أو بعضه**»(٦).

ويشجّع الإمام عليه السلام الأشخاص على العمل والسعي ويضرب لهم الأمثال التي

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٣١.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة ٢٣.
(٣) المصدر نفسه، الخطبة ٢٣٠.
(٤) المصدر نفسه، الخطبة ٢٩.
(٥) المصدر نفسه، الرسالة ٣١.
(٦) المصدر نفسه، الحكمة ٣٨٦.

تشـكّل دروساً، في ذلك يقول عليه السلام: «**انظروا إلى النملة في صغر جثّتها... كيف دبّت على أرضها وصبّت على رزقها تنقل الحبّة إلى جحرها وتُعِدُّها في مستقرّها، تجمع في حرّها لبردها وفي وردها لصدرها**»[1] ونشاهد الإمام عليه السلام يدعو ابنه الإمام الحسن عليه السلام إلى الجهاد والعمل: «**وجاهد في الله حقّ جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم**»[2].

تعتمد السـيرة العمليّة للإمام عليّ عليه السلام وبشكل أساسيّ على العمل والاجتهاد سـواء في الأعمال والنشاطات السياسية أو في النشاطات الاجتماعيّة. ويجب على كلّ مـن يدّعي أنّه من أتباع الإمام، التأسّـي به ليبذل كلّ جهده في العمل والسـعي فيستفيد من حياته أفضل استفادة فيمهد الطريق أمامه للموفقيّة.

(١) المصدر نفسه، الخطبة ١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، الرسالة ٣١.

أسرار الموفقيّة من وجهة نظر الإمام عليّ عليه السلام (٢)

محمد سبحاني

تعرضنا في المقال السابق لذكر خمسة أمور من أسرار الموفقيّة من وجهة نظر الإمام عليّ عليه السلام. وفيما يلي نشير إلى ستة أمور أخرى.

٦ ـ وجود هدف

وجود هدف في الحياة هو من اللوازم الأساسيّة للحياة السعيدة ذات المعنى. ويحصل الإنسان على الاطمئنان والهدوء عندما يرسم لنفسه أفقاً واضحاً يبيّن مستقبله ثمّ يسعى برضىً ورغبة داخليّة في الوصول إلى ذاك الأفق. وأسوأ حالة يعيشها الإنسان عندما يشعر بالضياع وعدم وضوح التكليف المطلوب منه.

من جهة أخرى فإنّ كافّة المخلوقات من أكبرها إلى أصغرها، قد وُجد لهدف معيّن، والإنسان واحد من هذه المخلوقات حيث وُجد لأجل هدف أيضاً. من هنا نجد أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**فما خُلق امرؤٌ عبثاً**»[1].

وإذا كان الإنسان لم يخلق من دون هدف، فإن أعماله يجب أن تحصل على أساس هدف معين. وإذا كان الوصول إلى كافّة الأهداف والآمال غير ممكن في هذه الحياة القصيرة، لذلك يجب اختيار أفضل الأهداف.

وأمّا إذا تعدّدت الأهداف والآمال فلن يحصِّل الإنسان نتيجة جهوده سوى

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧٠.

الخيبة والفشل: «من أومأ إلى متفاوت خذلته الحيل»[١] وإذا وصل إلى مكان ما فسيضيّع المسائل الأهم، كما يقول الإمام عليّ عليه السلام: «من اشتغل بغير المهمّ ضيّع الأهم»[٢].

إنّ الشخص الذي يسعى نحو الموفقيّة في الأعمال، عليه تحديد هدفه من البداية ثمّ عليه تحديد أهمّ الأهداف، ثمّ عليه أن يبذل جهوده لتحقيقها، لأنّ موفقيّة الإنسان في الأعمال، تابعة لتلك التي تقوم على أساس التفكير والتدقيق. يقول الإمام عليه السلام: «إنّ رأيك لا يتّسع لكلّ شيء ففرّغه للمهمّ»[٣].

طبعاً هنا يجب الإشارة إلى مسألة مهمّة وهي أنّه لا يجوز للإنسان استخدام أيّ وسيلة للوصول إلى الهدف فالأهداف لا تبيح الوسائل. يقول الإمام علي عليه السلام: «ما ظَفَرَ من ظَفَرَ الإثم به، والغالبُ بالشرّ مغلوب»[٤].

٧ ـ الهمّة

الإرادة هي إحدى القوى الموجودة في باطن وجود الإنسان، وهي قوّة يتمكّن الإنسان من خلال تقويتها من التغلّب على الكثير من المشاكل الروحيّة والجسمانيّة. ومن علامات المؤمن امتلاك إرادة قويّة وهمّة عالية. يقول الإمام عليّ عليه السلام في توضيح صفات المؤمن: «بعيدٌ همُّهُ»[٥] ويعتبر أنّ قيمة وقدر كلّ إنسان بمقدار همته: «قَدْرُ الرجل على قَدْرِ همَّته»[٦].

ممّا يجب الإشارة إليه أنّ الهمَّة العالية لا تتلاءم مع الاهتمام برفاه الأبدان،

(١) المصدر نفسه، الحكمة ٤٠٣.
(٢) غرر الحكم، الرقم ١٠٩٤٤.
(٣) المصدر نفسه، الرقم ٥٥٥.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٧.
(٥) المصدر نفسه، الحكمة ٣٣٢.
(٦) المصدر نفسه، الحكمة ٤٧.

بل يـؤدّي ذلك إلى عدم الموفقيّة. يقـول الإمام عليّ عليه السلام: «فشـدّوا عُقَدَ المآزر واطـوُوا فضـول الخواصـر ولا تجتمـع عزيمة ووليمة»[1]. كذلـك يجب الابتعاد عن الأشخاص الضِعاف الهمّة ويجب عدم الاعتماد عليهم: «ولا تأمننّ ملولاً»[2].

٨ ـ الصديق

خلق الله الإنسـان محتاجاً إلى أخيه الإنسـان، فالمجتمع الإنسـانيّ قد تأسّس علـى أنّ الشـخص محتاج إلى الشـخص الآخر. وهنـا يكون الـدور المطلوب من المجموعـة ذات العمر المتقارب بالأخصّ الأقارب، حسّاسـاً وخطيراً. ويكفي في أهميّة الأصـدقاء القول بأنّ شخصـيّة الإنسـان تقاس على أساس صداقاته. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «فإنّ الصاحب معتَبرٌ بصاحبه»[3].

وممّا لا شـكّ فيه أنّ أصـدقاء الشـخص هم الذين يقومون بالدور الأساس في موفقيّته، وقد يكون نفس هؤلاء الأصـدقاء سـبباً لشـقائه وتعاسـته. يوصي الإمام علـيّ عليه السلام ابنه قائـلاً: «يا بنـيّ إيّـاك ومصادقة الأحمـق فإنّه يريـد أن ينفعك فيضـرّك وإيّـاك ومصادقـة البخيـل فإنّه يقعد عنـك أحوج ما تكـون إليه وإيّاك ومصادقـة الفاجـر فإنّه يبيعـك بالتافه وإيّاك ومصادقة الكـذّاب فإنّه كالسراب يُقَـرِّب عليـك البعيـد ويبعد عليـك القريب»[4] والأصـدقاء الصـالحون يقرّبون الإنسـان مـن الموفقيّـة والفلاح بينمـا الطالحون يبعدونـه عن أيّ نوع مـن أنواع الموفقيّة. ومجالسة الفاسدين تؤثّر في الشخص وتبعث على قساوة القلب وتوصله إلى العذاب الإلهيّ.

يُذكر أنّ شخصاً واسمه «عقبة بن أبي المعيط» كان يعيش في بداية بعثة الرسول

(١) المصدر نفسه، الخطبة ٢٤١.
(٢) المصدر نفسه، الحكمة ٢١١.
(٣) المصدر نفسه، الرسالة ٦٩.
(٤) المصدر نفسه، الحكمة ٣٨.

الأكرم ﷺ وكان عابداً للأصنام في الحجاز، إلّا أنّه كان كريماً مضيافاً. مَرَّ عليه الرسول ﷺ في أحد الأيّام فدعاه لتناول الطعام معه، أخبره الرسول ﷺ أنّه لن يجلس معه على سفرة واحدة إذا كان غير مسلم، عند ذلك تلفّظ بالشهادتين وأسلم. وكان له صديق ويدعى «أبيّ» علم بما جرى فأسرع إلى عقبة يوبّخه على فعله، فأخبره عقبة بأنّ الرسول ﷺ رفض أن يجلس على مائدته حتّى يسلم، فأسلم، عند ذلك خاطبه «أبي» بأنّه قطع صداقته به إلّا أن يعود إلى عبادة الأصنام، ففعل وخرج من الإسلام. ثمّ قتل في بدر على يدي جيش الإسلام. وقتل أبي في أحد. فمات الإثنان مشركين. وفي هذا الشأن نزلت الآيات ٢٧ إلى ٢٩ من سورة الفرقان حيث يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

توضح الآيات الشريفة المتقدّمة الدور المخرّب للصديق الطالح في خلال الإنسان. وتحذّرنا هذه القصّة من مصادقة غير الصالحين. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «لا ينبغي للمرء المسلم أن يؤاخي الفاجر فإنّه يزيّن له فعله ويُحبُّ أن يكون مثله ولا يعينه على أمر دنياه ولا أمر معاده ومدخله إليه ومخرجه من عنده شين عليه»[1].

٩ ـ الاستعانة بالتجارب

الاستفادة من التجارب واحدة أخرى من أسباب الموفقيّة. والذين يرون أنفسهم ليسوا بحاجة إلى التجربة، فلن يصلوا إلى مقاصدهم. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**من غني عن التجارب عُمي عن العواقب**»[2]. إنّ الذي يسعى للوصول إلى الهدف

(١) الكافي، ج٢، ص٤٦٠، ح٢.
(٢) غرر الحكم، الرقم ١٠١٦٢.

المتعالي عليه أن يعبر كافّة الاعوجاجات والصعوبات المزروعة في الطريق ليتمكّن من التغلّب عليها، وعليه أن يعلم أنّ هذا لن يحصل إلّا من خلال الاستفادة من التجارب. يقول الإمام: «كلّ معونة تحتاج إلى التجارب»[١].

ويكفي القول في أهميّة التجربة إنّ حفظ التجارب من علامات العقلاء.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «والعقل حفظ التجارب»[٢]. ويقول الإمام عليه السلام أيضاً: «ومن التوفيق حفظ التجربة»[٣].

إنّ الذين يعملون لأجل أهداف عالية يتربّص بهم أعداء ماكرون. والاستفادة من التجارب تجعلهم عارفين بهذه الحيل. يقول الإمام عليه السلام: «من لم يجرّب الأمور خُدع»[٤].

يجب الاستفادة قدر المستطاع من التجارب الموجودة، إذ لا يوجد شقاء أكبر من عدم الاستفادة من التجارب الموجودة. وقد أكّد الإمام عليّ عليه السلام على هذا الأمر في رسالته إلى أبي موسى الأشعريّ: «فإنّ الشقيّ من حُرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة»[٥].

يواجه الإنسان في حياته الكثير من الأحداث المريرة التي هي من لوازم الحياة؛ لأنّ مواجهة الإنسان للأحداث وتعامله معها هي التي تصنع منه إنساناً ما. ومن الضروريّ مواجهة المشاكل والاستفادة من التجارب الموجودة يقول الإمام عليه السلام: «ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيءٍ من العِظَة»[٦].

(١) البحار، ج٧٥، ص٧، الحديث ٥٩.
(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٣١.
(٣) المصدر نفسه، الحكمة ٢١١.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٤، ص٤٢٢؛ الارشاد، المفيد، ج١، ص٣٠٠.
(٥) نهج البلاغة، الرسالة ٧٨.
(٦) بحار الأنوار، ج٢، ص٣١٢؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

١٠ ـ المشورة

إنّ مشاورة أصحاب الفكر الطاهر والخالص وأصحاب الهمم العالية، تمهّد الطريق أمام الإنسان في الوصول إلى الأهداف المتعالية. وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الناس إلى مشاورة الآخرين ويقوم هو أيضاً بذلك، وقصّة حرب الخندق أكبر شاهد على الأمر. يحتاج كلّ إنسان إلى داعم قويّ يكون سنداً له عند الأزمات. والمشورة واحدة من أبرز الأمور التي تدعمه بالأخصّ مشورة رجال الله العظام. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**لا ظهير كالمشاورة**»[١].

يُستفاد من كلام الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة أنّ المستبدّين بآرائهم والذين يفضّلون عقيدتهم على من سواهم، في معرض خطر عظيم. يقول الإمام عليه السلام: «**والاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه**»[٢].

ويقول الإمام عليه السلام: «**من استبدّ برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم**»[٣].

إنّ ترك المشورة في الأمور المعنوية والماديّة يحمل آثاراً سلبيّة لا يمكن أن تعوّض، ومشاورة الصالحين وأصحاب الأفكار العالية، تجعل الشخص عارفاً بموارد الخطأ والاشتباه وتصونه من الوقوع فيهما. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ**»[٤].

ـ من نشاور؟

ينبغي مشاورة الإنسان صاحب الفهم والعارف بأمر المشورة، والذي يمكن اللجوء

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٥٤.
(٢) المصدر نفسه، الحكمة ٢١١.
(٣) المصدر نفسه، الحكمة ١٦١.
(٤) المصدر نفسه، الحكمة ١٧٣.

إليه للمشـاورة. وينبغي مشاورة من يتحدّث بما يقبله العقل. يقول الإمام عليه السلام: «**لا تشاور من لا يصدقه عقلك**»[1] وينبغي مشاورة الشخص الناصح والعالم وصاحب التجربة، يقول الإمام عليه السلام: «**أمّا بعد فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تورث الحسرة وتعقب الندامة**»[2]. ويقول الإمام عليه السلام أيضـاً: «**أفضل من شاورت ذو التجارب**»[3].

يحذّر الإمام عليّ عليه السلام والي البصرة من مشاورة بعض الأشخاص فيقول: «**ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظنّ بالله**»[4].

١١ ـ النظم والتخطيط

اعتبـر أولياء الإسـلام العظماء أنّ رعايـة النظم والتخطيط فـي الأعمال من جملة المسـائل المهمّة في حياة الإنسـان، فأكّدوا على القيام بذلك. يوصي الإمام عليّ عليه السلام الإمامين الحسـن والحسـين عليهما السلام قائـلاً: «**أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم**»[5].

ينبغي لكلّ إنسـان، إيجاد النظم في أعماله الحياتيّة ليسـتفيد من عمره أفضل اسـتفادة. ومن أبرز ما يدلّ على النظم أن يقسـم الإنسان أوقاته في الليل والنهار على أساس احتياجاته، ليكون النظم هو الأساس لحياته. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**للمؤمـن ثـلاث ساعـات، فساعـة يناجي فيهـا ربّه، وساعـة يَرُمُّ معاشـه، وساعة**

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٠٣، الحديث ٣٣؛ مصباح الشريعة، ص١٥٢، الباب الثاني والسبعون في المشاورة.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣٥.
(٣) غرر الحكم، الرقم ١٠٠٧٥.
(٤) نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.
(٥) المصدر نفسه، الرسالة ٤٧.

يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحلّ ويجمل. وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلّا في ثلاث، مَرَمَّةٍ لمعاش أو خطوةٍ في معاد أو لذّة في غير مُحَرَّم»[1].

النظم والتخطيط، ينظّمان الحياة وهما أفضل وسيلة للوصول إلى الأهداف الكبيرة. ومن خلال النظم والتخطيط نجعل الحياة مثمرة ونبتعد عن ضياع العمر. يقول أحد طلاب الإمام الخمينيّ قدس سره إنّ النظم الدقيق في الحياة من الخصائص المعروفة والمشهورة عند الإمام. وقد وضع لكلّ عمل وقتاً خاصّاً حتّى الأعمال المستحبّة وقراءة القرآن والأدعية، فكلّ من يعرف الإمام قدس سره، يعرف ما هو العمل الذي يقوم به في كلّ وقت[2]. يوصي الإمام عليّ عليه السلام مالك الأشتر ويقول: **«وأمضِ لكلّ يوم عمله فإنّ لكل يوم ما فيه»**[3].

(١) المصدر نفسه، الحكمة ٣٩٠.

(٢) يابه باي آفتاب، أمير رضا ستوده، ج٢، ص١٧٠، انتشارات بنجره.

(٣) نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.

أسرار موفقية المبلغ من وجهة نظر نهج البلاغة (١)

محمد سبحاني

«لا عجب إذا ادعينا أن مقام تبليغ الإسلام، هو إيصال رسالة الإسلام إلى عموم الناس، والتعريف بالإسلام كمدرسة، لا يقل شأناً عن مرجعية التقليد. هو مقام في هذه الحدود»[١].

مقدمة

تعتبر القدرة على البيان والكلام من جملة خصائص الإنسان وما يميزه عن الحيوانات وقد زرع الله تعالى هذه القوة في داخله. ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾[٢].

الخطابة عبارة عن تحريك الأشخاص للقيام بعمل ما أو منعهم منه. لذلك يجب أن تكون الخطابة بأسلوب يؤدي إلى تحريك المخاطبين فتكون الدافع نحو الفعل أو الترك. من هنا كانت الخطابة فناً. قدم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خطابات نافذة ومؤثرة بلغت مرتبتها الأوج حتى كانت شبيهة بالاعجاز، وهو إمام الفصاحة والبلاغة حتى قيل حول كلامه بأنه أدنى من كلام الخالق وأعلى من كلام المخلوق حيث تعلم الكثيرون الخطابة منه[٣]. سنحاول في هذا البحث الرجوع إلى

(١) الشهيد مطهري، الملحمة الحسينية، ج١، ص٣٤٧.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٣ ـ ٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد، ج١، ص٢٤، نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ.ق.

الإمام عليه السلام وكلامه لنستخرج منه أربعة عشر عاملاً من عوامل موفقية المبلغ في ساحة تبليغ الدين ومعارف أهل البيت عليهم السلام وذلك بعدد المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.

١ ـ المعرفة والإيمان بالهدف

إن وجود الهدف في الحياة جزء أساسي من أجزاء الحياة السعيدة ذات المعنى، فالإنسان يصل إلى مستوى السفور بالأمن والاطمئنان الذهني عندما يرتسم الأفق الواضح فيما يتعلق بمستقبله وعندما يسعى للوصول إلى ذاك الأفق انطلاقاً من الدافع والقناعة الداخليين.

يجب أن يمتلك المبلغ معرفة كاملة بالطريق الذي اختاره. وهو عبارة عن هدفه. وبعبارة أخرى يجب أن يعرف الهدف جيداً وأن يعمل وفق الطريق الذي اختاره فيدعو الناس إلى الصراط الإلهي المستقيم انطلاقاً من هذه المعرفة حيث أن **«العامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح»**[١].

مما لا شك فيه أن هناك الكثير من الموانع التي تحول دون الوصول إلى الهدف. المبلغ الناجح هو المؤمن بالهدف، بحيث لا يحرفه عنه أي شيء وأي شخص. الشاهد الأبرز على هذا الأمر، الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان مؤمناً بالهدف إلى مستوى أنه قال: **«لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته...»**[٢].

المبلغ الموفق هو الذي يقتدي بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الإيمان بالهدف. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الخصوص وهو أول مبلغ أرسل إلى اليمن: **«انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمَتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هُدىً ولن يعيدوكم في ردى فإن لَبَدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم**

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.

(٢) بحار الأنوار، ج١٨، ص١٨٢.

فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فَتَهْلَكوا»[1].

من أبرز آفات العمل التبليغي التي يبتلى بها العديد من المبلغين سواء المستقرين في أماكن محددة أو الذين يهاجرون مدة طويلة للتبليغ في مكان واحد، اضاعة الهدف أو تتبع أهداف متعددة في المنطقة. إن المبلغ الذي يتمحور عمله حول نشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام، لا يجب أن تشغله الأعمال الأخرى عنه ولا يجب أن يشتغل بأمور أخرى إلى جانب العمل التبليغي، بحيث يصبح تبليغ الدين هدفاً ثانوياً له.

يتوجه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشخاص الذين يتتبعون أهدافاً متعددة ويوصيهم ثم يقول: «مَنْ أومأ إلى متفاوت خذلته الحيل»[2]. إذا لم يكن لدينا هدف سوى تبليغ الدين وإذا كان الأعداء يعملون ليل نهار تحت عناوين متعددة لإلقاء الشبهات بين الجيل الشاب وبالتالي ادخال الشكوك إلى المبادئ الدينية وتشويه الأجواء في إيران الإسلام، لذلك يجب أن يكون هدفنا الأعلى، القضاء على الباطل وتثبيت الحق. يتحدث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى عبد الله بن عباس ويقول: «... ولكن اطفاء باطل أو إحياء حق»[3] وكم هي جميلة العبارات التي أنزلها العزيز الحكيم حين يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢ ـ العلم

من جملة وظائف المبلغ تقديم العلم والمعرفة للمستمعين. وإذا كان الشباب والمتعلمون يشكلون حالياً غالبية أفراد المجتمع الإسلامي، فيجب على المبلغ

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٩٧.
(٢) المصدر نفسه، الحكمة ٤٠٣.
(٣) المصدر نفسه، الرسالة ٦٦.

زيادة معرفته وعلمه باستمرار فلا ينبغي أن يشعر بأنه مستغنٍ عن المطالعة. أوصى الإمام علي عليه السلام أن يكون الحديث منطلقاً من العلم والمعرفة: «لا تقل ما لا تعلم»[1].

يجب الاهتمام بالعلم والتعلم قبل فوات الفرص ويجب أن ننهل معارف الدين من مدرسة أهل البيت عليهم السلام. يقول الإمام علي عليه السلام: «فبادروا العلم من قبل تَصْويح نَبْتِهِ ومن قَبلِ أن تُشْغَلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله»[2].

المبلغ الناجح هو الذي يمتلك إلى جانب المعلومات الدينية، معلومات حول الأعمال الاجتماعية والسياسية والعمرانية. لأن القيام ببعض هذه الأعمال من دون علم ومعرفة يؤدي إلى الفشل.

ينبغي على المبلغ أن يكون كما مولاه أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بالمسائل السياسية المحيطة طبق الظروف الخاصة بكل زمان. يقول الإمام عليه السلام: «والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللّوْم حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها»[3]. وهذا يعني ضرورة أن أمتلك المعلومات اللازمة فلا يمكن حينها لشيء أن يغافلني.

٣ ـ السبق إلى العمل

من جملة وظائف المبلغ الهامة، قيادة وهداية الناس والقائد يجب أن يسبق الجميع. ويجب أن يكون المبلغ متقدماً على الجميع في العمل بما يبلغ.

يقول الإمام علي عليه السلام: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره»[4].

---

(١) المصدر نفسه، الحكمة ٣٨٢.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة ١٠٥.
(٣) المصدر نفسه، الخطبة ٦.
(٤) المصدر نفسه، الحكمة ٧٣.

إن الشـحص الذي يجعل مـن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قـدوة له في العمل التبليغي، يجب أن يعلم أنه كان الأسـبق في الاتيان بما يوصـي به وكان في كافات السـاحات كالمصـباح الذي يضـيء الظلام. يقـول الإمام عليه السلام حول أسـبقيته: **«ونطقـتُ حيـت تعتعـوا، ومضيت بنـور الله حين وقفـوا، وكنت أخفضهـم صوتاً واعلاهـم فوتاً، فطرت بعنانها واستبـددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لأحدٍ فيَّ مهمزٌ ولا لقائلٍ فيَّ معمر»**[1].

٤ ـ ايجاد التعاون والتعاضد

مـن جملة الوظائـف الملقاة على القائد فـي المجتمع، ايجـاد التعاون والانس والالفـة بيـن الناس. وكما نعلـم فإن بعض الخلافات تنشـأ بيـن المجموعات في المجتمع أو المدن أو القرى ومن أبرز مظاهر هذه الخلافات، السياسية والحزبية والقبلية حيث قد تؤدي بعض الأوقات لتشـكل عائقاً أمام تقدم المجتمع. هنا يأتي دور المبلغ الذي يجب أن يمتلك الدراية الكاملة لحل كافة هذه الاختلافات من دون أن ينتسـب إلى أي حزب أو قبيلة. علـى المبلغ أن يكون كالخيط الذي يجمع حبات المسـبيحة المتفرقة مع احتفاظه بهويته وحقيقته. يتحدث الإمام عليه السلام حول دور القائـد في المجتمع وهو بعينه الـدور المطلوب من المبلغ: **«ومـكان القَيّم بالأمر مـكان النظـام من الخرز يجمعه ويضمه فإن انقطـع النظام تفرق الخرز وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً»**[2].

٥ ـ الاخلاص

يعتبـر الاخلاص مـن أوائل الصـفات التي يجـب أن يتحلـى بها مبلـغ الدين والاخلاص من أبرز عوامل وأسـباب تأثير تبليغ الأنبياء وسـر بقاء مدرسـة أهل

(١) المصدر نفسه، الخطبة ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة ١٤٦.

البيت عليهم السلام، فإذا لم يكن التبليغ لله تعالى، لن يترك آثاره على القلوب وبالتالي لن يصل إلى أهدافه.

يضاف إلى ذلك أن خلود الآثار المكتوبة لبعض العظماء يعود إلى جهودهم المخلصة. كان وجود الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأكمله خالصاً لله تعالى. يقول الإمام عليه السلام: «**إنّ من أحَبَّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه... قد اخلص لله فاستخلصه**»[1].

يتمكن المبلغ من الوصول لأهدافه في ظل الاخلاص في العمل وبهذا النحو يكون تبليغه مؤثراً. يجب أن يبادر المبلغ إلى عمله التبليغي انطلاقاً من نية طاعة الله والتقرب إليه بعيداً عن الرياء والمصالح المادية عند ذلك يكون لكلامه وَقْع على القلوب. يقول الإمام علي عليه السلام: «**رحم الله امرءاً... قَدَّمَ خالصاً وعمل صالحاً**»[2] ويقول أيضاً: «**واعملوا في غير رياء ولا سُمعة فإنه من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له**»[3]. ينقل المرحوم الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ومن أراد به الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة**»[4]. يبين الإمام علي عليه السلام أن الصدق والاخلاص يؤديان إلى القضاء على الأعداء بعون من الله تعالى. يقول عليه السلام: «**فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت**»[5].

من أبرز الآفات التي قد تصيب العمل التبليغي أن يجعل المبلغ الأصل للمصالح المادية، المقام، السلطة و... ويبتعد عن الاخلاص لله في عمله لأن الله تعالى يتوجه لأصحاب الأعمال المنطلقة من النية الطاهرة والقلوب الصافية.

(١) المصدر نفسه، الخطبة ٨٧.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة ٧٦.
(٣) المصدر نفسه، الخطبة ٢٣.
(٤) الكافي، ج١، ص٤٦.
(٥) نهج البلاغة، الخطبة ٥٦.

إذا كان المبلغ مخلصاً يتابع نشاطه باهتمام وتضحية ولم يكن لديه هدف سوى هداية الناس، عند ذلك سيكون قادراً على تحمل الأمور غير الملائمة والأمور المزعجة التي قد تصدر من الجاهلين وهذا لن يؤدي إلى ايجاد خلل في عمله التبليغي.

٦ ـ الصبر والاستقامة

يترافق العمل الذي يقوم به الإنسان بنوع من المشقة. ولكل عمل يقوم به الشخص نوع من المشقة والمشكلات التي لا بد من الاختلاط بها. وهكذا حال الأعمال الثقافية إذ يكون لها مشكلات خاصة. والمبلغ الذي يرغب التمهيد لنشاطه الثقافي لا بد سيواجه بعض المشكلات سواء كانت مشكلات ذات علاقة بالعمل التبليغي او الامكانيات الضرورية للحياة. لعل الأمر الهام هنا هو أن الذي يرغب متابعة أعمال أولياء الله وسفرائه يجب أن يزين نشاطه بالصبر على المشكلات سواء كانت سياسية أو اجتماعية[١].

يواجه المبلغ العديد من الصعوبات في مكان تبليغه، لا بل قد لا يوجد مبلغ لا يواجه الصعوبات. يوصي الإمام علي عليه السلام بالصبر عند الصعوبات والبلايا حيث ستكون النتيجة حسنة. يقول: «**وإن ابتليتم، فاصبروا فإن العاقبة للمتقين**»[٢]. ويقول أيضاً: «**واستشعروا الصبر فإنه أدى إلى النصر**»[٣].

لو عدنا إلى الأنبياء وإلى سفراء الله العظام، لوجدناهم صابرين أمام الصعوبات والمشكلات وما تعرضوا له من تعذيب وأذى[٤].

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣. «وصبراً في شدة».
(٢) المصدر نفسه، الخطبة ٩٨.
(٣) المصدر نفسه، الخطبة ٢٦.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥. ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

وتمكنوا بواسطة هذا الصبر من الوصول إلى الأهداف التي كانوا يعملون لأجلها أي ابلاغ رسالة الله تعالى. قد نصادف في مكان التبليغ أشخاصاً يتسببون ببطء العمل التبليغي انطلاقاً من جهلهم وعدم معرفتهم مما يؤدي إلى حالة يأس واضطراب عند المبلغ. هنا يكون الصبر، السلاح الوحيد الذي يمكن من خلاله تجاوز هذه الصعوبات. يقول الإمام عليه السلام: «**رحم الله عبداً... جعل الصبر مطية نجاته**»[1] قد يضطر المبلغ وعلى أثر المشاكل القومية والقبلية والحزبية والسياسية... إلى الانحياز لفريق ما، هنا يقدم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصيته قائلاً: «**عليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد**»[2].

وإذا غلب الجزع وعدم التحمل على المشاكل عند ذلك لا يمكن الحديث عن نجاح في العمل التبليغي. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع**»[3].

يقول الإمام عليه السلام مخاطباً الأشعث: «**إنْ صَبَرتَ جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور**»[4] بناءً على ما تقدم فالصبر من جملة الأسباب التي تؤدي إلى نجاح المبلغ في ساحة تبليغ الدين.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٧٦.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٨٢.
(٣) المصدر نفسه، الحكمة ١٨٩.
(٤) المصدر نفسه.

أسرار موفقيّة المبلّغ من وجهة نظر نهج البلاغة (٢)

محمّد سبحاني

تعرّضنا في القسم الأوّل من المقال إلى ستة أمور من عوامل الموفقيّة في التبليغ. فيما يلي نشير إلى بعض عوامل الموفقيّة الأخرى.

٧ ـ سعة الصدر

ينبغي أن يتمتع المبلّغ الذي يدور عمله في المجتمع مع أفراد متعدّدين، بسعة الصدر كما هو حال أنبياء الله العظام عليهم السلام الذين كانوا يطلبون من الله تعالى أن يمنحهم سعة الصدر في تبليغ دين الله. عندما توجّه نبيّ الله موسى عليه السلام برفقة أخيه هارون لتبليغ دين الله لبني إسرائيل ودعوة فرعون إلى الله، واجها الكثير من المشاكل والصعوبات والحروب... توجّه إلى الله تعالى وطلب ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾[١].

شرح الصدر نعمة مَنَّ الله تعالى بها على الرسول، حيث يقول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾[٢]. ويُفهم من ذلك أنّ سعة الصدر أمر مهمّ للمبلّغ.

هناك بعض الأمور التي تؤثّر في روحيّة الإنسان في العمل التبليغيّ، من جملتها العرقلة، المصاعب، الآلام، المشكلات، الصعوبات، الفشل، التعرّض اللسانيّ

(١) سورة طه، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الانشراح، الآية: ١.

و...، والمبلّغ الموفّق هو الذي يتمكّن من تخطّي هذه الأمور بهدوء وليونة وهو الذي يسعى بتدبيره لرفعها وإزالتها. يعتقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ سعة الصدر وسيلة للقيادة ويقول: «آلة الرئاسة سعة الصدر»[1]. ويشير الإمام عليه السلام في مكان آخر إلى أنّ من صفات المؤمن سعة الصدر وتحمل الآخرين ويقول: «أوسعُ شيء صدراً»[2]. وبعبارة أخرى يجب أن يتمتّع المبلّغ الموفّق بسعة صدر ليتمكّن من استيعاب كافّة المشكلات.

من جملة الأمور الضروريّة واللّازمة في التبليغ تحمّل المشاكل الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة وعقائد المخالفين، فمن لم يكن له نصيب من النعمة الإلهيّة أي سعة الصدر، فسيواجه الكثير من الصعوبات في التبليغ. وكلّما تمكن الإنسان من استخدام قوّته وقدرته في المشاكل الماثلة أمامه، كانت نتائج تبليغه أكبر. يخاطب الإمام عليّ عليه السلام في رسالة وجّهها إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ والي البصرة، ويفرّق فيها بين الذين يتمتّعون بقدرة تحمّل أكبر والذين يتّصفون بقدرة تحمّل أقلّ. يقول: «ألا وإنّ الشجرة البريّة أصلب عوداً والرواتع الخضِرة أرقّ جلوداً والنابتات العذبة أقوى وقوداً وأبطأ خموداً»[3].

يواجه المبلّغون الذين يزورون مختلف أنحاء البلاد الكثير من الصعوبات ويشاهدون مظاهر الحرمان، لذلك يجب أن يكونوا كالشجرة البريّة القادرة على تحمّل أنواع الصعوبات ليتمكّنوا من اجتذاب الناس إلى دين الله.

٨ـ معرفة المخاطب

بما أنّ الإنسان مخلوق حُرّ يمتلك إرادة وحريّة، لذلك يسعى إلى إيجاد تغييرات

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٦.
(٢) المصدر نفسه، الحكمة ٢٣٣.
(٣) المصدر نفسه، الرسالة ٤٥.

جديـدة فـي حياته. والإنســان يطلــب التغييرات دائماً فـي أوضــاع حياته ويطلب أيضــاً إيجاد ظروف أفضــل للبيئة التي يعيش فيها. والناس في كلّ عصــر يعملون جاهدين على الانســجام بين أنفســهم والزمان الذي يعيشــون فيه بهدف تحسين أوضاع حياتهم فلا يكونون متخلّفين عن زمانهم. وعلى مبلّغ الدين أن يعمل جاهداً للانســجام بين نفســه والظــروف الزمانيّة المحيطــة به وبالتالي عليــه أن يمتلك معلومات كافية حول المستوى الثقافيّ، الأساليب، الرؤى والعقائد والآداب الرائجة بيــن الناس. وبعبارة أخرى فــإنّ المبلّغ الذي يبلّغ الدين للجيــل الذي يعيش بينه، يجب عليه أن يتعرّف بشــكل دقيق على الناس في عصره ومستوى ثقافتهم. يوصي الإمام عليّ عليه السلام الإمام الحســن المجتبى عليه السلام قائلاً: **«يا بنيّ إنّه لا بدّ للعاقل أن ينظر في شأنه فليحفظ لسانه وليعرف أهل زمانه»**[1].

من جملة وظائف المبلّغين والمربّين، المعرفة الدقيقة بالمخاطبين والمتلقّين للخطاب. وهناك العديد من المبلّغين أصــحاب البــاع الطويل في البعد العلميّ إلّا أنّهــم كانــوا غير موفّقين على مســتوى جــذب المخاطبين والســبب في ذلك عدم الاهتمام أو عدم الاهتمام الكافي بهذا الأمر المهمّ.

وإمام الخطباء عليه السلام كان على معرفة كاملة بالمخاطبين وبالمســتوى الثقافيّ للمناطق الإسلاميّة المختلفة، فكان يوضح للولاة خصوصيّات الناس من المناطق المختلفة. وقد ظهر ذلك بشــكل واضــح في الرســالة التي كتبها الإمام عليه السلام إلى عبد الله بن عبّاس والي البصــرة في العام ٣٦هـ.ق بعد حرب الجمل. قال عليه السلام: **«اعلــم أنّ البصرة مهبط إبليس ومفرس الفتــن، فحادث أهلها بالإحسان واحلُل عقــدة الخــوف عن قلوبهم. وقــد بلغني تنمُّرك لبني تميــم وغلظتك عليهم وإنّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلّا طلع لهم آخر وأنهم لم يسبقوا بِوَغْمٍ في جاهلية**

(١) أمالي الطوسي، ص١٤٦، المجلس الخامس، انتشارات دار الثقافة، قم.

ولا إسلام»[1] وقد يؤدّي عدم اطلاع المبلّغ على مستوى مخاطبيه إلى عدم قدرته على نقل الخطاب إليهم كما يستحقّ، فالمبلّغ يجب أن يعرف عمر المجموعة التي يخاطبها وأن يعرف ما هي الخصوصيّات التي تمتاز بها كلّ مجموعة من المخاطبين ليتمكّن من اختيار الخطاب المناسب للفئة التي يخاطبها. شَبّه القرآن الكريم أرواح بعض الأشخاص بالأرض المستعدّة التي تصبح خضراء مع نزول المطر وشبه البعض الآخر بالأرض اليابسة الجدباء التي لا ينبت فيها سوى الشوك. وقد تكون قلوب البعض كالحجرة التي لا يؤثر فيها شيء، بينما تكون قلوب البعض الآخر ليّنة بحيث تسيل الدموع عند سماع حديث حقّ. ينبغي لمبلّغ الدين قبل تبليغ الدين، معرفة كافّة خصوصيّات المخاطبين ومن كافّة الجوانب الفرديّة والاجتماعيّة لأنّ معرفة المخاطبين ومعرفة مستوى ثقافتهم، ذات أهمية كبيرة على مستوى إيصال المعارف الإلهيّة. أمّا الإمام عليّ عليه السلام فكان يتّخذ مواقفَ متعدّدة اتجاه المخاطبين وكان يحدّثهم حسب معرفتهم ومستواهم. وكان تعاطي الإمام يختلف أيضاً مع العدو المهاجم، والمنحرفين والمنافقين. والحقيقة أنّ الإمام عليه السلام كان يخاطب كلّ فئة حسب ما يناسبها.

تحدّث الإمام علي عليه السلام عام ٣٧هـ. في مسجد يصف أحوال الناس بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: **«والناس على أربعة أصناف، منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه وكلالة حدّه ونَضيض وَفْره ومنهم المصلت لسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورَجِله، قد اشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أو مِقنب يقوده أو منبر يفرعه... ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشَمَّر من ثوبه وزخرف من نفسه للأمانة واتخذ سِتْر الله ذريعة إلى المعصية.**

(١) نهج البلاغة، الرسالة ١٨.

ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه فقَصَرَتْه الحال على حاله فتحلّى باسم القناعة وتزين بلباس أهل الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مَغْدَى»[1].

٩ ـ رعاية المناسبة بين الكلام والمخاطبين

بما أنّ الناس يختلفون في العقول والإيمان، فعلى المبلّغ أن يحدّث كلّ مخاطب بمقدار عقله وإيمانه وأن يطلب منه ما يمكنه الإتيان به. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[2].

يجب أن يعرض المبلّغ المطالب التي يحملها بحيث تكون مفهومة عند المستمعين. وأن يراعي التناسب بينها وبينه فلا يتحدّث للمستمع بأيّ شيء. يجب على المبلّغ وقبل الشروع بالكلام أن يفكّر فيما سيقول ويقيس ذلك على الظروف التي سيُلقي فيها الخطاب، فإذا وجد أنّ المصلحة تقتضي الحديث، تحدّث. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه وإن كان شرّاً واراه»[3].

١٠ ـ التشجيع وإنذار المخاطبين

التشجيع واحدةٌ من القدرات والقوى التي يستخدمها كلّ إنسان. ويرغب الإنسان منذ طفولته أن يشجّعه الآخرون ممّا يجعل سلوكه مؤيّداً. وعندما يكون التشجيع في مرحلة الشباب يكون بمثابة الاطمئنان القلبيّ الذي يجعل الشابّ هادئاً مطمئنّاً إلى صحّة ما يقوم به. ويمكن القول وبجرأة إنّ التشجيع أفضل وسيلة لاكتشاف الاستعدادات والنفوذ إلى قلوب المخاطبين.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣٢.
(٢) أصول الكافي، ج١، ص٢٤، الحديث ١٥، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

شجّع الإمام عليّ عليه السلام الأشخاص على الإتيان بالأعمال الحسنة وحذّرهم الاقتراب من الأعمال القبيحة. وقد ظهر أسلوب الإمام هذا في رسالته إلى مالك الأشتر حيث يقول: «**ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلًّا منهم ما ألزم نفسه**»(١).

إنّ كلّ إنسان يشعر بالخوف والمهمّ في المسألة توجيه وقيادة هذا الخوف؛ فإذا تمكّن المبلّغ من الاستفادة من هذه الحالة لجهة خوف الإنسان من الله، فقد جعل هذا الإحساس على الطريق الصحيح وتمكّن أيضاً من حَلِّ الكثير من المشاكل العقائديّة والأخلاقيّة. يجب إيجاد نوع من التوازن بين التشجيع والإنذار والابتعاد قدر المستطاع عن جعل المخاطب يائساً من رحمة الله والعمل لتشجيعهم على الامتثال لأوامر الله تعالى. يقول الإمام عليّ عليه السلام في هذا الخصوص: «**الفقيه كلّ الفقيه من لم يُقَنِّط الناس من رحمة الله ولم يُؤيّسهم من روح الله ولم يؤمّنهم من مكر الله**»(٢).

١١ ـ الانسجام بين العمل والقول

إنّ عمل المبلغ بما يقول يجعل تبليغه عمليّاً ومؤثّراً، بالأخصّ وأن الناس حسّاسون جدّاً فيما يتعلق بحياة المبلّغ وعائلته، وهم يتوقّعون الصفاء والإخلاص والتواضع والتقوى من الشخص الذي يتحدّث بحديث الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام.

يجب أن يعلم الشخص الذي جعل نفسه إماماً للناس وداعياً إلى الله أنّ «**إنَّ رواة العلم كثير ورعاته قليل**»(٣).

(١) المصدر نفسه، الرسالة ٥٣.
(٢) المصدر نفسه، الحكمة ٩٠.
(٣) المصدر نفسه، الخطبة ٢٣٩.

وعمل المبلّغ بما يقول والذي هو خلاصة التعاليم الإلهيّة، يشير إلى عمله بتكليفه ودليل على طهارة قلبه وتقواه، ولكنّ الأهمّ من أداء التكليف الفرديّ، هداية الناس إلى الصراط المستقيم ونجاتهم من الضلال، وهذا ما يمكن القيام به من خلال العمل. يقول الإمام عليّ عليه السلام حول التناسب والتطابق بين العلم والعمل: «**العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه**»[1].

يتحدّث الإمام عليّ عليه السلام في أماكن أخرى عن الذين يدعون الناس إلى التعاليم الإلهيّة من دون أن يكونوا من العاملين: «**لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل ويُرجي التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين... ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي، يحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو أحدهم**»[2].

ويقول في مكان آخر: «**وإنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجّة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهو عند الله ألوم**»[3]. المبلّغ الموفّق هو الذي تعبر مواعظه قوس العمل ليكون مؤثّراً، وما أجمل العبارة التي تحدّث بها الإمام عليه السلام عندما قال: «**الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر**»[4].

فالتكليف الأساس للمبلّغ الذي يعمل لنشر الثقافة العلويّة أن «**إذا علمتم فاعملوا**»[5]. فإذا كان الأمر على هذا النحو لتمكّن من جذب الشباب إلى الدين ومنعهم من التفرّق عنه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

(١) المصدر نفسه، الحكمة ٣٦٦.
(٢) المصدر نفسه، الحكمة ١٥٠.
(٣) المصدر نفسه، الخطبة ١١٠.
(٤) المصدر نفسه، الحكمة ٣٣٧.
(٥) المصدر نفسه، الحكمة ٢٧٤.

١٢ ـ التشجيع على العمل بتوضيح فوائده ونتائجه

على الرغم من أنّ القوانين الإسلاميّة سماويّة، فهي أرضيّة أيضاً، أي أنها تقوم على أساس المصالح والمفاسد الموجودة في الحياة البشريّة. يقول العلّامة الشهيد مطهّري رحمه الله في هذا الخصوص: «**نحن نرى أنّ القرآن الكريم أشار إلى المصالح والمفاسد الموجودة في أحكامه والتي هي من ضروريّات الإسلام. وألّف الشيخ الصدوق كتاباً من الأحاديث أطلق عليه اسم علل الشرائع أي (فلسفة الأحكام) جمع فيه الأحاديث التي تشير إلى فلسفة الأحكام. وأشار إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام كانوا يوضحون فلسفات الأحكام التي يبيّنونها للناس ومن جملة ضروريّات التشيّع والأكثرية السنية. لعلّ من الصحيح القول كافّة أهل السنة. أنّهم يقولون بأنّ الأحكام تدور مدار المصالح والمفاسد الحقيقيّة**»[١].

يجب على المبلّغ أن يوضح في خطاباته الفوائد والنتائج المعنويّة والماديّة لأعماله وسلوكيّاته ليتمكّن من جذب المخاطبين. وقد اهتمّ الإمام عليّ عليه السلام بهذا الأمر المهمّ وذَكّر بالنتائج الدنيويّة والأخرويّة لأفعال المخاطبين، يقول: «**فإن أطعتموني فإني حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنّة وإن كان ذا مشقّة شديدةٍ ومذاقةٍ مريرة**»[٢].

ويقول عليه السلام في مكان آخر:

«**إنّ أفضل ما توسّل له المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالى، الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله، فإنّه ذروة الإسلام وكلمة الإخلاص فإنّها الفطرة وأقام الصلاة فإنّها الملّة وإيتاء الزكاة فإنّها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان**

(١) الإسلام ومتطلبات العصر، مرتضى مطهري، ج٢، ص٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦.

فإنّه جُنّة من العقاب وحجّ البيت واعتمارُه فإنّهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب، وصلة الرحم فإنّها مثراة في المال ومنساة في الأجل وصدقة السرّ فإنّها تكفّر الخطيئة وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان»[1].

١٣ ـ النظم والتخطيط

تتوقّف موفقيّة كلّ إنسان على مقدار النظم والانضباط في الأعمال والتخطيط في النشاطات. وقد خصّ الإمام عليّ عليه السلام مسألة النظم بعباراته فقال: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم»[2].

وإذا أردنا أن نترك أثراً إيجابيّاً في التبليغ فعلينا أن نعيد النظر في أعمالنا، والذين كانوا موفّقين في أعمالهم هم من الذين كانوا يخطّطون بشكل صحيح في حياتهم.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «للمؤمن ثلاث ساعات، فساعة يناجي فيها ربّه وساعة يرمّ معاشه وساعة يخلّى بين نفسه وبين لذّتها فيما يحلّ ويجمل، وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلّا في ثلاث، مرمّة لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذّة في غير محرّم[3].

يُستفاد ممّا تقدّم ضرورة ولزوم حكومة النَّظْم والتخطيط على حياة كل إنسان، وهما أشدّ ضرورة للمبلّغ الذي يعتبر عمله من جملة الأعمال الحسّاسة.

والنَّظْم والتخطيط كانا واضحيْن في حياة الإمام الخميني قدس سره الذي كان موفّقاً في حياته. «لقد نظّم الإمام قدس سره وقتاً خاصّاً للمطالعة وقراءة القرآن في

(١) المصدر نفسه، الخطبة ١١٠.
(٢) المصدر نفسه، الرسالة ٤٧.
(٣) المصدر نفسه، الحكمة ٣٩٠.

الأعمال المستحبّة حتّى للزيارات والأدعية غير المختصّة بزمان خاصّ وكان يأتي بكلّ عمل طبق ذاك التخطيط والتنظيم»[١].

إنّ القيام بالأعمال طبق النظم والانضباط يؤدّي إلى أدائها في وقتها. والمبلّغ الذي يهتمّ بالنظم والانضباط في حركته وذهابه وإيابه، يترك نتائج أفضل. يقول الإمام عليّ عليه السلام: **«وأمض لكلّ يوم عمله فإنّ لكلّ يوم ما فيه»**[٢].

١٤ ـ الأنس بالناس

من جملة الألطاف والعنايات التي مَنَّ الله تعالى بها على الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام هو ذاك الحنان والعطف والأنس بالناس.

عاش المعصومون بين الناس واهتموا لأمورهم، وهكذا يجب أن يكون المبلّغ الموفّق إذ ينبغي له الالتفات إلى احتياجات الناس في المكان الذي يُبَلّغ فيه حيث يساهم هذا الأمر في بقاء النعم الإلهية. يقول الإمام عليّ عليه السلام مخاطباً جابر: **«يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرّضها للدوام والبقاء ومن لم يقم فيها بما يجب عَرَّضها للزوال والفناء»**[٣].

ويوضح الإمام عليه السلام في مكان آخر طريقة التعاطي مع الناس: **«خالطوا الناس مخالطة إن متُّم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنّوا إليكم»**[٤]. وعلى هذا الأساس يجب على مبلغ الدين في مسألة التعاطي مع الناس.

أوّلاً: رعاية العدل والإنصاف والتعامل مع الجميع انطلاقاً من الإنصاف كما قال

(١) يابه باي آفتاب، أمير رضا ستوده، ج٢، ص١٧، انتشارات بنجره.
(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.
(٣) المصدر نفسه، الحكمة ٣٧٢.
(٤) المصدر نفسه، الحكمة ١٠.

الإمام عليه السلام: «أنصفِ الناس من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوىً من رعيتك»[١].

وثانياً: رعاية المساواة في التعاطي مع الناس: «وابسط لهم وجهك وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة»[٢].

من جملة الأمور التي تدور حول الاهتمام بالناس والانتباه لأمورهم، عدم أذى الناس. ولا يجب أن يكتفي المبلّغ برضا الناس في سلوكه وتعاطيه الاجتماعيّ والسياسيّ والثقافيّ وغيره بل عليه أن يوصل العمل إلى مرتبة لا يحمل أدنى أذىً للناس.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «طوبى لمن... عزل عن الناس شرّه»[٣] وقد كتب الإمام عليه السلام يوصي ولاته على المدن: «قد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كفّ الأذى وصرف الشذى»[٤].

وعلى المبلغ أن يعتبر كلّ ما هو مضرّ لنفسه مُضرّاً لغيره وأن يفكّر باستمرار بسعادة وراحة الناس ليرضى الله تعالى عن عمله.

صحيح أنّ خدمة الناس والاهتمام بهم من ميز المبلّغ في الإسلام إلّا أنّ هذا لا يعني اعتبار كافّة الناس في كافّة الأزمنة. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ولا أُوعِد العدوّ بكم»[٥].

هؤلاء الناس هم الذين ساهموا في غربة أمير المؤمنين عليه السلام: هؤلاء الذين كانت كلّ حياة الإمام عليه السلام وقفاً لهم، فتراه يشكو منهم: «أريد أن أداوي بكم

(١) المصدر نفسه، الرسالة ٥٣.
(٢) المصدر نفسه، الرسالة ٤٦.
(٣) المصدر نفسه، الحكمة ١٢٣.
(٤) المصدر نفسه، الرسالة ٦٠.
(٥) المصدر نفسه، الخطبة ٢٩.

وأنتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها»[1].

١٥ ـ المعرفة بأدوات التبليغ

إذا أخذنا بعين الاعتبار التقدّم التكنولوجيّ المعاصر، بالأخصّ في أمر التعليم، فمن الضروري أن يَطّلع المبلّغ على أدوات التبليغ الحديثة. وإلّا فلن يكون بالإمكان جذب الشباب والناشئة وجيل الثورة الجديد من خلال الأسلوب التبليغيّ القديم، لا بل يجب الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة للتعريف بالدين. يجب التطور مع الزمان وعدم التخلّف عنه.

وإذا أيقنّا بحاجة الشباب إلى معارف أهل البيت عليهم السلام وأنّهم يمتلكون قلوباً صافية وطاهرة وكما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **«قلب الحدث كالأرض الخالية التي ما ألقي فيها شيء قبلته»**[2]، لذلك يجب إيجاد الأرضيّة المناسبة للرشد والنموّ، فالله تعالى قد جعل الإسلام بحيث **«لا عفاءَ لشرائعه»**[3]، فلكلّ زمان قوانينه وأساليبه المعاصرة ومن مسؤوليّة المبلّغ اللجوء إلى تلك الأساليب الحديثة.

(١) المصدر نفسه، الخطبة ١٢١.
(٢) المصدر نفسه، الرسالة ٣١.
(٣) المصدر نفسه، الخطبة ١٩٨.

الباب الثالث

ملف العدد

المبادئ والمباني الكلاميّة لولاية الفقيه من وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره

عبّاس مخلصي

كثر البحث في العقدين الأخيرين حول القيادة الدينيّة وبالأخص ولاية الفقيه. اتجه البعض للشّكّ والترديد في البناء والمبادئ النظريّة والفكريّة، ورفضوا القراءات والتوضيحات الإسلاميّة التي مهّدت للقبول بهذه النظريّة، في المقابل اتّجه آخرون لقبول النظريّة واعتبروها تتلاءم مع الإدراكات الذهنيّة والتعاليم الدينية.

لعلّ الدافع الأهمّ للغوص في هذا الموضوع، بعض الأفعال وردّات الأفعال الجدليّة التي أخذت شكلاً سياسيّاً ـ اجتماعيّاً، إتسمت بعض الآراء في هذا المجال بتبعيّتها للأجنحة السياسية، وعَمَلُ المجموعات من الناحية الاجتماعيّة أكثر من كونها بحثاً نظريّاً تحقيقيّاً.

أدّى هذا الخلط في المسألة إلى عدم القدرة على الاطّلاع على الآراء الصحيحة والكلام الشفّاف والأصيل. وفي بعض الحالات كان الدفاع عن هذه النظريّة بمثابة «حبُّك للشيء يُعمي ويصم»[1]. ممّا لا شكّ فيه أنّ بعض الآراء اللّامعقولة التي قُدّمت في هذا الإطار، كانت تنطلق من مبدأ الحقد والغضب والانتقام في المجالات السياسيّة والاداريّة على مستوى المجتمع.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٤/١٦٥، مؤسسة الوفاء، بيروت.

إذا لـم تُصَـفَّ أجـواء البحث والتحقيق من هـذا الخلط، وإذا لـم يجرِ إرجاع المشـاركة فـي الحوار إلـى عقيدة وفكرة معياريّـة، لن يتمكّـن أيّ مفكّر عالم من خدمـة الفكر. لذلك يجـب العمل وبوعـي لتخليص الحوار من قطّـاع طرق الفكر وأعداء ومُحبِّي الجدالات، ليمكن بعد ذلك الوصـول إلى أبحاث ودراسـات شفّافة ذات قيمة وخلوص عمليّ.

تمكّن الإمـام الراحل قدس سره من إحياء نظريّة ولاية الفقيـه في الثقافة الدينيّة. ويعـود إحيـاء هذه النظريّة على المسـتوى الذهنـيّ إلى ثلاثة عقود ماضـية. قام الإمام قدس سره بتدريس هذا الموضـوع في ثلاث عشـرة جلسـة فـي النجف[1] فكان كتاب ولاية الفقيه خلاصـة تلك الدروس. ثمّ طرح الموضـوع مـرّة ثانية في كتاب البيع[2] مع بعض الإضافات والإنقاصات[3].

اكتسـبتْ هذه النظريّة التجسّـم الوحيانيّ العينيّ والعلميّ لأوّل مرّة منذ تاريخ الغيبة والانتظار مع انتصـار الثورة الإسـلاميّة، فظهرت جليّة في المجتمع وبدأت تجربـة الحاكميّـة والإدارة الدينيّـة على شـكل نظـام يعتمد ولايـة الفقيه. عرض الإمـام قدس سره بعض الاصـلاحات على هـذه النظريّة بعدمـا دخلت سـاحة العمل والاختبار واتضحت بعض زواياها من خلال الدخول إلى مرحلة الاختبار والعمل.

يُعتبر هذا المقال محاولة للاطلالـة على إنجازات الإمام الخمينيّ قدس سره حيث سيجري التعرّف على المباني المعرفيّة والدينيّة لنظريّة ولاية الفقيه.

مبادئ الدين المعرفيّة

تتناسـب نظريّة ولاية الفقيه مع مجموعة من مبادئ الدين المعرفيّة الخاصّـة

(١) ولاية الفقيه، الإمام الخميني / ٧ المقدمة، نشر آثار الإمام الخميني قدس سره.

(٢) كتاب البيع، الإمام الخميني، ج٢ /٤٥٩ ـ ٥٠١، اسماعيليان.

(٣) ولاية الفقيه / ٧ المقدمة.

حيث يؤدّي عدم الاعتقاد وعدم المعرفة الفقهية والعلم بها إلى عدم القدرة للوصول إلى هذه النظريّة في المعرفة الدينية. من هنا اعتبر الإمام قدس سره أنّ معرفة المسائل العقائديّة والفقهيّة الإسلاميّة مصدراً لتصوّر نظريّة ولاية الفقيه والتصديق بها: «**إنّ من عرف الإسلام أحكاماً وعقائد يرى بداهتها**»[1].

يعتقد الإمام قدس سره أنّه إذا أمكن إدراك المبادئ والمسائل العقائديّة وكذلك الهويّة الجمعيّة والاجتماعيّة للعديد من أحكام الدين بالشكل المطلوب، عند ذلك يمكن الوصول إلى نظريّة ولاية الفقيه ولا حاجة عند ذلك للدليل والبرهان.

سنتعرّض هنا لدراسة الجزء الأوّل أي المبادئ والمسائل العقائديّة والكلاميّة وذلك طبق قراءة الإمام الخميني قدس سره التي انتهت إلى النظريّة المشار إليها.

يقول الإمام قدس سره: «**إذاً فإنّ كلّ من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ أحكام الإسلام ويدعو إلى تعطيلها وتجميدها وهو ينكر بالتالي شمول وخلود الدين الإسلاميّ الحنيف**»[2].

- جرى الحديث هنا عن مسألتي «**الخلود**» و«**الجامعيّة**»، ونُسبتا إلى الدين واعتُبرتا مبدئَيْن كلاميَّيْن. هنا سنعمد إلى دراسة القراءة الذهنيّة للإمام الخميني قدس سره التي تربط بين هذين الأصلين والنظريّة المتقدّمة.

١ ـ خلود الإسلام

إنّ مسألة خلود الشريعة الإسلاميّة، مقبولة عند كافّة المسلمين. وقد أشارت الآيات الشريفة إلى خلود الإسلام إلّا أنّ بعضها تحدّث عن ذلك بوضوح وتحدّث البعض الآخر بالإشارة.

(١) م.ن/٣.
(٢) م.ن/٢٠.

﴿...وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1].

اعتبر العلّامة الطباطبائيّ أنّ الآية المذكورة مساوية للآية الآتية في الدلالة على خلود الإسلام[2]: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[3].

يقول الإمام عليّ عليه السلام: **«ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إنّ فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة»**[4].

ويقول أيضاً: **«إنّ هذا الإسلام... لا انهدام لأساسه، ولا زوال لدعائمه، ولا انقلاع لمدّته، ولا عفاء لشرائعه، ولا جذّ لفروعه»**[5].

ويدلّ على عالميّة وخلود الإسلام الدليل العقليّ مثل: **«اعتماد الإسلام على الفطرة»** و**«خاتميّة الإسلام»** وذلك إضافة إلى الآيات والروايات[6]. بناءً على هذا الأصل، فإنّ تعاليم الإسلام، ليست محدودة بزمان خاصّ، بل تعاليمه عالميّة خالدة تصلح لكافّة الأزمنة حيث إنّ الهدف منها هداية البشر نحو الحياة الدينيّة والحياة الإنسانيّة اللّائقة.

من جهة أخرى فإنّ قوانين وتعاليم الإسلام على نوعين: بعض القوانين ذات هويّة فرديّة، إذ يجب على كلّ شخص الإتيان بها من دون أن يكون لذلك أيّ علاقة بالآخر، مثل: الصلاة، الصوم و... إلّا أنّ البعض الآخر ذو هويّة اجتماعيّة ـ حكوميّة. ولا يمكن العمل بتلك القوانين من دون وجود نظام سياسيّ اجتماعيّ ومن دون وجود

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج١٧/٣٩٨، بيروت.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٤) أصول اكافي، الكليني، ج١/٦١، بيروت؛ نهج البلاغة، ترجمة شهيدي، الخطبة ١٥٨/١٥٩.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨/٢٣٣.

(٦) مجموعة مقالات مؤتمر دراسة المبادئ الفقهية للإمام الخميني، ج١٠.

قـوى تنفيذيّة، مثل: القوانيـن الجزائيّة، الماليّة، الدفاع الوطنـيّ و... كما أنّ بعض تعاليم دين الإسلام ذات هويّة اجتماعيّة مثل اقامة العدالة في المجتمع.

لا يعتبـر الإمـام أنّ خلود الإسـلام يرتبط بثبات دين الإسـلام ودوام الأبحاث والدراسـات العلميّة ذات العلاقة بالدين، بـل خلود الدين، يرتبط من وجهة نظره بالأهداف والحاجات والبرامج والقوانين الموجودة في الدين، وذلك في مستويات ثلاثـة: الفكـر، البيان والعمل والتي يتردّد صـداها في كلّ عصـر وعنـد كلّ جيل. ويؤكّد الإمام قدس سره أنّ خلود الدين، هو الحضور والتجسّم العينيّ للدين على امتداد الزمـان: **«إنّ الإسلام لا يُحدُّ بزمان أو مـكان، لأنّه خالد فيلزم تطبيقه وتنفيذه والتقيّـد بـه إلـى الأبـد. وإذا كان حلال محمّد حـلالاً إلى يـوم القيامة وحرامه حراماً إلـى يـوم القيامة، فـلا يجـوز أن تُعطَّل حـدوده وتُهمل تعاليمـه ويُترك القصاص أو تتوقّف جباية الضرائب الماليّة أو يُترك الدفاع عن أمّة المسلمين وأراضيهم. واعتقاد أنّ الإسلام قد جاء لفترة محدودة أو لمكان محدود، يخالف ضروريّات العقائد الإسلاميّة»**[1].

يشير هذا الكلام إلى عدم صحّة الفصل بين ثبات وخلود بعض الأحكام وانتهاء العمـل بالبعض الآخر. إنّ كافّة أحـكام الدين خالدة وباقية، فالأحكام الفرديّة في الإسـلام دائمـة ويجب علـى المؤمنين العمل بهـا، كذلك الأحـكام وبرامج الدين الاجتماعيّـة التي هي دائمة وخالـدة. يعتبر الإمام أنّ الفهم الصـحيح والحقيقيّ لخلود الدين عبارة عن حضـور الدين في المجتمـع وجعل تعاليمه وتوقّعاته واقعيّة وعمليّـة: **«فاقتضـت الحكمـة الإلهيّة أن يعيش الناس بالعدل فـي الحدود التي حدّها الله لهم. وهذه الحكمة مستمرّة وأبديّة»**[2].

(١) ولاية الفقيه/١٨ ـ ١٩.
(٢) م.ن/٣١.

بناءً على رأي الإمام قدس سره فالله تعالى طَلَبَ منّا أمرَيْن:

١- تأسيس حياتنا الاجتماعيّة على أساس العدل.

٢- ربط قوانين وتعاليم الشريعة بالحياة. ويُعتبر هذان الأمران، المحورَيْن والمؤلفَيْن الأوّلَيْن للدين. والشارع لم يرضَ تركهما على الإطلاق.

هنا، يتقدّم السؤال الآتي، هل بإمكان أيّ نوع من أنواع إدارة المجتمع جعل الأمرين المتقدّمين عمليّيْن؟ هل بإمكان أيّ نوع من الحاكميّة متابعة الشؤون الدينيّة والأخلاقيّة والمعنويّة للناس ومن ثمّ التخطيط لمؤسّسات إدارة المجتمع بما يؤدّي إلى إقامة العدالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والقضائيّة بالإضافة إلى باقي القيم الفرديّة والاجتماعيّة التي أرادها الدين؟ هل هناك من دور يؤدّيه الهيكل الإداريّ على مستوى خدمة الدين والتديّن أو العكس؟ هل يمكن إحياء أهداف وتعاليم الدين في الحكومة العلمانيّة وجعلها خالدة؟ إذا كان ذلك ممكناً على مستوى التعاليم والأهداف الفرديّة، فما هو حال القيم والأهداف ذات العلاقة بالحريم الجمعيّ؟ فهل بالإمكان جعلها خالدة؟ ممّا لا شكّ فيه أنّ أصحاب الدقّة والبحث، لم يقدّموا جواباً إيجابياً عن هذه الأمور.

«وعلى هذا فوجود وليّ الأمر القائم على النظم والقوانين الإسلاميّة ضروريّ، لأنّه يمنع الظلم والتجاوز والفساد، ويتحمّل الأمانة ويهدي الناس إلى صراط الحقّ ويبطل بدع الملحدين والمعاندين»[1].

إنّ هذه العقيدة هي ترجمة لكلام الإمام الرضا عليه السلام الذي وضّح حاجة المؤمنين إلى **«وليّ الأمر»** و**«الحاكم الصالح»** بأسلوب عقليّ حيث هناك العديد من الدوافع التي تبيّن ضرورة وجود **«وليّ الأمر»**، من جملة ذلك:

(١) م.ن.

«... ومنها أنّه لو لم يجعل لهم إماماً قيّماً، أميناً، حافظاً، مستودعاً، لدرست الملّة، وذهب الدين وغُيِّرت السُّنة والأحكام ولزاد فيه المبتدعون ونقص منه الملحدون وشبّهوا ذلك على المسلمين إذ قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين، مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت حالاتهم، فلو لم يجعل قيّماً حافظاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لفسدوا على نحو ما بيَّنا وغيّرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين»[1].

قدّم هذا الحديث أسباباً أخرى تُضاف إلى ضرورة وجود القائد والحكومة الدينيّة، من جملة ذلك أنّه لو لم يكن القائد الأمين الحافظ... موجوداً لتخطى الناس الحقوق والقوانين الدينيّة لأسباب عديدة وتجاوزوا العدالة الاجتماعيّة، يضاف إلى ذلك أنّ عدم وجود القيادة الدينيّة يمنع القيام بالشؤون الاجتماعيّة مثل: الدفاع عن الأمّة الإسلاميّة، إقامة العبادة الجماعيّة كصلاة الجمعة وغيرها.

يعتقد الإمام الراحل أنّ العلل التي ذكرتها الرواية المتقدّمة على ضرورة وجود القيادة والحكومة الدينيّة في المجتمع الإيمانيّ، هي علل دائمة الوجود حيث يحتاج المؤمنون في كلّ عصر وزمان إلى قائد ووليّ كما هو الحال في صدر الإسلام؛ لأنّ العلل التي وضّحت ضرورة قيادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للمجتمع ما زالت موجودة وباقية، وتظهر هذ الضرورة في أهداف الوحي. لا يمكن القول إنّ المجتمع الإسلاميّ كان في ذاك الزمان بحاجة إلى حاكم إسلاميّ واليوم لا يحتاج لذلك، بل هناك حاجة للقائد ووليّ الأمر في كلّ زمان وفي كلّ مجتمع بناءً على تلك الأهداف والبرامج والقيم الوحيانيّة، فهو الخبير بالدين والمسؤول عن متابعة وإقامة أهداف وبرامج الوحي، وبرامج الدين دائمة غير محدودة بزمان دون آخر.

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١/٢٥١، الباب ١٨٢، ح٩، بيروت.

«فأنتـم ترون أنّ الإمام يسـتدلّ بوجوه عدّة على ضـرورة وجود وليّ الأمر الذي يقـوم بحكومة الناس. وتلك العلل التي ذكرهـا موجودة في كلّ زمان، ويترتّب على ذلك ضرورة تشكيل الحكومة الإسلاميّة في كلّ وقت»[1].

على هذا الأسـاس فالقيـادة الدينيّة مرتبطة بالتديّن والديـن وهي ثابتة دائمة بثبات ودوام وخلود الدين؛ لأنّ المؤمنين يصبحون ملتزمين بعقائدهم ويصلون إلى البرامج والأهداف الدينية عندما يمهّدون الطريق لتديّن الناس بوسـاطة سلوكهم الاجتماعيّ وإيجاد حلقة الاتصـال بين الحكومة والمجتمع. لا يمكن أن يتحقّق هذا الأمر، إلّا إذا أصبحت الحكومة مسؤولة عمليّاً عن اعتقادات وثقافة الناس الدينيّة؛ وهذا يعني أنّ شـكل النظـام الإداري هو الذي يدلّ على الالتـزام والتديّن. من هنا نجد أنّ حاجة المجتمع الدينيّ إلى وليّ الأمر والقيادة الدينيّة ممتزجةٌ بحاجته إلى تشكيل الحكومة، وهذا هو الذي يبيّن نظريّة ولاية الفقيه في كلّ عصر.

جواب عن توهّم

يتوهّم البعض ويقول: بمـا أنّ الحكومة، ظاهرة متحوّلة ومتغيّرة تتأثّر بالثقافة والعلم والتجارب الاجتماعيّة للبشر التي تتجدّد باستمرار، لذلك لا يمكن اعتبارها دينيّة؛ لأنّ شأن التحوّل والتغيّر لا يتناسب ولا يتلاءم مع ثبات وخلود الدين.

ينشـأ هذا التوهّم، إمّا لأنّ أصـحابه لم يتمكّنوا من الجمع والمواءمة بين ثبات ودوام تعاليم الدين وتغيّر الاحتياجات البشريّة عبر الزمان وإمّا أنّهم أردوا إيجاد مسـوِّغ لخطئهم الآخر؛ أي **«عدم وجود نظريّة الحكومة في الإسلام؛ وهذا يعني أنّهم قدّموا تفسيراً خاطئاً لمسألة خلود الدين»**.

إنّ خلـود الإسـلام كما تقـدّم في شـرح رأي الإمام قدس سره، أحد مبادئ تشـكيل

(١) ولاية الفقيه/٣١.

الحكومــة في الإســلام؛ لأنّنا عندما نعتقــد بأنّ تعاليم وقوانين وأهداف الإســلام الاجتماعيّة، شأنها شأن الأحكام الفرديّة لناحية الخلود والدوام، وأنّ هذه الأهداف والقوانين لن يكون لها دور في الحياة من دون الحكومة، عند ذلك ندرك بوضــوح ضرورة تشكيل الحكومة وهو أصل متفرّع على خلود الشريعة.

إذا كانوا يقصدون من عدم التلاؤم بين الحكومة وخلود الدين، أنّ الإسلام لم يقدّم أســلوباً وطريقة لإدارة المجتمع في المســتقبل، وهو لم يأخذ بعين الاعتبار هكذا أمر وأنّ حاجات البشر تتغيّر من زمان إلى آخر لذلك لا يمكن تقديم أسلوب دائــم خالد، إذاً وبما أنّ شــكل الحكومة لا يمكن أن يكــون خالداً فهي لا تتلاءم مع برامج وقوانين وتعاليم الوحي الخالدة.

فــي الجواب يجــب القــول إنّ الحكومة في الإســلام لا تعني أنّ الإســلام قدّم أســاليب وطرقاً مؤقّتة للحكم وإدارة أوضــاع الناس في كافّــة الأزمان وأنّ الحاكم الإسلاميّ هو المكلّف بإجرائها، بل الحكومة في الإسلام تعني أنّ الإسلام استفاد من الحكومة كأداة لتكريس أهدافه وبما أنّ أيّ شكل من أشكال الحكومة ليس قادراً على تكريس تلك الأهداف، لذلك أشــار إلى الأصــول الأساســية والمبادئ والهويّة الدينيّــة للحكومــة. أمّا ما هــي التدابير والأســاليب العلميّــة والتجريبيّة الناجحة لإدارة المجتمــع وكيف يمكــن إقامة العدالة الاجتماعيّة، فهو أمــر آخر يحتاج إلى الاجتهاد والفهم العلميّ والمتخصّص والعالم. ومن هنا لا يمكن الحديث عن عدم تلاؤم وتناسب بين الحاجات الإداريّة والحكوميّة، وخلود الأصول والهويّة الدينيّة.

٢ ـ جامعيّة الشريعة

إنّ الاعتقاد بجامعيّة دين الإسلام، أحد مبادئ ولاية الفقيه الأخرى حيث يقوم بدورٍ أساســيّ في وجود هذه النظرية. تشــير العديد من الآيات والروايات وكذلك الأدلّة العقليّة والرؤية الخارجيّة إلى جامعيّة الشريعة الإسلاميّة:

- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[1].
- ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2].
- ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[3].

وهناك العديد من الروايات في هذا الخصوص نكتفي بذكر إحداها:

يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن، إلّا وقد أنزله الله فيه»**[4].

اتفق كافّة المسلمين على جامعيّة دين الإسلام، وتعدّدت الآراء حول مفهوم، معنى دوائره شمول هذه الجامعيّة. في البداية يجب التعرّف على المقصود من **«الدين»** وما المراد من جامعيّته. نشير في هذا البحث إلى رأي الإمام الخمينيّ قدس سره في هاتين المسألتين.

المقصود من الدين

ما هو المقصود من الدين عندما يقال: الدين جامع؟ بعبارة أخرى ما هو متعلّق الجامعيّة؟ اعتبر الإمام قدس سره أنّ متعلّق الجامعيّة أمران: **«القرآن المجيد والسنّة الشريفة يحتويان على جميع الأحكام التي تُسْعد البشر وتنحو بهم نحو الكمال»**[5].

المقصود من عموميّة الدين، الأشياء المعروفة بعنوان الدين؛ أي **«القرآن»**

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٤) أصول الكافي، الكليني، ج١/٥٩، ح١، بيروت.
(٥) ولاية الفقيه/٢١.

و«السنة»، أنّ القرآن الكريم هو مضمون الوحي وهو النصّ الأصليّ والخالص للدين، واعتبرت السنّة من الدين باعتبار أنّ الرسول الأكرم ﷺ هو المفسّر والموضّح للقرآن، وهو الذي بادر إلى تعليم المسلمين القرآن:

- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].
- ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

يستفاد من هذه الآيات أنّ على المسلمين اعتبار ما يسمعون من الرسول أو يشاهدونه في سلوكه، جزءًا من الدين والشريعة والحقائق والمعارف الدينيّة.

يعتقد الشيعة أنّ الأئمّة عليهم السلام هم مفسرو وموضحو القرآن بعد الرسول ﷺ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3] والأشخاص المطهرون هم الذين يمكنهم إدراك لطائف وأسرار وحقائق ومعارف القرآن، وفهم هؤلاء كامل بعيد عن الخطأ. وأهل بيت الرسول ﷺ هم الذين فُتحت لهم أبواب العلم والعرفان[4]: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[5] والأئمّة عليهم السلام هم أصحاب أرفع درجة من التقوى بعد الرسول ﷺ. ونجد في كلام الرسول ﷺ ما يوضح أنّ الأئمّة هم مفسرو القرآن وهم المساوون له: «كتاب الله وعترتي»[6].

بناءً على ما تقدّم فإنّ سنّة الرسول ﷺ وسيرة وكلام الأئمّة عليهم السلام، جزء من الدين باعتبار أنّ هذه السنّة مفسّرة للوحي وهي صاحبة قداسة وحجيّة قطعيّة. إذاً المقصود من الدين، كافّة الحقائق الموجودة في القرآن والسنّة.

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.
(٤) أصول الكافي، ج١/٢١٣ ـ ٢١٤، ٢٦٠ ـ ٢٦١.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٦) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج١٨/١٩، ح٩، بيروت.

معنى الجامعيّة

إنّ الـكلام عـن جامعية الديـن، تابع لمعرفة الهـدف من بعثـة الأنبياء ونزول الوحـي، فما هي الحاجات البشـريّة التي لأجلها أنـزل الله تعالى الدين؟ هل يجب علـى البشـر توقّع كافّة حاجاتهم من الديـن؟ أو أنّ الدين يلبّي بعض الحاجات ولا يجب توقّع كلّ شيء منه؟

يمكن تقسيم الحاجات البشريّة على الأساس الآتي:

١- الحاجات الدنيويّة.

٢- الحاجات الأخرويّة.

وتقسم الحاجات الدنيويّة بدورها إلى قسمين:

أ. الحاجة إلى قانون وأسلوب لأجل المعنويّات والكمال.

ب. الحاجة إلى قانون وأسلوب للحياة.

اتفق الجميع على الحاجة إلى الدين فيما له علاقة بالسعادة الأخرويّة وامتلاك الكمـالات المعنويّة. واتفق المفكّرون المتديّنون على أنّ الدين هو أسـلوب وطريق السـعادة الأخرويّة، أي أنّه الذي يلبّي كافّة احتياجات ذاك العالم. واتفقوا أيضـاً علـى أنّ الديـن يلبّي كافّـة الاحتياجات المعنويّـة والروحيّة للبشـر. طبعاً في هذا الجزء يوضح الدين بعض المسائل في تأييد حكم العقل؛ أي ذاك الجزء من القيم المرتبط بالحسن والقبح العقليّين.

إنّ الحاجـة إلـى قوانين للحياة، هي جزء آخر من حاجات البشـر. أي التعاليم التي يجري بوسـاطتها صـلاح وسـلامة الحياة الفرديّة والجمعيّة. يندرج في هذا الجـزء، تلـك الأمور الحياتيّـة التي تقع في إطـار أحكام الحلال والحـرام أمثال: الأطعمة المحلّلة والمحرّمة والأعمـال والمداخيل المحلّلة والمحرّمة و... أي ذاك

الجـزء من الحياة المتعلّـق بالتكاليف الفقهيّـة. واتفقت كافّـة الآراء حول الحقل الدنيويّ للدين إلى هذه الحدود (أحكام الفقه الفرديّة).

ولكن هل يمكن القول بأنّ الرؤية الاجتماعيّة للحياة البشريّة والتي هي النموذج الأسـاس لحكومة وحاكمية المجتمع، موجودة في برنامج ورسـالة الإسـلام؟ وهل يتوقّع من الدين الحديث حول كيفيّته أم لا؟ هنا ظهر التعارض بين الآراء والأفكار ووقعت الاختلافات في جامعيّة الدين. والنتيجة وجود رؤيتَيْن:

١- الرؤيـة التـي تعتبر أنّ هـدف الدين، تحقيـق الاحتياجات المعنويّة والسـعادة الأخرويّة للبشـر والتي تؤكّد أنّ دور الدين في الحياة ليس سوى توضيح الحلال والحرام؛ أي أنّ الدين يهتمّ بالدنيا بمقدار فائدته في السعادة الأخرويّة ينبغي علـى المتديّنيـن أن يكونـوا فـي دنياهم كأصـحاب العقول حيـث يجب عليهم التفكير في كيفيّة تنظيم الدنيا. يعتقد هؤلاء أنّ رسـالة الدين وهدفه الأسـاس والحقيقيّ، تقديم برنامج يؤدّي إلى السـعادة الأخرويّة. ويمكن تفسير جامعيّة الدين في إطار هذا الهدف والرسـالة فقط وليس أكثر من ذلك: **«الدين كامل بالنسبة إلى هدفه وليس بالنسبة إلى أيّ شيء، الدين جامع بالنسبة إلى ما جاء به وليس بالنسبة إلى أيّ شيء، هذه هي جامعيّة الدين»**[١].

إنّ الكلام عن ضـرورة تفسـير جامعيّة الدين في إطار الهدف، هو أمر واضـح حيث لم ينهض شـخص لتفسـير جامعيّـة الدين فيما له علاقـة بالأمور الخارجة عـن هدف الديـن، بل العكس صـحيح إذ جامعيّة الدين ذات علاقـة بالهدف. إنّ القبض والبسـط في هدف الدين هو الذي أدى إلى وجود قبض وبسـط في تفسير جامعيّة الدين ولاتساع أو ضيق ساحة شموله. إنّ جامعيّة الدين بالمعنى السياسيّ والاجتماعيّ ووجـود برنامج لإقامة الحكومة الدينيّة، من جملة الأفكار التي تدّعي

(١) المدراء والإدارة، عبد الكريم سروش/٢٧٤.

أنّ الحكومة والمجتمع أمران مقصـودان في الديـن وأنّ حاكميّة العدل في مجتمع المتديّنيـن من جملة أهـداف الدين. ويعتقد بأنّ الذي يفصـل هذه المسـألة عن ثقافـة الديـن، قد تخلّى عن أحد أهـداف الدين. إذاً الخطوة الأولى للوصـول إلى توضيح صـحيح لجامعيّة الدين، معرفة أهداف الدين. ويمكن التعرّف على هدف أو أهداف الدين عن طريقين:

١ ـ دراسة النصوص الدينيّة.

٢ ـ البحث العقليّ.

يمكن الحديث عن مجموعة أهداف الدين وإذا أردنا تجنُّب الإطناب فسنكتفي بذكر الأهداف غير المتّفق حولها. يظهر من خلال التقسيم المتقدّم وجود هدفين لا شـكّ فيهما حيث اتفقـت حولهما الآراء وهما: توضـيح الأمـور المعنويّة أمثال: العبادة، التقرّب، كمال الروح و... والآخر تحقيق السعادة الأخرويّة. واتّفق الجميع أيضاً على الأمور الدنيويّة المفيدة على مستوى السعادة الأخرويّة والتي تساهم في الرشد والكمال المعنويّ للبشر وإن اعتبرها البعض أهدافاً من الدرجة الثانية.

بنـاءً علـى ما تقدّم فـإنّ حدود الاختلاف فـي تحديد أهداف الديـن تعود إلى مسـألة الحكومة، فهل الحكومة واحدة من أهداف الديـن أم لا؟ تؤكّد هذه الرؤية على أنّ الحكومة ليسـت شأناً دينيّاً وتبني استدلالاتها على هذا الأساس لأنّ الدين لم يسـتهدف الأمور ذات العلاقة بالدنيـا. إنّ إدارة المجتمع وتأسـيس الحكومة، مسـألة دنيويّة تعود إلى البشـر؛ لأنّ الدين متعلّق بأمور يعجز الإنسان عن إدراكها وفهمهـا، لا بل لا يمكن ذلك سـوى عن طريـق الوحي والهداية الإلهيّـة. أمّا تدبير المجتمع فليس خارجاً عن إدراك وعلم البشـر. يتمكّن الإنسـان من إدارة وسياسة حيـاة الاجتماعية من دون ارشـادات الوحـي والدين وهذا يعني أنّ الإنسـان ليس بحاجـة إلى إرشـاد من الخـارج، إذ بإمكانـه تنظيم هذه الأمور بمسـاعدة العقل

والتجربة، وعلى هذا الأساس لا يجب أن نتوقّع من الدين إيجاد القانون، وإذا تحدّثت بعض النصوص الدينيّة عن ذلك، فذلك ليس على أساس أنّه قانون دينيّ، بل باعتبار ذلك مقولة تابعة وليست مستقلّة.

تعتبر هذه الرؤية أنّ تأسيس الحكومة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أمر بشريّ حصل بالصدفة حيث إنّ حكومة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا علاقة لها بشريعته.

يُعتبر عليّ عبد الرزّاق من أوائل الذين نظروا إلى فكرة خروج الحكومة عن دائرة الدين. يعتقد عليّ عبد الرزّاق أنّ القرآن الكريم الذي هو أكثر النصوص الدينيّة اعتباراً، لم يتعرّض لموضوع السياسة والحكومة حتّى بالإشارة، لا بل لا يوجد في القرآن أي دليل يبين وجوب إقامة الحكومة وتولّي مسؤوليّة إدارة المجتمع.

عندما نقول بأنّ النصوص الدينية لم تتحدّث عن السياسة والحكومة وقد أوكل الأمر إلى البشر بما يمتلكون من عقول، فهذا ليس توهُّماً: لأنّ العديد من برامج وأهداف ومطلوبات الدين الاجتماعيّة، أمثال: إقامة العدل، نشر الأمور الحسنة في المجتمع، الحؤول دون الأخطاء والفساد، استخدام الأحكام القضائيّة والماليّة وتحرّر الإنسان من كلّ قيد داخليّ وخارجيّ (الطواغيت) و... كلّ ذلك يحمل رسالة سياسيّة اجتماعيّة توضح في أدنى الحالات القيم والأصول التي أرادها الإسلام في باب الحكومة والإدارة.

تعتبر «**الإمامة**» في الثقافة الشيعيّة تجسيداً لفلسفة الإسلام السياسيّة. والإمامة في هذه الثقافة، نموذج للقيادة والحاكميّة المستخرجة من النصّ الدينيّ. كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه إماماً وحاكماً يمارس إدارة وسياسة المجتمع على أساس الوحي. وتابع الأئمّة عليهم السلام المسؤوليّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا ما سنتحدّث عنه في الأقسام اللّاحقة.

الادّعاء الآخر في هذه الرؤية أنّ تنظيم وإدارة المجتمع الإنسـانيّ، قد وضـع على عاتق العقل والتجربة البشريّة فالدين لم يتحدّث حول الحكومة والسياسة في المجتمع؛ لأنّ الدين تكفّل توضيح الأمور الأعلى من مستوى العقل والعلم البشريّ، والحكومة ليست أمراً خارجاً عن فهم وإدراك البشر. إنّ هذا الكلام غير مقبول؛ لأنّ علم البشـر محكوم لكافّة المحدوديّات ذات العلاقة بإدراك الإنسـان لنفسه وللعالم. إنّ إدراك ومعرفة الإنسـان بنفسـه والعالم، أمر ناقص غير كامل. ليس بإمكان الإنسـان إدراك ما يفيده وما يضرُّه بشكل كامل وتامّ، فكيف سيتمكّن من اختيار مسير حياته الاجتماعيّة وإدارة المجتمع البشريّ بشكل صحيح؟

صحيح أنّ البشر تمكّنوا من التعرّف على العديد من العلل والقضايا الاجتماعيّة؛ إلّا أنّ ذلـك غير كافٍ لبناء الحياة الجمعيّة والأهداف والقيم الثابتة والخالدة في المجتمع على أساسها. لا بل لن يكون بمقدرة العلم والمعرفة الوصول إلى ذلك؛ لأنّ تقديم طريق وهدف للحياة الجمعيّة، بحاجة إلى معرفة كاملة حول الاسـتعدادات والقدرات الذاتية للإنسـان وامتلاك رؤية عميقة وواسـعة بعالـم الوجود. إنّ هذا النـوع من المعرفة خارج عن إطار العلوم الجزئيّـة حتّى إنّه خارج عن قدرة العقل البشـريّ؛ لذلك نجد المعارف والنظريّات الاجتماعيّة، تؤدّي بالإنسـان في كلّ يوم مـن الأيّام إلـى اختيار طريق وأسـلوب ويؤيّد ذلـك أفول مذاهب وسـقوط أنظمة حيث يشـير الأمر إلى أنّ البشر عاجزون عن اكتشـاف الطريق الصحيح والخالد فـي حياتهم، هنـا يجب أن يتدخّل الدين لملء الفراغ. إذا أراد البشـر الحركة في حياتهم الاجتماعيّة في إطار طريق لا يؤدّي إلى الانحراف والعبث، فهل هناك غير الدين لتوضـيح ذلك. وهذا يعني بناء حركة وإدارة المجتمع على أساس الأهداف والقيـم التي أشـار إليها الديـن والوحي، وأمّا الأسـاليب العلميّة المكتشـفة فهي للمساعدة في إيجاد ذلك.

٢- الرؤيـة الثانيـة وهـي التي تعتبـر أنّ هـدف الدين أعلـى من الأمـور المعنويّة والأخرويّة حيث تقابل هذه الرؤية الأولى بشـكل كامـل. وتؤكّد هذه الرؤية على مسألة الحياة الدنيا وبناء المجتمع على أساس العدل والقسط وتعتبر ذلك من جملة أهداف الدين وتشدّد على الإطار الاجتماعيّ للدين.

وصـل هذا الأمر إلى الأوج بعد دخول الإمام الخمينيّ سـاحة التحليل والتفسير والتوضـيح حيث قدّم مسـألة «**ولاية الفقيه**» و«الحكومة الإسـلاميّة» فبيّن مكانة ذلـك في إطـار المعرفة الدينيّـة. يعتبر الإمـام الخميني قدس سره أنّ وحي الإسـلام ليسـ أمـراً عباديّاً فقط يتعاطى توضـيح طريـق العبوديّة ويبيّن الثـواب والعقاب الأخرويَّيـن. إنّ جامعيّة الإسـلام من وجهة نظر الإمـام قدس سره تعني اهتمام الدين بكافّة الزوايا الوجوديّة وجميع الحاجات الماديّة والمعنويّة للبشـر؛ أي أنّه يوضـح كلّ ما يحتاج إليه الإنسـان للوصول إلى السـعادة الدنيويّة والأخرويّة: «**إنّ الإسلام منهـجٌ ومسلـكٌ لهذا الإنسان الذي له مراتـب من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة ومـن مـا وراء الطبيعـة إلى الألوهيّـة. إنّ الإسـلام يريد أن يربّـي إنساناً جامعاً أي يربّيـه بالصـورة التـي هو عليها: له بُعد طبيعيّ فينمّـي فيه البعد الطبيعيّ. ولـه بُعـد برزخـيّ فينمّي فيه البعد البرزخـيّ. وله بعد روحـيّ فينمّي فيه البعد الروحـيّ. ولـه بعـد عقلـيّ فينمّي فيه البعـد العقليّ. ولـه بُعد إلهـيّ فينمّي فيه البعـد الإلهـيّ. إنّ جميـع الأبعاد التي يمتلكهـا الإنسان هي بصـورة ناقصة ولم تصـل إلى درجة الكمال. وقد جـاءت الأديان لانضاج هذه الثمرة غير الناضجة، وإكمال هذه الثمرة الناقصة**»[1].

(١) صحيفة النور، ج٢/١٥٥.

النسبة بين الدين والدنيا

إنّ دين الإسلام من وجهة نظر الإمام الخمينيّ قدس سره على علاقة بحياة الإنسان في الدنيا؛ لأنّ التديّن والعبادة في هذه الشريعة لا يتعلّقان بمكان وزمان خاصَّيْن وكذلك الإتيان بمراسم عباديّة خاصّة، بل كلّ لحظة من حياة الإنسان، عبادة وكلّ نقاط الأرض مسجد ومقدّس. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**جعلت لي الأرض مسجداً**»[1].

إنّ ارتباط الدين والدنيا في هذه الرؤية، ارتباط كامل ومتساوٍ. لا تنفصل الأرض والسماء والماديّات والمعنويّات عن بعضها البعض، بل تلبس الأرض لباس السماء وتتّصل المادّة بالمعنى والدنيا بالآخرة والدين بالحياة. إنّ الحكومة والإصلاح ونظم أمور الحياة، هي أمور متعالية طاهرة لا يَقلّ ثوابها عن ثواب العبادات الأخرى. إنّ طريق الصلاح والعبادة يَعبر عبر مسيرة الحياة اليومية، ومن ساحة السياسة والعمل لأجل الحقوق الفرديّة والاجتماعيّة للبشر والترويج للمعنويّات والعدالة: «**إنّ الله تعالى عَدّل الماديّات فصنع منها الإلهيّات، ونظر إلى الماديّات بعين الإلهيّات وإلى الإلهيات بعين الماديّات**»[2].

لقد نزّهت الرؤية الأولى الدين عن الاهتمام بأمور الدنيا والوصول إلى السعادة الدنيويّة المتعالية؛ وذلك لأنّها حصرت الهدف من الدين بالتعالي الأخلاقيّ والوصول إلى السعادة الأخرويّة. النقطة المهمّة والأساسيّة في هذه الرؤية هي: هل أنّ أيّ شكل من الحياة يمكن أن يدركه فهم الإنسان ويطلبه الطبع البشريّ، يتلاءم مع التعالي الأخلاقيّ والتوجّه الأخرويّ؟ فالأنانيّة على سبيل المثال والاحتياجات الطبيعيّة البشريّة تظهر على شكل اجتماعيّ وفي الظلم والاستبداد الفرديّ أو

(١) م.ن، ج١٦/٣٢٤.
(٢) م.ن، ج٥/٢٤١.

الحزبيّ. ممّا لا شكّ فيه أنّ هذا النوع من الحياة يحرم الإنسان الكثير من فوائد الحياة المعنويّة والقيم الأخلاقيّة. بناءً على ما تقدّم فإذا كان إصلاح الحياة الدنيويّة ونظم المجتمع، خارجَيْن عن هدف الدين، فإنّ الدين لن يكون ناجحاً في السعادة المعنويّة والأخلاقيّة. لذلك كانت دعوة الأنبياء المعنويّة مترافقة مع الإصلاح والتعديل في مختلف المجالات الاجتماعيّة.

الهدف الأساس للدين

يعتبر الإمام الخمينيّ قدس سره، أنّ الهدف الأساس للأنبياء، هداية الناس؛ وبما أنّ تحقّق هذا الهدف غير ممكن من دون التدخل في الأمور الدنيويّة والحياتيّة للناس، لذلك كانت الحكومة وإقامة العدل من وظائف وأهداف الرسالة، إلّا أنّها وظيفة آليّة وممهّدة. وبما أنّ إصلاح الدنيا شرط لازم لإصلاح الآخرة، كان إصلاح الدنيا ضمن إطار عمل الأنبياء وهدفاً ممهّداً للبعثة.

«في هذا الكتاب الشريف [القرآن] العديد من المسائل وأهمّها المسائل المعنويّة ثم إنّ رسول الله وسائر الأنبياء لم يأتوا لتأسيس الحكومة في هذا المكان، لم يكن هذا هو مقصدهم الأعلى؛ لم يأتوا لإيجاد العدالة هنا، وهي ليست المقصد الأعلى أيضاً، كلّ ذلك مقدّمة... مقدّمة لأمر وهو التعريف بالذات الإلهيّة المقدّسة»[1].

«عندما نقرأ مفاد الآيات الشريفة وعندما نراقب سيرة الأنبياء، نرى أنّهم كانوا يسعون لإيجاد العدالة في الدنيا ولكن ليس بمعنى أنّها المقصد الأعلى بل باعتبارها مقدّمة. أراد الرسول إيجاد العدالة، لطرح تلك المسائل التي أرادها، المسائل التي تصنع الإنسان»[2].

(١) م.ن، ج٢٠/١٥٦.
(٢) م.ن/١٥٧.

الظاهـر أنّ رأي الإمـام قدس سره يتّفق مـع الرؤية الأولى عندما اعتبـر أنّ الهدف الأساسـيّ للديـن التعليم والتربيـة المعنويّة. (قلنا الظاهـر لأنّ فهم الإمام قدس سره لأمور الدين المعنويّة يختلف عن فهمهم) إنّ الفصل بين الفهمين يعود في الظاهر والباطـن إلى الفكر العلمانيّ الذي يفصـل بين الدين وحياة النـاس الدنيويّة، أمّا بناءً على رؤية الإمام الخمينيّ قدس سره فالعلاقة بين الدين والدنيا قائمة، بل أحدهما أصـل والآخر فرع، والفرع في خدمة الأصـل عادة. هنا تصـبح الحياة الماديّة في خدمة الحياة المعنويّة والدنيا خادمة للآخرة.

من جهة أخرى، لو لم يتدخّل الدين في الحياة البشريّة الدنيويّة، ولم يعمل على سـدّ الفراغ المعرفيّ حول هذه الحياة ولم يعلم الناس بحالات التفاهم بين الحياة الماديّة والمعنويّة، عند ذلك سيغرق البشر في الماديّات ويبتعدون عن المعنويّات.

إذاً يقوم الدين بدور محوريّ عن طريق تربية وتعليم الأشـخاص الصالحين والمصـلحين فـي حياة البشـر وعن طريق توضـيح الأهداف والقيـم والأحكام التي يحتاجها المؤمنون في حياتهم الجمعيّة لتكون دنيا البشـر دينيّة سـواء من الداخـل أو الخارج. إنّ الإيمـان من الداخل، والعمل بناءً على تعاليم وضـوابط الدين من الخارج، عاملان أساسـيان لجعل دنيا البشـر دينيّة ولوصـول البشر إلى السـعادة الدنيويّة والأخرويّة. ويطلق على اجتماع ونظم هؤلاء البشر في لغة الوحي، «الأمّة».

الحكومة والديانة

كيـف يمكـن الإذعان بأنّ الإسـلام لـم يهتـمّ بالحاكميّـة والقدرة السياسـيّة للمجتمـع، مع العلم أنّ النصـوص الدينيّـة تتحدّث عن دور أساسـيّ للحكومة في إيجاد الاعتقادات والسلوكيّات والروحيّات المتنوّعة؟

تتحدّث تعاليم القرآن والسنّة عن أنّ فعاليّة ودور المجتمع والحكومة يعتمدان إمّا على أساس تديّن أو كفر الناس وكذلك الحال فيما له علاقة بالعائلة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «الناس بأمرائهم أشبه منهم بآبائهم»[1] يتحدّث القرآن الكريم حول الذين لم يتمكّنوا من الحفاظ على دينهم بسبب حكومة ما تخالف الدين ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[2].

ويتحدّث القرآن الكريم أيضاً عن الذين خرجوا عن الدين بسبب السلطة الحاكمة: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾﴾[3].

ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «صنفان من أمّتي إذا صلحا صلحت أمّتي وإذا فسدا فسدت أمّتي، قيل: يا رسول الله ومن هم؟ قال الفقهاء والأمراء»[4].

إنّ الدين الذي يبيّن لنا هذا النوع من التأثير للحاكميّة والسلطة الاجتماعيّة والذي يتحدّث عن العلاقة المباشرة بين الحكومة والتديّن، كيف يمكن بعد ذلك الادّعاء والقول: إنّه لم يتحدّث عن هذا الأمر المؤثّر ولم يطرح أيّ مسألة حوله؟!.

إنّ الحديث وامتلاك تصور، لا يعني أنّ الدين قدّم كافّة الأساليب الجزئيّة والعمليّة ورسم كافّة الأطر والبرامج التطبيقيّة والنظاميّة لإدارة المجتمع؛ لأنّ هكذا أمور تقع على عاتق العقل والتجربة. إنّ هذه الأمور، هي أمور عقلانيّة وعمليّة تتعلّق بالنظام العقليّ وبتجربة العقلاء في العالم وليست أموراً دينيّة.

(١) بحار الأنوار، ج٧٥/٤٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٧.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.
(٤) تحف العقول، الشيخ الحراني/٤٢، بيروت.

إنّ حديث الدين حول الحكومة في حدود الإشارة إلى الأصول والأهداف والقيم التي تترك تأثيراً عامّاً على مستوى إظهار الدين في العمل. في الحقيقة للدين كلام واحد في باب الحكومة وهو إجراء العدالة: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[1]. وبما أنّ قوانين الإسلام الإلهيّة، قوانين عادلة؛ لأنّها نزلت من عند الله العادل والله تعالى لم يضع قانوناً إلّا على أساس العدل ولأنّ تطبيق القوانين الإلهيّة العادلة يجب أن ينتهي إلى إقامة العدل والعدالة في المجتمع، كانت الحكومة في الإسلام هي المجرية للقوانين الإلهيّة العادلة؛ وهذا يعني أنّ تنظيم حياة الناس يجب أن يجري على أساس محوريّة العدل. لذلك تحدّث الإمام الخمينيّ عن شرطين أساسيَّيْن للحاكم الإسلاميّ العادل والعارف بالقانون:

«والشروط التي ينبغي توفُّرها في الحاكم نابعة من طبيعة الحكومة الإسلاميّة. فإنّه بصرف النظر عن الشروط العامّة كالعقل والبلوغ وحسن التدبير، هناك شرطان مهمّان وهما:

١- العلم بالقانون الإسلامي.

٢- العدالة[2].

إنّ الميل نحو القانون وطلب العدالة، كالطريق والهدف في الحكومة الإسلاميّة، يفترضان وجود خاصِّيَّتَيْن: معرفة الحاكم بالقانون وعدالته؛ أي أن يكون هذا الشخص صاحب رؤية دينية وتعادل داخلي.

إنّ قوانين الإسلام يمكن فهمها وكشفها من خلال الفقاهة والتفقّه في الدين والتي يمكن تفسيرها وتوضيحها في إطار التحوّلات الثقافيّة والمعرفيّة والآليّة فتتبدّل الأحكام والاحتياجات القانونيّة. لذلك يقول الإمام الراحل قدس سره: **«الفقه هو**

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) ولاية الفقيه/٣٧.

النظريّة الواقعيّة والكاملة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللّحد»[1].

إنّ هذا الكلام هو عبارة أخرى عن جامعيّة الدين، حيث يؤكّد الإمام قدس سره أنّ الحكومة هي الإدارة التطبيقيّة للقوانين والنظريّات الاجتماعيّة ـ الإنسانيّة في الإسلام. ومن هنا يتّضح أنّ مقصود الإمام من الفقه، ليس القوانين الفقهية الموجودة في الكتب، بل المقصود هو الفهم الفقاهتي والعقليّ ووجود جهاز الاجتهاد والاستنباط في هيكل المعرفة الدينيّة. ويمكن من خلال هذا الجهاز الحصول على القوانين الدينية المتغيّرة وغير المتغيّرة وذلك بهدف التعادل في الحياة والمجتمع فالحكومة أداة لخدمة أهداف الدين الإنسانيّة.

الحكومة طبق هذه الرؤية ليست ضرورة مؤقتة تخدم متطلّبات عصر أو جيل معيّن، بل هي خيار ناشيء من صميم الدين. وإذا أراد البشر بناء حياة تسودها العدالة والقيم التكامليّة للإنسان، ينبغي أن تكون مبادئ حكومتهم نابعة من مصدر يمتلك تفسيراً صحيحاً وكاملاً للحياة ويمكن الوصول إلى ذلك في خلود وجامعيّة الإسلام.

الإمامة والقيادة، السمة الدينيّة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ التصديق والإيمان بالشأن والسمة الحكومتية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إحدى الفرضيّات القبليّة في مسألة فهم وقبول نظريّة ولاية الفقيه. كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبناءً على رسالته، مكلّفاً بتأسيس الحكومة في المجتمع وقيادة المؤمنين.

إنّ النبوّة والرسالة، تعني إبلاغ الوحي وإرشاد الناس. والرسول هو المرشد والدليل أي الشخص الذي يوضح الطريق، لكنّ البشر يحتاجون إلى القائد بالإضافة إلى حاجتهم للمرشد. البشر بحاجة للاستعانة بشخص أو مجموعة وجهاز ينظّم حياتهم الاجتماعيّة، ويعمل على تعالي البشر بالاستفادة من استعداداتهم بشكل

(١) صحيفة النور، ج٢١/٩٨.

صـحيح. ويطلق على هذا النوع من القيادة التي تتولّى مسـؤوليّة الرشد في الأبعاد الإنسـانية والإلهيّة للبشـر، الإمامة. وكان الأنبياء العظام يمتلكـون الجهتين معاً، فكانوا أنبياء وأئمّة. وكان الرسـول الأكرم ﷺ مبلّغاً للوحي بين المسلمين ومتولّياً لزعامة وقيادة المجتمع المتديّن من قبل الله تعالى.

اتفق المسـلمون كافّة على الشأن والسمة القياديّة للرسول ﷺ وأنّ هذه السمة إلهيّة؛ فالله تعالى هو الذي جعله إماماً وقائداً[1].

بدأ البعض الحديث منذ سقوط الخلافة العثمانيّة وبالأخصّ منذ أواسط القرن الأخير، وبسـبب نفوذ الفكر العلمانيّ إلى المجتمعات الإسـلاميّة، وأشاروا إلى أنّ حكومة وقيادة الرسـول ﷺ في بداية الدعوة الإسـلاميّة، لا علاقة لها بالرسـالة والدعوة النبويّة. فالنبي ﷺ كان يدعو الناس إلى الحكومة باعتبار جهته البشريّة وباعتبـار أنّه شـخص بارز، وليس باعتباره رسـولاً يؤدّي وظيفتـه الدينيّة. لم تكن الحكومة منصـباً إلهيّاً، بل هو منصـب أوكله المسلمون إلى الرسول ﷺ. لذلك لا يمكن اعتبار حكومة الرسـول ﷺ في المدينة أمراً دينيّاً ولم تُلقِ أي مسؤوليّة على عاتق المتديّنين.

يعود أسـاس هذا الكلام إلى نظريّة الفصـل بين الدين والسياسـة وهي نظريّة كان الهدف منها إكمال تسويغ العلمانيّة الدينيّة. وقد استدلّ أصحاب هذه النظريّة بمجموعة من آيات القرآن الكريم أمثال:

- ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾[2].
- ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾[3].

(١) مجموعة آثار الشهيد مطهري، ج٣/٢٨١ و٣١٨، صدرا.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٠.

- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾[1].

ادعت هذه المجموعة بالاعتماد على هذه الآيات أنّ مسؤوليّة الرسول ﷺ كانت تبليغ الرسالة من قبل الله تعالى، ولم يكن له أيّ مسؤوليّة تنفيذيّة في المجتمع[2].

لا يخفى على صاحب الفكر وجود آيات أخرى في القرآن الكريم تبيّن رسالة ووظيفة الرسول ﷺ الدينيّة على مستوى تشكيل الأمّة وتنظيم أمور المجتمع على أساس تعاليم الوحي. أمّا الآيات الشريفة التي تحتوي على تعاليم عمليّة وتنفيذيّة حيث لا يكون أمر الوحي والشريعة ثابتاً ذا معنى مع عدم إجرائها، فهي: الجهاد[3]، الدفاع[4]، الصلح[5]، الجزية[6]، الزكاة[7]، القصاص[8]، الديات[9]، الحدود[10]، قبول حكم الرسول ﷺ أثناء الخلافات[11] يضاف إلى ذلك الآيات التي تحضّ المسلمين على اتباع أوامر الله والرسول في ساحة الحياة[12] و... ألا يمكن من خلال هذه الآيات، فهم رسالة ووظيفة الرسول ﷺ التطبيقيّة والتنفيذيّة إلى جانب رسالته التبليغيّة؟ عندما يوضح وحي القرآن، المسائل المعنويّة والأحكام العباديّة بالإضافة إلى الأهداف والأحكام الاقتصاديّة والحقوقيّة والجزائيّة والعسكريّة، ألا يدلّ ذلك على أنّ الرسول ﷺ هو الموضح لتلك البرامج والمكلّف بتطبيقها؟

(١) سورة الغاشية، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢.
(٢) الإسلام وأصول الحكم، عبد الرزاق /٥٣ نقلاً عن الخلافة والإمامة، عبد الكريم الخطيب /٢١٩، بيروت.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٥) سورة النساء، الآية: ٩٠.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٢٩.
(٧) سورة التوبة، الآية: ١٠٥؛ سورة الحج، الآية: ٤١؛ سورة النور، الآية: ٣٧.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.
(٩) سورة النساء، الآية: ٩٢.
(١٠) سورة النور، الآية: ٢ و٤.
(١١) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(١٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

إنّ منصب الحكومة والقيادة في عقيدة الإمام قدس سره، منصب وشأن إلهيّ ودينيّ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وكما أُعطي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منصب النبوّة من قبل الله تعالى، كان له أيضاً منصب الإمامة وحكومته ظاهرة تنبع من الوحي والدين. «لذا فالله عزَّ وجلَّ قد جعل في الأرض إلى جانب مجموعة القوانين، حكومة وجهاز تنفيذ وإدارة. الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يترأّس جميع أجهزة التنفيذ في إدارة المجتمع الإسلاميّ. وإضافة إلى مهامّ التبليغ والبيان وتفصيل الأحكام والأنظمة، كان قد اهتمّ بتنفيذها حتّى أخرج دولة الإسلام إلى حيّز الوجود»[1].

بناءً على ما تقدّم من كلام الإمام، يمكن الاستدلال على عقيدته بالأسلوب الآتي:

وجوب اتّباع المؤمنين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] أمّا النتيجة التي وصل إليها الإمام قدس سره من الآية المتقدّمة فهي: تطلب الآية الشريفة من المؤمنين اتّباع الله ورسوله. اتباع الله تعالى، يعني العمل بتعاليم الشريعة والوحي الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. إذاً العبادة والأحكام المذكورة في الوحي، اتباع لله تعالى. أمّا اتباع الرسول فعلى نحو آخر. لا يمكن أن يطلق على العمل بأحكام الله، اتّباعاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، هو اتباع لله تعالى.

إنّ اتّباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعني أن يقوم المؤمنون باتّباع الأوامر والتعاليم الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام باعتباره قائداً ومتولّياً لزمام أمور المجتمع الإسلاميّ. يأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل المثال كافّة المسلمين الالتحاق بجيش أسامة. هنا يجب على المؤمنين اتباع أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحق لهم التخلّف؛ لأنّ

(١) ولاية الفقيه /١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

الله تعالى هو الذي فوّض إليه الحكومة والقيادة. ثمّ إنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بدأ إعداد الجيش وتعبئة الجند بناءً على المصالح وتشخيصها.

والمؤمنون مكلّفون بالإضافة إلى العمل بتعليمات الوحي، الانقياد في هذه الأمور للرسول والإمام[1]. وعلى هذا الأساس، يعلم من هذه الآية المنصب والشأن الحكومتي وكذلك قيادة الرسول والإمام.

البناء الطبيعيّ للدين

الإسلام من وجهة نظر الإمام، ليس دين العبادة والموعظة، ليقال عند ذلك إنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له من وظيفة سوى بيان الأحكام والوعظ، لا بل فالمجال الاجتماعيّ والإطار الإجرائي والعمليّ، جزء أصيل وأساسيّ من هذا الدين. قدّم الإسلام، برنامجاً لحياة الإنسان اليوميّة ولسلوكيّاته الفرديّة والاجتماعيّة ودعا المسلمين إلى: العدل والقسط[2]، الزواج[3] والطلاق[4]، الثروة[5] والفقر[6]، الغِذاء واللباس[7]، العلاقة بين البشر[8] وحقوق الأفراد[9] و... ليصار إلى تشكيل الأمّة والمجتمع الإسلامي[10] حيث طلب منهم أحكام اجتماعهم[11] والحؤول دون

(١) ولاية الفقيه / ٦٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
(٣) سورة النساء، الآيتان: ٣ ـ ٤.
(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣١ و٢٣٢.
(٥) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٦٠؛ سورة الماعون، الآيات: ١ ـ ٣.
(٧) سورة المائدة، الآيتان: ٤ ـ ٥.
(٨) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٩) سورة المائدة، الآية: ٤٩.
(١٠) سورة آل عمران، الآيات: ١٠٤ و١١٠.
(١١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

تفرّقهم[١] ثم إنّه أمر بملاحقة الذين يلحقون الضرر بنظم ونظام المجتمع[٢] والخلاصة أنّ: «ماهيّة قوانين الإسلام دليل آخر على ضرورة تشكيل الحكومة، فهي تدلّنا على أنّها جاءت لتكوين دولة، تكون فيها إدارة ويكون فيها اقتصاد سليم وثقافة عالية»[٣].

إنّ الدين الذي يمتلك هذه الهويّة وهذا البناء الاجتماعيّ والتنفيذيّ، كيف يمكن أن لا يكون مُوجده مكلّفاً بتشكيل الحكومة والتنفيذ؟!

ويعتقد الإمام قدس سره أنّ الجزء الإجرائيّ في الدين حسّاس ومهمّ إلى درجة أنّه يقوم بدور على مستوى حياة الدين إذا كان تعيين الخليفة مكمّلاً ومتمّماً للرسالة:

«وهكذا فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولو لم يفعل فما بلّغ ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾[٤] وكان تعيين خليفة من بعده، ينفّذ القوانين ويحميها ويعدل بين الناس عاملاً متمّماً ومكمّلاً لرسالته»[٥].

إذاً تقتضي ماهية الإسلام وهيكل قوانينه، أن يتولّى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحكومة والإمامة، ليمكن بوساطة ذلك تطبيق طلبات وتعاليم الوحي.

تعيين الخليفة

ما هو الأمر الديني الذي اعتبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه ضرورة تعيين الخليفة؟ لو كان شأن ووظيفة الرسول إبلاغ الوحي فقط، فما هو وجه الحاجة للخليفة؟ ألم ينتهِ الوحي برحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٣) ولاية الفقيه/ ٢٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٥) ولاية الفقيه / ١٥.

من جهة أخرى لم يكن أحد من أئمّة الشيعة وخلفاء الرسول ﷺ بالحقّ، ولا أيّ من خلفاء أهل السنة، خليفة للرسول ﷺ في تلقّي وإبلاغ الوحي. إذاً لماذا اختار الرسول خليفة (حسب العقيدة الشيعيّة)؟ وما هي الأمور التي ادعى الخلفاء أنّهم خلفاء للرسول ﷺ فيها (حسب العقيدة السنيّة)؟ ممّا لا شكّ فيه أنّ خلافة الرسول ﷺ كانت في أمر الحكومة وتطبيق الأحكام وتحقيق النظام العمليّ في الإسلام بين أبناء الأمّة؛ لأنّه لا يمكن تصوّر فرض آخر غير ذلك:

«عندما يعين الله تعالى حاكماً للمجتمع بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ. فهذا يعني أنّ الحكومة ضروريّة بعد رحيله»[1].

«فالمسلمون حديثو عهد بالإسلام وهم بأمسّ الحاجة إلى من ينفّذ القوانين ويحكم أمر الله وإرادته في الناس، من أجل ضمان سعادتهم»[2].

«إذا كان تعيين الخليفة ضروريّاً عقلاً لأجل الحكومة، فنحن بحاجة إليه لتنفيذ القوانين»[3].

النتيجة أنّ خلافة الرسول ﷺ هي منصب حكوميّ قد ألهم الرسول تطبيقها.

تشريع الإسلام يحتاج إلى منفّذ

إنّ المذهب والدين الذي يقنّن حياة الإنسان ويفكّر حول حياته، يجب أن يُنظر إليه باعتباره عاملاً مؤسّساً للحياة وإذا استودع التدخل فيه، عقول وقلوب البشر، فقد ظُلم وجرى التعامل معه بجفاء.

إذا كانت الشريعة الإسلامية ذات بُعد اجتماعيّ، فلا يمكن أن تكون غير مبالية

(١) م.ن /١٨.
(٢) م.ن /١٧.
(٣) م.ن/١٤.

فيمـا له علاقة بـالأدوات التنفيذيّة. إنّ القوانين الماليّـة والحقوقيّة وتعبئة القوى الإنسانيّة لا يمكن أن يحصل بوساطة العقل والقلب، بل جرى تشريعها لأجل صلاح وتنظيـم أمور المجتمع. إنّ تطبيق هذه الأمور ونقلها إلى مرحلة الأثمار يحتاج إلى حكومة وسلطة تنفيذيّة؛ لأنّ هذا العمل سيكون غير ممكن من دونها.

«ينبغـي أن تعقـب سلطـة التشريـع سلطـة التنفيذ، فهـي وحدهـا التي تنيل الناس ثمـرات التشريـع العادل. لهـذا قـرّر الإسلام إيجـاد سلطـة التنفيذ إلى جانـب سلطـة التشريـع، فجعل للأمر وليّـاً للتنفيذ إلى جانـب تصديه للتعليم والنشر والبيان»[1].

لـو بقيت الماركسـيّة والليبراليّة في حـدود الذهن والفكر وتـمّ الاكتفاء فيهما بالبحـث ولم يبـادر اتباعهمـا إلى تأسـيس حكومات ماركسـيّة وليبراليّـة ولو لم تكن الاشـتراكيّة والرأسماليّة نظريّتين اقتصـاديّتين تتعلّقان بالحكومة، فهل كان بإمكان هذه المدارس إيجاد الحكومة والإمسـاك بالسياسـة والاقتصاد العالميَّيْن كما نشاهد اليوم؟

إنّ المذهـب الإسـلاميّ ليس أقلّ من المذاهب الأخـرى فيما يمتلك، بل يمتلك مـن الغنى النظريّ بمـا لا يخفى على أحد من المحقّقيـن والباحثين. إذاً لماذا لا يوجد حضـور قانونيّ وتشـريعيّ كما ينبغـي ويجب لقوانين الإسـلام حتى فيما له علاقة بحكومات المجتمع الإسلاميّ؟ ممّا لا شكّ فيه أنّه يجب البحث من ذلك في تقصير وعدم اهتمام المسلمين. إنّ عدم تنظيم النظريّات الإسلاميّة بالأخصّ في مجالي السياسة والاقتصاد وفي النتيجة غفلة الحكومات الإسلاميّة عنهما وتوهّم أنّ الإسـلام لا يحتوي على فلسـفة سياسيّة ومذهب اقتصـاديّ، كلّ ذلك أدّى إلى انزواء الإسلام عن سـاحة التطبيق. ومع ذلك فهناك بعض الحكومات الإسلاميّة

(١) م.ن/١٥.

التي عملت على إيجاد مكانة لأحكام الإسلام الحقوقيّة والجزائيّة ضمن قوانينها أمثال: القِصاص، الدّيات والحدود وذلك في إطار غير منظّم، إلّا أنّ ذلك غير كافٍ لتقديم الإسلام وإظهار عظمته.

طبعاً قام المسلمون بالدور السلبيّ الأساسيّ في هذا الأمر وأضيف إلى ذلك أطماع ومؤامرات الاستعمار الغربيّ. يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

«روَّج المستعمرون لمسألة أنّ الإسلام لا يشتمل على الحكومة وليس فيه تشكيلات حكوميّة. وإذا كان فيه أحكام فليس فيه من ينفّذها. والخلاصة أنّ الإسلام دين التقنين.

الواضح أنّ هذا الإعلام، جزء من مخطّط المستعمرين لمنع المسلمين من السياسة وأساس الحكومة. إنّ هذا الكلام يخالف معتقداتنا الأساسية»[1].

يعتبر الإمام الخمينيّ قدس سره أنّ حاجة التشريع الإسلاميّ إلى المنفّذ، نابع من حاق الشريعة؛ وإلّا فستكون حقائق الوحي بتراء على مستوى السعادة والمصلحة البشريّة.

النتيجة: إنّ الاعتقاد بالبناء الإجرائيّ للإسلام ووجود موقع **«الإمامة»** وعدم انفكاك الإسلام عن الحكومة، كلّ ذلك يشكّل رؤية الإمام قدس سره حول إلهيّة ودينيّة منصب حكومة الرسول صلى الله عليه وآله وإمامته وقيادته الدينيّة.

اتفق متكلّمو الشيعة، على أنّ منصب الإمامة، منصب إلهيّ ودينيّ ومن جملة ذلك:

- اعتبر السيّد مرتضى أنّ الإمامة من جملة أفعال الله تعالى: **«والذي من فعله تعالى هو ايجاد الإمام وتمكينه بالقدرة والآلات والعلوم من القيام بما فوّض**

(١) م.ن/١٤.

إليه، والنصّ على عينه والزامه القيام بأمر الإمامة»[١].

- اعتبر نصير الدين الطوسيّ أنّ الإمامة من مقتضيات لطف الله تعالى بعباده:

«الإمام لطف فيجب نصبه على الله تعالى»[٢].

- أكّـد العلّامة الحلّي أنّ الإمامة هي رئاسـة الناس في أمـور الدين والدنيا وهي ناشئة من لطف الله تعالى:

«الإمامـة رياسة عامّة في أمور الدنيـا والدين لشخص من الأشخاص نيابة عن النبيّ وهي واجبة عقلاً لأنّ الإمامة لطف»[٣].

اعتبر بعض المتكلّمين في أبحاثهم الكلاميّة أنّ النسـبة بين النبوّة والإمامة، هي الحتم والضـرورة[٤]، إلّا أنّ كافّة متكلّمي المسـلمين، شيعة وسنة، قد اتفقوا على منصـب الإمامة للرسـول الأكـرم وأمّا الذين رفضـوا وعارضـوا الارتباط بيـن النبوة والإمامة، لعلّهم أرادوا من ذلك الفصـل الخارجـيّ، بمعنى أنّ بعض الأنبيـاء لـم يتمكّنوا من قيادة وإمامـة الناس في العمل[٥]، كمـا أنّ بعض الأئمّة المعصـومين عليهم السلام لم يَتَسَـنَّ لهم ذلـك لعدم توفّر الظـروف الاجتماعيّة، ومع ذلك كانوا يحملون منصب القيادة والإمامة.

خلود ودوام الإمامة

إنّ أقرب المبادئ الكلاميّة والتي تقوم بدور أساسيّ في فهم وقبول نظريّة ولاية الفقيه، الاعتقاد بدوام وخلود إمامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام.

(١) الذخيرة، السيد مرتضى /٤١٩، الانتشارات الإسلامية، جامعة المدرسين.
(٢) تجريد الاعتقاد، الخواجه نصير الدين الطوسي /٢٢١، تحقيق حسيني جلالي، الإسلامي.
(٣) الباب الحادي عشر، العلامة الحلي /٣٩، تحقيق الدكتور مهدي محقق، الحضرة الرضوية.
(٤) الرسائل العشر، الشيخ الطوسي /١١١ ـ ١١٤، الانتشارات الإسلامية.
(٥) ولاية الفقيه أساس الحكومة الإسلامية، آية الله جوادي الآملي / ١٠٨.

اتضح من الأبحاث المتقدّمة أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام من بعده قد حملوا في الإسلام منصب القيادة والحكومة من قبل اللّه تعالى وذلك بسبب سعة دائرة دخالة الإسلام في كافّة مجالات حياة الإنسان، ومن جملة ذلك الحياة الاجتماعيّة وكونه يتضمّن أحكاماً لا يمكن تحقّقها من دون حكومة ليصار بوساطة ذلك إلى تحقّق تعاليم الشريعة في المجتمع بشكل كامل.

هنا يطرح السؤال الآتي: هل يجب استمرار هذه المسألة الدينية في زمان الغيبة؟ بمعنى هل يجب تحقّق وإجراء الدين بكافّة تفاصيله أم أنّه يكتفَى في زمان الغيبة بالعبادات والمعنويّات وبالتالي يجري ترك الأبعاد الاجتماعيّة والتنفيذيّة للدين؟

يقول الإمام الخميني قدس سره: «**قد مَرَّ على الغيبة الكبرى أكثر من ألف سنة وقد تمرّ ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر عجل الله فرجه، في طول هذه المدّة المديدة هل تبقى أحكام الإسلام معطّلة؟... القوانين التي صدع بها نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وجهد في نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، هل كان كل ذلك لمدّة محدودة؟ هل حدّد الله عمر الشريعة بمائتي عام مثلاً؟ هل ينبغي أن يخسر الإسلام من بعد الغيبة الصغرى كلّ شيء؟!**»[1].

الواضح أنّ الزمان لا يقلّل من دائرة الدين، بل يجب تحقّق الشريعة بكافّة تفاصيلها بشكل مستمرّ ودائم.

بناءً على ما تقدّم فكما كانت الحاكميّة وقيادة المجتمع في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام أمراً دينيّاً كذلك الحال في زمان الغيبة.

(١) ولاية الفقيه /١٩.

اتضح حتّى الآن من البحث أنّ الكلام عن الضرورة الدينيّة للحكومة، وخلود وجامعية الدين وأن القيادة منصب إلهيّ ثابت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام، واتضح كذلك ضرورة وخلود وثبات القيادة للمعصوم في زمان الغيبة، وهذا يعني أنّ الحكومة كانت مَدّ نظر الإسلام وأنّ «الحكومة الإسلاميّة» ليست اصطلاحاً ومفهوماً وارداً أو مفروضاً من قبل أيّ شخص أو أشخاص. بل الحكومة الإسلاميّة هي تَلَقٍّ وفهمٌ عقليّ عميق وأصيل لمجموعة العناصر المعرفيّة والحقائق الدينيّة لهذه الشريعة.

بعد مرحلة إثبات «الحكومة الإسلاميّة» بمعنى ضرورة تشكيل الحكومة وإسلاميّتها، يأتي الحديث عن مرحلة إثبات تولّيها من قبل «الفقيه». فإذا كانت الحكومة إسلاميّة ويجب أن تتحرّك في إطار خدمة أهداف وأحكام الدين، فهل يمكن لأيّ شخص تحمّل مسؤوليّتها؟ أو أنّ الأمر يقتضي وجود قيادة وحاكميّة خاصّة؟ وبعبارة أخرى هل غفلت شريعة الإسلام عن مسألة تعيين الخليفة أم أنّها لم تغفل عنه كما لم تغفل عن الأمور الأخرى، نشير هنا إلى رأي وجواب الإمام قدس سره بعد عرض السؤال الآتي:

من هو الشخص المكفّل بإقامة الحكومة في زمان الغيبة؟

يعتقد الإمام الخميني قدس سره أنّ إقامة الحكومة في زمان الغيبة على عاتق الفقهاء والعارفين بالدين وهذه هي بالضبط نظرية «ولاية الفقيه». وقد اتبع الإمام قدس سره أسلوبين لإثبات هذه العقيدة:

١- الأسلوب العقليّ والرؤية الخارجيّة للدين والحكومة.

٢- الأسلوب النقليّ والبحث من داخل الدين.

الأسلوب العقلي

لجأ الإمام قدس سره هنا إلى قياس جعل صغراه النتيجة الحاصلة من الأبحاث

المتقدّمة وهي أنّ: الحكومة خادمة للدين وهي بمثابة أداة لتحقّق القوانين الإسلاميّة، ليصل من خلال ذلك إلى إثبات «ولاية الفقيه» وضرورة تولّي الفقيه للحكومة:

«إنّ الحكومة الإسلاميّة لمّا كانت حكومة قانونيّة بل حكومة القانون الإلهيّ فقط. وإنّما جعلت لأجل إجراء القانون وبسط العدالة الإلهيّة بين الناس. لا بُدَّ في الوالي من صفتين هما أساس الحكومة القانونيّة، ولا يعقل تحقّقها إلّا بهما: إحداهما العلم بالقانون وثانيتهما العدالة، ومسألة الكفاية داخلة في العلم بنطاقه الأوسع، ولا شبهة في لزومها في الحاكم أيضاً، وإن شئت قلت: هذه شرط ثالث من أسس الشروط»[1].

الواضح أنّ أساس استدلاله يقوم على أساس إسلاميّة الحكومة، يعتقد الإمام قدس سره أنّ المجتمع الإسلاميّ بحاجة إلى حكومة يؤدّي تطبيق قوانين الإسلام فيها، إلى وجود عالم عادل عاقل ومعنويّ ووجود تربية تؤدّي إلى السعادة. ممّا لا شكّ فيه أنّ هكذا حكومة يجب أن يكون على رأسها عالم بالدين والثقافة والقوانين والأهداف التي أرادتها الشريعة وهو على علم بالإدارة والتدبير اللازمَيْن لقيادة المجتمع: **«إذا كان الحاكم غير عالم بالقانون فهو غير لائق للحكومة؛ لأنّه إذا قلّد فقد كسر سلطة الحكومة وإذا لم يقلّد لم يكن بإمكانه الحكم وتنفيذ قانون الإسلام»**[2].

الأسلوب النقليّ

تعتمد رؤية الإمام قدس سره في إثبات نظريّة ولاية الفقيه على الفهم العقليّ العميق لحقائق ومعارف الدين. وإذا كان الإمام قدس سره قد استند في هذا الأمر إلى الدليل

(١) كتاب البيع، الإمام الخميني، ج٢/ ٤٦٤ـ٤٦٥.
(٢) ولاية الفقيه / ٣٨.

العقلـيّ، فهو إلــى جانب ذلك اعتمد على الدليل النقليّ حيث الاســتناد إلى الآيات والروايات.

تحدّث الإمام بعد توضـيحه كفاية الدليل العقليّ في المسألة فقال: «**ومع ذلك دلّت عليها بهذا المعنى الوسيع روايات نذكر بعضها**»[1] ثم بدأ دراســة الروايات حيث وصل في النهاية إلى النتيجة الآتية: «**إنّ الولاية الثابتة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّـة عليهم السلام، ثابتـة للفقيه أيضاً. لا شكّ فـي هذا المطلب، إلّا إذا قام الدليل على ما يخالفه**»[2].

وبما أنّ محاولتنا قد تركّزت على البعد العقليّ والخارجيّ الذي نظر الإمام قدس سره مـن خلاله إلى موضـوع البحـث، لذلك لا مجـال للحديث حول الروايـات وكيفيّة الاعتماد عليها في الاستدلال.

(١) كتاب البيع، ج٢/٤٦٧.

(٢) ولاية الفقيه /١١٢.

الباب الرابع

منوعات من الثقافة

استنساخ الإنسان، النتائج وردود الأفعال

جواد خرميّ

كان الوقت يشير إلى يوم الجمعة السابع والعشرين من كانون الأوّل عام ٢٠٠٢م، عندما أعلن خبر ولادة المولود المستنسخ الأوّل. هذا ما أعلنته شبكة (BBC) التلفزيونية عصر ذاك اليوم. والمولود هو فتاة تبلغ ٣ كيلوات و٢٠٠ غرام وقد تحدّثت السيّدة «بريجيت بويسلير» عالمة الكيمياء، ومديرة شركة كلوناید «Eve أي حواء»، عن ولادة تلك الفتاة عن طريق الهندسة الجينيّة وعمليّة الاستنساخ التي حصلت. وقالت إنّ شركتها وبالاستفادة من أسلوب «كلونيغ» تمكّنت من استنساخ طفل من خلية جلد امرأة أمريكية تبلغ ٣١ من العمر، فكانت بعد الولادة شبيهة بتلك المرأة الأمريكية.

وتحوّلت مسألة الاستنساخ لتصبح اليوم واحداً من الأبحاث العالميّة. صحيح أنّ كافّة الجزئيّات لم يتمّ الكشف عنها أمام العالم، إلّا أنّ بعض الأفراد والمجموعات تابعوا هذه الظاهرة بدراساتهم وتحقيقاتهم، وكان للفقهاء داخل البلد آراءٌ متعددة ومتفاوتة. فيما يلي سنتحدث في المقال حول تعريف الاستنساخ ونتائجه الإيجابيّة والسلبيّة وردّات الفعل التي صدرت عن العالمين المسيحيّ الغربيّ والإسلاميّ.

ألف ـ تعريف الاستنساخ

الاستنساخ المعروف باسم «كلونيغ»، يعود إلى الأصل «كُلون» وهو مصطلح

يوناني والمقصـود منه «التوليد». وعبارة «كلونيغ» في علم الأحياء تعني «توليد الموجـود الحـيّ من دون اختـلاط جنسيّ» وتطلق على عمليّـة زراعة الجنين في الرحـم حيث يتـمّ بداية إيجاده في المختبر. وتجري العمليّـة على النحو الآتي: أن يقوم المحقّقون باسـتبدال نواة البيوض بوساطة الـ DNA فيضعوا مكانها خلايا أخـرى، ثمّ يعمدوا إلى البيوض المرممّة فيضـعوها تحت الرقابـة المخبريّة حتّى تتحوّل إلى جنين. ثمّ يزرع الجنين في الرحم فيتكوّن منه إنسـان يشـبه الشخص الذي أخذت منه الخلايا[1].

وبعبارة أوضح الاستنساخ يشـبه إلى حدود بعيدة عمليّة التقليم والتطعيم التي تجري على النباتات. فالمزارعون ومنذ قديم الأيّام كانوا يلجأون إلى توليد وتكثير النباتـات إما من خلال زرع البذور في الأرض أو مـن خلال التقليم والتطعيم. أي أنّهم يأخذون قطعة صغيرة جدّاً من بدن إنسان (في الغالب تكون القطعة من جلد الإنسـان)، ثم يزرعونها في بويضـة امرأة. ثم يزرعونها فـي رحم المرأة. وهكذا تنمو البويضـة لتكون في النهاية إنسـانًا، إلّا أنّ هذا الإنسـان لا والد ولا والدة له، بل هي قطعة تم فصـلها من البدن[2]؛ والأمر شبيه بالكتاب الذي يحتوي على ألف نسخة شبيهة ببعضها البعض.

ما تقدّم هو الأسـلوب المتداول للاستنساخ، إلّا أنّ للمسألة أشكالاً أخرى نشير إليها باختصار:

١- **الاستنسـاخ الالكترومغناطيسـي:** يجري في هذا الأسـلوب الاسـتعانة بجهاز مخصّـص يخرج منه سلك يربط بين الشـخص الذي يراد صناعة نسخة عنه والشـخص الذي سـتنتقل إليه خصوصـيّات الأوّل. ثمّ يعمل الجهاز على حفظ

(١) استنساخ الإنسان، حميد رضا شريتمداري، ص٣، صحيفة جام جم، ١٣٨١/٣/٥م عباس بور اردكاني.

(٢) بالنظر إلى جواب آية الله ناصر مكارم الشيرازي على مسألة الاستنساخ.

كافـة العلوم والمعـارف الموجودة عنـد الأوّل، وإمحاء كافّـة معلومات الثاني، ليحل محلّها معلومات ومعارف الأوّل.

٢- **الزراعة:** وهو زرع دماغ شـخص ميت في رأس إنسـان حي، ليكون الحيّ نسخة مطابقة للميت في أفكاره.

٣- **الجراحة الجينيّة:** يتمّ في هذا الأسـلوب فصـل الخلايا السـالمة من العضو المتضـرّر عند الشـخص المريض من خـلال الجراحة الجينيّة ثمّ توضـع في الأنابيب لإعادة ترميمها، وعندما تتحوّل إلى عضـو كامل (عين، قلب...)، يتمّ زرعها في بدن المريض[١].

ب- نتائج الاستنساخ

يمكن الإطلالة على نتائج الاستنساخ ضمن قسمين:

١- **النتائج الإيجابيّة:** إنّ فكرة الاستنسـاخ في الأصـل، ليست مسألة سلبيّة، فمن الجـذّاب أن يتمكّـن العلماء من إنتاج حيوانـات أو نباتـات ذات كيفيّة مطلوبة وبأعـداد كبيـرة. ويمكن من خـلال المحقّقين المهندسـين الجينيّيـن إيجاد حيوانـات، يُسـتفاد من أعضـاء أبدانها للأعمـال الجراحية التـي تجري على الإنسـان، أو الاستفادة من بعض الخلايا السـالمة لإنتاج عضو سالم كامل، أو الاسـتفادة من ما هو موجود في أبدان الحيوانات لإنتاج أدوية، أو للحفاظ على بعض الحيوانات التي تتعرّض للانقراض.

يتحـدّث الدكتـور «بهاونـد» في هذا الخصـوص ويقـول: **«إنّ كلّ خليّة تحمل استعـداداً بالقـوّة لتتحـوّل إلى كافّـة خلايا الأعضاء. لذلك يمكـن في المختبر إيقـاف نمـوّ الخلايـا والسمـاح لخلايـا القلـب أو الأعصـاب على سبيـل المثال**

(١) راجع: فصلية «حوزة» (المصدر نفسه)؛ تقرير عن الاستنساخ، ص٤ ـ ٥.

باستمرار مسيرة النموّ. وهذا يعني أنّ الخليّة تملك استعداداً أن تكون كلّ شيء، يتمّ توجيهها في المختبر نحو إنتاج عضو خاصّ».

ويضيف: **«أرسلت شرحاً عن هذه الأبحاث للإمام القائد، بالأخص الجزء العلاجيّ منها التي لا يعارضها أحد، فكتب: أخبروا الأصدقاء: أن يتابعوا هذه الدراسات بهمّة عالية وأن ينتجوا هذه الثروة العظيمة الإنسانيّة لبلدهم وأمّتهم. موفّقون إن شاء الله. طبعاً التفتوا إلى أن لا تنجرّ صناعة الأعضاء البديلة للإنسان، إلى صناعة الإنسان»**[1].

يقول الدكتور **«نزا»**، المعاون في شركة «ACT»: **«يجب أن يلتفت الناس إلى الفوائد الطبيّة الناشئة من استنساخ الخلايا. ليس هدفنا إنتاج أشخاص متشابهين، بل إيجاد علاجات تؤمّن الحياة لعدد كبير من الأمراض الإنسانية والتي تشتمل: الديابت، السكتة، السرطان، الإيدز، والاختلالات العصبية أمثال آلزايمر»**[2].

٢- **النتائج السلبيّة:** تحمل عمليّة الاستنساخ نتائج سلبيّة عديدة يمكن الإشارة إلى أبرزها:

نتائج أخلاقيّة:

يحمل الاستنساخ نتائج أخلاقيّة من أبرزها عدم الميل نحو تأسيس عائلة، عدم تحمّل مشاكل العائلة، التوجّه نحو الطرق غير الشرعيّة لإشباع الغريزة الجنسية، الاقتناع بالحصول على الولد عن طريق الاستنساخ وليس عبر الطرق المشروعة، ومحاولة كلّ رجل وامرأة اختيار الطفل طبق مواصفات خاصّة.

(١) أسبوعية أفق الحوزة، ١٣٨٢/٢/١٥ش، ص٨.

(٢) صحيفة «أبرار»، ١٣٨٠/١١/٧ش.

يقول «ريموند فلين» رئيس الاتحاد الوطنيّ لكاثوليك أمريكا والسفير الأمريكي السابق في الفاتيكان بأنّ مسألة الاستنساخ تُعَدّ عند البعض تقدّماً طبيّاً إلّا أنّها في الواقع تخلّف أخلاقيّ. وإنتاج المثل هو حق للّه وليس للبشر[1].

النتائج ذات العلاقة بالهويّة:

إنّ الأشخاص الذين يولدون عن هذا الطريق سيكونون فاقدين للهويّة، فاقدين للعائلة، لا أب ولا أمّ لهم. كذلك ليس لهم أخ ولا أي شخص آخر سوى الذي يشبهونه ويؤدّي هذا الأمر بالتدريج إلى زوال العواطف بين البشر وفقدان الهويّة.

يقول فرنسيس فوكوياما: «**... إنّ الاستنساخ هو الشكل غير الطبيعي لإنتاج المثل، ويؤدّي إلى علاقات غير طبيعيّة بين الوالدين والأبناء. ولن يكون للابن المستنسخ العلاقة المطلوبة مع والديه، لأنه هو من جهة ابن، ومن جهة ثانية توأم لأحد الوالدين. بالإضافة إلى أنّه لا يمتلك أيّ وجه شبه مع الشخص الآخر...**»[2].

نتائج جسمانيّة:

يعتقد العديد من الأطبّاء أنّ الأشخاص الذين يولدون عن هذا الطريق يعانون من مشاكل جسميّة ونواقص بدنيّة عديدة، وقد أشارت التجربة إلى أنّ الانحراف عن المسير الطبيعيّ يحمل معه العديد من المشكلات.

«**... الواقع أنّ المشكلات التي يحملها الاستنساخ عديدة حتّى إنّ الشبيه الأوّل «ديلموت»** كان عملاً إجراميّاً بكلّ ما للكلمة من معنى. وبعد أربع سنوات من العمل والاختبار على الحيوانات ما زال مقدار الموفقيّة ضعيفاً إذ يواجه هذا العمل الكثير من الفشل الذي يبلغ في الغالب ٩٨٪. والحيوانات التي يتمّ إنتاجها

(١) المصدر نفسه.

(٢) صحيفة هشهري، ١٣٨١/٢/١٦ش، فرانسيس فوكوياما، ترجمة فرزاد برستش.

عن هذا الطريق هي جثة يعادل عمرها ضعف الذين يولدون بشكل طبيعي. ويعاني أصحابها من مشاكل قلبية وعجز مبكر وأمثال ذلك[١].

٤ ـ عوارض عاطفيّة ونفسيّة

بما أنّ الشخص المستنسخ ليس له والد محدّد، لذلك يعاني من نقص على المستوى العاطفيّ واختلالات نفسيّة، فيسيطر عليه الحزن واليأس في الغالب. ويختلف هؤلاء الأشخاص عن الأيتام، إذ الأيتام ليس لهم آباء ولكن لديهم من يهتمّ بأمورهم وأمّا المستنسخون فليس لهم آباء ولا اشخاص يهتمّون بأمورهم.

٥ ـ انقراض الأجيال وتنوّع الخلق:

يؤدّي الاستنساخ في النهاية إلى سيادة جيل خاصّ وانقراض أنواع أخرى من البشر. مع العلم أنّ نظام الوجود يقوم على أساس التمايز والاختلاف بين الأنواع. وحذف التنوّع يؤدّي إلى تعرّض الجيل البشريّ للخطر[٢].

من جهة أخرى يؤدّي الاستنساخ ووجود جيل بشريّ متشابه بالكامل إلى اضطراب في مسائل عديدة أبرزها: بصمات اليد، فئات الدم، وحدة الـ DNA... وبالتالي فقدان المعرفة بالهويّة الإنسانيّة[٣].

٦ ـ نتائج آليّة وسياسيّة

صحيح أنّ مسألة الاستنساخ هي في أيدي العلماء والمحقّقين، إلّا أنّ مستقبلها ينذر باختلاط المعادلات السياسيّة والمصالح الفرديّة والجماعيّة. وهناك الكثير من الاكتشافات البشريّة التي تندرج اليوم في إطار القضاء على الجيل البشريّ.

---

(١) أسبوعية أفق الحوزة، ١٣٨٢/٢/١٥ش.

(٢) راجع: تقرير الاستنساخ، ص١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧ ـ ١٨.

فالأسلحة الذريّة المخزّنة في العالم اليوم كافية لإزالة الأرض عشر مرّات. والواقع أنّ المجانين المتحكّمين بالعالم اليوم، يحلمون بالخلود والحاكميّة الدائمة ـ لذلك فقد يشكل الاستنساخ أداة بأيدي الديكتاتوريّين لتنفيذ مآربهم الخاصّة[١].

ج ـ ردود الفعل

أدّت مسألة الاستنساخ إلى وجود ردّات فعل عديدة معارضة في العالمين الغربيّ المسيحيّ والإسلاميّ، وعلى مستوى المحافل العلميّة والسياسيّة، نشير هنا إلى بعض منها:

١ ـ المحافل العلميّة والسياسيّة:

تعتبر مسألة الاستنساخ من المواضيع المحدودة والقليلة التي اتفق العلماء والسياسيّون على مخالفتها. اعتبر جاك شيراك رئيس جمهورية فرنسا أن استنساخ الإنسان هو جناية وطلب الحؤول دون وقوعها. وكذلك فعل فرانسوا ميتران، الذي اعتبرها ظاهرة مخيفة. وقدّمت فرنسا وألمانيا اقتراحاً إلى الأمم المتحدة عام ٢٠٠١ يمنع بموجبه الاستنساخ. واتّخذت بعض الدول أمثال بريطانيا واليابان إجراءات لمنع الاستنساخ على سبيل عدم الاعتراف بالمستنسخ. واعتبر جورج بوش رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية أنّ هذا العمل خطأ من الأساس.

كذلك فعلت المراكز العلميّة في العالم. يقول الدكتور «هنري غريغمن» إنّ استنساخ الإنسان هو عمل مذموم. وأكّد الدكتور الألماني «هانس برنارد وام برغ» أنّ الاستنساخ نوع من العبوديّة.. ورفضت منظّمة الصحة العالميّة في اجتماعها السنويّ مسألة الاستنساخ وعارضته بأكثريّة الأصوات[٢].

(١) المصدر نفسه، ص١٨.

(٢) المصدر نفسه، وراجع: سياسة اليوم، ١١ دي، ١٣٨١ش.

٢ ـ العالم المسيحيّ

أكّـد الفاتيكان أنّ ولادة أوّل إنســان مستنســخ هو عمل وحشــيّ يفتقد الأصــول الأخلاقيّة والإنسانيّة. واعتبرت الكنيسة الكاثوليكيّة في روما أنّ الحياة هديّة إلهيّة وليست ولادة صناعيّة، والاستنساخ هو تدخّل في عمل الله[١].

يظهــر مــن أغلــب تصــريحات رجــال الديــن المســيحيّين تأكيدهم علــى أنّ الاستنساخ نوع من التدخّل في عمل الله تعالى. طبعاً هذا الكلام غير صحيح، لأنّ الاستنســاخ لا يتنافى مع إلهية الله؛ فالبذرة التي نزرعها لتصبح شجرة، هي عمل الله. يضــاف إلــى ذلك أنّ الاستنســاخ ليس عملاً جديداً بل يمكن إدراجه ضــمن القوانيــن الإلهيّة الحاكمة علــى الطبيعة. فكافّة الموجــودات وطبق النظام الإلهيّ الحاكم على الطبيعة تنتج وتُولّد المثل. فالاستنساخ مرفوض من باب النتائج التي يحملها وليس من باب التدخّل في أمر الله[٢].

٣ ـ العالم الإسلاميّ

دان المسلمون وبشدّة عمليّة الاستنساخ واختلفت الآراء بين العلماء حيث نشير إلى ذلك في جزءَيْن:

الأوّل: أهل السنّة

نقلــت أســبوعية «المسلمــون» في عددها ٦٣٣ الصــادر فــي الخامس من ذي القعــدة ١٤١٧هــ.ق عن ابن عثيمين، عضــو هيئــة علماء الســعودية أن أقلّ عقاب للقائميــن بالاستنســاخ هــو قطــع أيديهــم وأرجلهم لأنّهم مفســدون فــي الأرض. وحرّم الأزهر الاستنســاخ. وكذلك خالفت جامعة الــدول العربيّة ومنظمّة المؤتمر

(١) صحيفة أبرار، ١٣٨٠/١١/٧ش، جديد العلم، صحيفة جام جم ١٣٨١/١٠/٢٢ش.

(٢) تقرير عن الاستنساخ، ص٥ ـ ٦، أسبوعية أفق الحوزة، ١٣٨٢/٢/١٥ش؛ صحيفة اعتماد ١٣٨١/١٠/١٠ش.

الإسـلاميّ. وعقدت المنظمّة الإسـلاميّة للعلوم الطبيّة جلسة في المغرب بحضور العلماء المسلمين والأطبّاء، أدانوا فيها الاستنساخ[1].

الثاني: علماء الشيعة

أجاز علماء الشـيعة بالاتفاق استنساخ الحيوانات، وكان لهم آراء مختلفة حول استنساخ الإنسان. فيما يلي نعرض الأسئلة الموجّهة للمراجع والإجابات عنها:

بما أنّنا نشهد تقدّماً علميّاً كبيراً في القرن العشرين... فهل يجوز استنساخ الحيوانات الحيّة من خلال إنتاج خلاياها (كلوناج)؟ (تؤخذ الخليّة من الحيوان الحيّ ويتمّ تنمية تلك الخليّة بوساطة معلومات الـ DNA الحيوانيّة بنفس الخصوصيّات السابقة).

وجاء في الإجابات:

- آية اللّه بهجت: الظاهر أن لا إشكال في ذلك.
- آية اللّه الخامنئيّ: هذا العمل في نفسه لا إشكال فيه.
- آية اللّه السيستانيّ: لا مانع.
- آية اللّه صـافي الكلبايكانيّ: لا إشـكال فيه بنفسـه إن لم يسـتلزم عملاً خلافاً للشرع.
- آية اللّه مكارم الشيرازيّ: لا إشكال في هذا العمل فيما يتعلّق بالحيوانات.
- آية اللّه نوري الهمدانيّ: جائز في غير الإنسان.
- آية اللّه فاضـل اللنكرانيّ: لا دليل على حرمة هذا العمل حسـب العنوان الأوّلي، وإن كان فيه إشكال حسب العناوين الثانوية[2].

(١) المصدر نفسه، ص١٢ ـ ١٣؛ راجع: صوت العدالة، ٣٠ دي، ١٣٨١، والموقع الالكتروني SALAMRAN NETWORK.

(٢) الانترنت ومجموعة الاستفتاء في مركز الدراسات الفقهية التابع للسلطة القضائية.

وسُـئِل المراجع العظام حول استنساخ الإنسـان: «**بما أنّنا نشهد تقدّماً علمياً كبيراً في القرن العشرين، بالأخصّ التطوّر الحاصل في علم الطبّ ومن جملة ذلك الاختراعات الحديثة المهمّة في هندسة الجينات وإيجاد المثل، حيث وجدت مسائل مبهمة ومعقّدة في علم الوراثة، لذلك:**

أ ـ إذا تمّ حفظ الخلية الجينيّة في الثلاجة لمدّة مائة عام أو أكثر من ذلك، ثمّ أخذ وزرع في رحم امرأةٍ، فهل يتمكّن الطفل المكوّن من هذه الخلية، مطالبة أقاربه بالإرث؟

ب ـ إذا حملت الفتاة الباكرة بوساطة هذا الفنّ (كلوناج) وأصبحت صاحبة ولد، فهل حملها مشروع؟ وهل الولد، هو نسخة عنها، أم أنه مشابه أم ابنتها؟

ج ـ إذا احتفظت العائلة بخلية عن ابنها في الثلاجة، ثم بعد وفاته قاموا بزرع الخلية في رحم الأم؟ فهل يجوز إيجاد إنسان لأجل هدف لا يتعلق به ولا يحمل إليه اي نفع؟

د ـ لو تطوّر هذا الفنّ (كلوناج) إلى مستوى تمكّنت النساء من مطالعة لائحة الأطفال واختارت أكثرهم قدرة على البقاء على الحياة. فما هو حكم هذا الطفل؟

الجواب: آية الله بهجت:

أ: لا وراثة.

ب: لا مانع وهو أشبه بالولد.

ج: لا مانع.

د: لا منع من حيث التكليف ومن حيث المعاملة يرجع إلى نظائره[1].

(١) المصدر نفسه.

وتمّ توجيه السؤال الآتي: هل يجوز إنتاج الإنسان في المختبر عن طريق الأساليب العلميّة المتطوّرة (كلوناج)؟

أفتى بعض المراجع بالحرمة، أمثال:

- آية الله التبريزيّ: لا يجوز والله العالم.
- آية الله مكارم الشيرازيّ: هذا العمل غير جائز ويحمل معه مفاسد عديدة.
- وأجاب بعض المراجع الآخرين بعدم الإشكال في العنوان الأوّليّ:
- آية الله فاضل اللنكرانيّ: لا إشكال فيه بالعنوان الأوليّ؛ وهو غير جائز بالعنوان الثانويّ إذا ترتب عليه مفاسد.
- آيـة الله نوري الهمدانيّ: من غير المعلوم تحقّـق هذا العمل وإمكانه، فإذا كان ممكناً، لا إشكال فيه إذا لم يكن مخالفاً للموازين الشرعيّة.
- آية الله السيستاني: لا مانع فيه بحدّ ذاته.

الوحدة قمّة العزّة والشموخ

غلام رضا كلى زواره

ضرورة الوحدة والتفاهم والإعداد للتأليف بين القلوب

عندما بعث الله تعالى الرسـول الأكرم ﷺ ليكون الشعاع الذي يضيء صحراء المجتمع البشريّ المظلمة وليجعل الحجاز مركز إشعاع أنوار الوحي، كانت سلاسل الأسـر التي تسـاهم في تحجر وتجميد أفكار الناس تتهاوى الواحدة بعد الأخرى، وتمّ القضاء على العداء والبغض ببركة نور الحقّ ونبع التوحيد الفوّار على الدوام، فاقتربت القلوب من بعضـها ، وسادت الرحمة بين أبناء البشر وجاءت هذه الثورة المعنويّة والتحوّل الفكريّ ليحملا معهما الهدوء والأمن والألفة وحُسن التفاهم.

إنّ التعاليم الإسـلاميّة، تنحو منحى الدعوة نحو اتحاد المسـلمين وتضامنهم بغضّ النظر عن التنوّع القوميّ والعرقيّ واللغويّ ورغم الفِرَق المتعدّدة الموجودة.

إنّ الإلـه الذي يعبده المؤمنون واحد. شـعارهم لا إلـه إلا الله والجميع مؤمنون بالرسالة المحمّدية. ويعتبر كافّة المسلمين أنّ القرآن هو كتابهم المقدس ويتلونه تقرّباً إلى الله تعالى؛ والقانون الحاكم على كافّة المسلمين موجود في هذا الكتاب الإلهـيّ؛ الجميع يتوجّه في الصـلاة نحو قبلة واحـدة؛ والأذان عند الجميع واحد؛ والجميع يصـومون في شـهر واحد، والجميع يعتبر الأوّل من شـوّال ويوم الأضحى عيـداً له، والجميـع يتوجّه في ذي الحجّة لأداء فريضـة الحج. وجميع المسـلمين

يحملـون الحبّ والاحتـرام لآل بيت رسـول الله ﷺ. وهذه أمور يمكنهـا أن تقرّب القلوب إلى بعضها وتُحيي فيهم روح الأخوّة[1].

أكّـد القـرآن الكريـم وكذلك العتـرة الطاهرة علـى الوحدة بيـن الناس وبذل علماء الشـيعة والسـنة جهوداً كبيرة في هذا المضـمار يزول معه كلّ شـكّ وسوء فهم ليمنعوا المتردّدين والشـاكّين من إمكانيّة الوحدة، ولعلّ العناوين الآتية تشكّل النقاط المشتركة للتقريب والذي تعود جذوره إلى الأبحاث الاعتقاديّة، ومن جملة هذه العناوين:

الاعتصام بحبل الله

١- يبيّن القرآن الكريم أنّ الاعتصام بحبل الله والتأليف بين القلوب ، نعمة إلهية: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2].

أشـار القرآن الكريم في الآية الشريفة إلى مجتمعين متضادّين: الأول التفرقة المترافقة مع الخصـومة والتي ظهرت في زمان الجاهليّة، والثاني الوحدة والأخوّة التي ظهرت مع الإسلام. أراد القرآن الكريم الإلفات إلى آثار اللطف الإلهيّ والدور الأساسـيّ له في ظهور هكذا تحول روحيّ ومعنـويّ فذكّرهم ودعاهم إلى المقارنة بين هاتين الحالتين.

٢- بعث الله تعالى الأنبياء لتوجيه الناس نحو الوحدة من خلال تعاليمهم التوحيدية ودعـوة الناس إلى إقامـة الدين الإلهيّ وبالتالي الابتعاد عن التفرقة في الدين.

(١) تعليقات الشهيد مطهري، ج١، ص٢٠٢-٢١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

جاء في القرآن الكريم:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[1].

٣- تحدث الإمام عليّ عليه السلام في وصيّته الأخيرة إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام وقال: «**أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي ومن يبلغه كتابي بتقوى الله ربّكم ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا**».

٤- يتحدّث الإمام الخميني قدس سره حول هذا الموضوع ويقول: قدّم الإسلام تعاليمه وقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾، ليتقدّم الجميع مع بعضهم البعض، وكافّة الطبقات مع بعضها البعض، للاعتصام بحبل الله بالالتفات إلى الله العظيم. إنّ التخلّف عن هذا الأمر الإلهي جريمة ومعصية. الإسلام هو الذي أمر بالاعتصام بحبل الله»[2].

وأشار في مكان آخر فقال: «**إذا أرادت الأمم والدول الوصول إلى النصر والأهداف الإسلامية بكامل أبعادها والتي فيها سعادة البشر، عليها الاعتصام بحبل الله؛ الابتعاد عن الاختلافات والتفرقة وإطاعة أوامر الحقّ تعالى**»[3]. ويعتبر الإمام قدس سره أن اتحاد المسلمين بركة ويقول: «**هذه بركة كبيرة أن نجتمع نحن وجميع أخوتنا أهل السنّة والشيعة في مكان واحد وأن نسعى جميعنا لأجل الإسلام**»[4].

٥- يقول رسول الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربقة**

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.
(٢) صحيفة نور، ج٦، ص٨٩.
(٣) في البحث عن الطريق من كلام الإمام، ج١٥، ص١٥٢.
(٤) المصدر نفسه، ص١٢١.

الإسلام من عنقه. قيل: يا رسول الله، وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة أهل الحقّ وإن قَلُّوا»[١].

٦- ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **«ثلاث لا يَغلُّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمّة المسلمين، واللزوم لجماعتهم»**[٢].

٧- يقول الإمام عليّ عليه السلام: **«والزموا السواد الأعظم فإنّ يد الله مع الجماعة وإيّاكم والفُرقة فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب»**[٣].

٨- وتشكّل سيرة الإمام عليّ عليه السلام أهمّ نموذج لأتباعه في الدعوة إلى التوحيد والتفاهم. صحيح أنّ الإمام عليه السلام منصوب من قبل الله تعالى وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا منازع وصاحب الولاية الإلهيّة المطلقة، ولم يدع أيّ وسيلة إلّا اتّبعها لإثبات حقّه المسلّم وليضع الإمامة في مدارها الصحيح؛ إلّا أنّه لم ينهض ولم يثر في وجه من اغتصب حقّه ولم يستلّ السيف لأجل ما أصاب السيدة الزهراء عليها السلام من ظلم وقهر مع أنّ هذا الوضع كان قاسياً مرّاً عليه وقد أشار إلى ذلك في خطبته الشقشقيّة. نعم سكت الإمام عليه السلام عن كل ذلك لأجل مصلحة وهي الحفاظ على إرث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاتحاد بين المسلمين والحؤول دون التفرقة بين المسلمين[٤].

(١) أمالي الشيخ الصدوق، ص٢٩٧.
(٢) الكافي، ج١، ص٤٠٣.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.
(٤) نهج البلاغة، الرسالة ٦٢.

عوامل الوحدة

ألف ـ الأخوّة الإيمانيّة والإسلاميّة

جعل الإسلام في عصر البعثة من الناس المتفرقين والمختلفين والمتقاتلين، جبهة واحدة مقابلة للشرك والكفر والنفاق وكان هذا الاتحاد والانسجام تحت لواء التوحيد وقيادة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عاملاً مهمّاً في انتصارهم على كافّة الأعداء وأشدّهم مخالفة للإسلام. وفي العديد من الحالات كانت الأخوّة الإيمانية دليلاً على الاتحاد وعلى أساس ذلك كانت الدعوة إلى الوحدة والتعاون ومساندة المؤمنين.

١- جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[١].

٢- عندما هاجر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة دوَّن منشوراً أساسيّاً عُرف بصحيفة المدينة، يقوم على أساس تعاليم القرآن الكريم، وحّد من خلاله القبائل المختلفة ـ وألّف أمة واحدة تتمحور حول الإيمان باللّه والآخرة والعمل الصالح بدل القوميّة والعنصريّة[٢].

٣- يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: **«الإسلام هو الذي جمع الجميع مع بعضهم البعض والإسلام هو الذي نصركم والإسلام هو الذي يهيِّئ السعادة لكافّة البشر»**[٣]؛ ويقول في مكان آخر: **«هذا من ألطاف الإسلام أن يجتمع كافّة الأخوة من السنّة والشيعة فلا يكون بينهم أيّ اختلاف... أتمنى أن تستمرّ هذه الروية»**[٤].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(٢) مسيرة ابن هشام، ج١، ص٥٠١.
(٣) في البحث عن الطريق من كلام الإمام، ج١٥، ص١٢٩.
(٤) المصدر نفسه، ص١٠٧.

وخاطب الإمام الخمينيّ قدس سره المسلمين العرب في لقاء مع إحدى الصحف العربيّة قائلاً: «**تعالوا واتركوا الخلافات جانباً قدّموا أيدي الأخوّة لبعضكم البعض مع كافّة الأخوة والمسلمين غير العرب، واجعلوا الإسلام هو معتمدكم الوحيد. ويمكنكم من خلال الذخيرة الإلهيّة والمعنويّة والتي هي الإسلام أن تؤلّفوا قوّة لا تفكّر القوى الكبرى بالتسلّط عليكم على الإطلاق**»[1].

ب ـ التقوى والفضيلة

عندما يتوجّه أفراد المجتمع نحو كلمة التوحيد ويلتزمون بالأوامر الإلهيّة، تشيع بينهم التقوى والفضائل العالية. وعندما تنتشر مكارم الأخلاق والخصال الحميدة في المجتمع ويتمّ إحياء السنن بالاعتماد على الإيمان والتقوى، يزول التفوّق القوميّ والعرقيّ والامتيازات الكاذبة.

يرفض الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الأفضليّة القوميّة ويدعو الناس إلى الإله الواحد والأفضلية الناشئة من التقوى: «**أيّها الناس إنّ ربّكم واحد وأباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربيّ على عجميّ فضل إلّا بالتقوى**»[2]. تحدّث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بهذه العبارات في حجّة الوداع.

ج ـ الحضور في التجمّعات العباديّة السياسيّة

كلّما كان أداء التكاليف الدينيّة يصدر عن إخلاص وفي الخلوة بعيداً عن أعين الناس، كانت قيمته أعلى وكان مؤثراً على مستوى الارتقاء المعنويّ للإنسان؛ ومع ذلك أمر الإسلام بأداء الصلاة جماعة وجعل ثوابها أكثر ممّا يتصوّر في غير ذلك؛ لأنّ حضور المسلمين مع بعضهم البعض يساهم في اطلاعهم على أوضاعهم وتقترب قلوبهم من بعضهم و....

(١) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٢) تحف العقول، ص٣٤.

صــلاة الجماعة هي اجتماع عباديّ يوميّ، وصلاة الجمعة هي اجتماع أسبوعي أعــمّ حيث يجب على إمــام الجمعة تــلاوة خطبتين بدل الركعتيــن يتحدث فيهما بالمواعظ، ويتناول مســائل العالم الإسلاميّ. ويبين خطط المستكبرين للنيل من العالم الإســلاميّ. وصــلاة العيدين هي اجتماع آخر يقام مرّة في الســنة. والأعمّ والأهمّ من ذلك برنامج الحجّ الواجب على كلّ مسلم عند القدرة البدنية والمالية. ويؤخــذ بعين الاعتبار فــي هذه العبادة العظيمــة الزمان الواحــد والمكان الواحد واللباس الواحد.

يتحدّث الإمام عليّ عليه السلام مشــيراً إلى فلسفة بعض العبادات الإسلامية كالحجّ ويقول: «**والحج تقوية للدين [أو: تقربة للدين]**»[1] والمقصود واحد.

يقول الشهيد مطهّري رحمه الله في هذا الخصوص: «**إذا كان مفهوم الكلام أنّ فلسفة الحج، هي تقوية الدين، فالمقصود عندها أنّ اجتماع الحج يجعل العلاقات بين المسلمين أكثر استحكاماً وإيمانهم أكثر قوّة وبهذه الوسيلة يقوى الإسلام. وإذا كان مفهوم الكلام أنّ فلسفة الحج، هي القرب إلى الدين، عندها يكون المقصود هو تقريب قلوب المسلمين والنتيجة تقوية الإسلام**»[2].

يقول الإمام عليّ عليه السلام حول بيت الله: «**جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً**»[3].

يعتقد الشــهيد مطهّري كما أنّ الأعلام تكون رمز الاتحاد ووحدة الأمم وعلامة التضــامن فيما بينهم ورفعها علامة على حياة تلك الأمم، كذلك الكعبة بالنســبة إلى الإسلام[4].

يوصــي الإمــام القائد دام ظله في هذا المجــال ويقول: «**الحــجّ يمكنــه إحياء روح**

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، الحكمة ٢٤٤.
(٢) تعليقات الشهيد مطهري، ج٢، ص٢١٥.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١.
(٤) تعليقات الأستاذ مطهري، ج٢، ص٢١٦.

التوحيد في القلوب، ويصل أوصال الأمّة الإسلاميّة الكبيرة، ويعيد للمسلمين عزّتهم وينجيهم ممّا يشعرون به من حقارة وذلّة فرضاً عليهم»[1].

د ـ المسجد

المساجد منذ فجر الإسلام، مركز للعبادة والعلاقة مع الله وتلاوة القرآن، وهي أماكن تواصل القوى المسلمة على مستوى الحركة الدينيّة والتبليغيّة ومواجهة المعاندين وإزالة آفات التوحيد.

يقول الإمام الخميني قدس سره: «**... بما أنّ الأمّة قد أدركت سرَّ الانتصار وأدركت بوعي أنّ التعبئة العامّة تبدأ من المتاريس الإلهيّة المساجد والمنابر والمحافل الدينيّة، لذلك يجب حفظ هذه المتاريس الإسلاميّة، يجب إقامة هذه الاجتماعات في المساجد والمحافل الدينية بعظمة أكبر**»[2].

هـ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أشرنا إلى أنّ الله تعالى أوصى المسلمين في الآية ١٠٣ من سورة آل عمران: التمسك بحبل الله وعدم التفرق وحذّرهم في الآية ١٠٥ من السورة عينها فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وتوضح الآية ١٠٤ من السورة نفسها والواقعة بين الآيتين المتقدّمتين: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3].

يبيّن القرآن الكريم أنّ الحفاظ على وحدة المجتمع يتمّ من خلال الدعوة إلى الصلاح والأمر بالمعروف والمنع عن القبائح. وإذا ساد المجتمع حالات الأمر بالمنكر، تغرب عنه الفضائل والمكارم.

---

(١) صحيفة كيهان، العدد ١٩٩٣٩.

(٢) صحيفة اطلاعات، العدد ٢٢٥٧٨، ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

مظاهر الهداية في سيرة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وكلامه (١)

محمّد عابدي

تمهيد

الإمام الحسن العسكريّ هو الإمام الحادي عشر الذي شعَّ في سماء الإمامة والذي تولّى الهداية العمليّة للناس. وقد عُرف الإمام عليه السلام بألقاب عديدة يدلّ كلّ واحد منها على شخصيته العظيمة فهو: العسكريّ، الرفيق، الزكيّ، الفاضل، الأمين، الميمون، النقيّ، الطاهر، المؤمن بالله، الصادق، الصامت، الأمين على سرِّ الله، العلاّم، وليّ الله، سراج أهل الجنّة، خزانة الوصيّين[١]، المضيء، الشافي، المرضي، الخالص، الخاصّ، التقيّ، الشفيع، السخيّ، الموفي والمستودع[٢]، وتطالعنا ألقاب أخرى أمثال: ناطق عن الله[٣]، مرشد إلى الله[٤]، الهادي والمهتدي[٥]، والتي تشير إلى الوظيفة الأساسيّة للإمامة، وهي استمرار الهداية البشريّة.

في هذا المقال سنتعرّض لمشاهد من الهداية التي امتاز بها الإمام عليه السلام. وأمّا الفارق الأساس بين الأئمّة والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في كيفيّة الهداية والنهوض بالرسالة القرآنية؛ فيعود إلى موضوع الحاكميّة.

---

(١) راجع: مع شمس سامراء، ص٢٩ إلى ٣٤، وتعود جذور هذه الألقاب إلى الروايات.

(٢) ليس لهذه الألقاب جذور روائية بل ذكرت في كتب التراجم والرجال والتاريخ، المصدر نفسه، ص٣٤.

(٣) بحار الأنوار، ج٣٦، ص٣١٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٤٨.

(٥) دلائل الإمامة، ص ٢٢٣ (هذان اللَّقبان ليس لهما جذور روائية).

واجه الأئمّة عليهم السلام مشاكل عديدة بسبب عدم وجود الحاكميّة، لذلك استعملوا أساليب متعدّدة للهداية بما يتناسب مع العصر والزمان. وقد امتاز عصر الإمام العسكريّ عليه السلام بالاضطراب والاختناق الداخليّ فعاش الإمام عليه السلام في أصعب الظروف، وتابع مسألة هداية الأمّة.

مظاهر الهداية في سيرة الإمام العسكريّ عليه السلام وكلامه

١ ـ الهداية بالسلوك والعمل

لعلّ أكثر أدوات التأثير فعاليّة في الهداية السلوك العمل الذي يصدر عن القائمين على الهداية. وهنا نتذكّر كلام الإمام الصادق عليه السلام: «**كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم**»[١]. وكلّما كان الإيمان والعمل قويَّيْن، كان التأثير في المخاطبين أكبر، وكلّما ازداد الفارق بين عمل الهادي وكلامه، كان تأثيره فيهم ضعيفاً؛ لذلك يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّ الوعظ الذي لا يمجّه سمعٌ ولا يعدله نفع ما سكت عنه لسان القول ونطق به لسان الفعل**»[٢]. وإلى هذا النوع يعود أكثر مظاهر الهداية في سيرة الإمام العسكريّ عليه السلام.

ينقل الشيخ المفيد عن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر ويقول: دخل العباسيّون على (صالح بن وصيف) عندما حبس أبو محمّد عليه السلام فقالوا له: ضيّق عليه ولا توسّع، فقال لهم صالح: ما أصنع به؟! قد وكلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم. ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّه، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة،

(١) الكافي، ج٢، ص٧٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، الحديث ٤٥٦.

فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا؟! فلما سمع ذلك العبّاسيون انصرفوا خاسئين[1].

لنسمع أجمل مظهر من مظاهر الهداية بوساطة السلوك العمليّ نقلاً عن الشيخ الكلينيّ رحمه الله يقول: حبس أبو محمّد عند عليّ بن نارمش وهو أنصب الناس وأشدّهم على آل أبي طالب وقيل له: افعل به وافعل فما أقام عنده إلّا يوماً حتّى وضع خديه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً فخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم فيه قولاً[2].

٢ ـ الاستفادة من الأسلوب غير المحسوس

استعان الإمام العسكريّ في الغالب بالأساليب الخفيّة وغير المحسوسة بسبب أجواء العصر المضطربة، فكان يدير أمور الأمّة بشكل مخفيّ. بعض الأحيان كان يلتفت الناس والخلفاء إلى هداية المسيحيين[3]... وكان يشتغل الإمام عليه السلام بعض الأوقات بترميم البنية المعنوية والاعتقادية للمهتدين الشيعة وفي وقت آخر يحاول دفع النواقض ومراقبة أعمالهم.

يقول محمّد بن الربيع الشائي ناظرت رجلاً من الثنويّة بالأهواز، ثمّ قدمت سرّ من رأى وقد علق بقلبي شيء من مقالته فإني لجالس على باب أحمد بن الخضيب إذ أقبل أبو محمّد عليه السلام من دار العامّة يوم الموكب فنظر إليَّ وأشار بسبابته أحد أحد فردّ فسقطت مغشياً علي[4].

(١) الإرشاد، ص٣٤٤؛ إثبات الهداة، ج٣، ص٤٠٦؛ بحار الأنوار، ج٥٠، ص٣٠٨.
(٢) الكافي، ج١، ص٥٠٨؛ إثبات الهداة، ج٣، ص٤٠٢.
(٣) سفينة البحار، ج١، ص٢٦٠، حلية الأبرار، ج٢، ص٤٩٨.
(٤) الكافي، ج١، ص٥١١، الحديث ٢٠؛ الخرائج، ج١، ص٤٤٥.

٣. الاستفادة من شأن الإمامة

كان الإمام عليه السلام يستعين بالكرامة لأجل الهداية فكان يسعى بأساليب متعدّدة لتصحيح العقائد وهداية الأمّة. ينقل العلّامة المجلسي عن إدريس بن زياد ويقول:

كنت أقول فيهم قولاً عظيماً فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمّد عليه السلام فقدمت، وعَليّ أثر السفر ووعثاؤه، فألقيت نفسي على دكّان حمّام فذهب بي النوم، فما انتبهت إلّا بمقرعة أبي محمّد عليه السلام قد قرعني بها حتى استيقظت فعرفته صلّى الله عليه فقمت قائماً أقبل قدمه وفخذه وهو راكب والغلمان من حوله. فكان أوّل ما تلقاني به أنه قال: يا إدريس **«بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»** فقلت: حسبي يا مولاي وإنما جئت أسألك عن هذا. قال: فتركني ومضى[١].

٤. الإجابة عن الشبهات

من جملة مظاهر الهداية عند الإمام عليه السلام ، الإجابة عن الأسئلة والشبهات التي تدور حول العقائد والمسائل الدينيّة. وبهذا النحو كان يحاول الإمام الحفاظ على الدين وتقديم الدين القويم لأمّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. سأل أبو هاشم الجعفريّ الإمام عن الإرث ولماذا كان للمرأة سهم واحد وللرجل سهمان؟ أجاب الإمام بأن المرأة ليس عليها جهاد وليست مكلّفة دفع تكاليف الحياة ولأنّ دفع الدية على الرجال وليس على النساء شيء[٢].

وأجاب الإمام عليه السلام عن بعض الشبهات التي تعرّضت للواجبات المالية (الخمس والزكاة...) في رسالة وجّهها إلى إسحاق بن إسماعيل النيشابوري:

(١) بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٨٣؛ مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٨.

(٢) أعلام الورى، ص٢٧٤.

«إنّ الله بمنه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم بل برحمة منه. لا إله إلا هو. عليكم ليميز الخبيث من الطيب وليبتلي ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم، لتسابقوا إلى رحمة الله ولتتفاضل منازلكم في جنّته، ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية وجعل لكم باباً تستفتحون به أبواب الفرائض ومفتاحاً إلى سبيله، لولا محمّد صلى الله عليه وآله والأوصياء من ولده لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضاً من الفرائض وهل تدخل مدينة إلّا من بابها، فلما منَّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيّكم، قال الله في كتابه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم، قال الله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ واعلموا أنّ من يبخل فإنّما يبخل على نفسه والله الغني وأنتم الفقراء[1].

٥ ـ الإفشاء للحفاظ على الدين

من جملة الفتن التي حصلت في زمان المعتمد والتي شكّلت خطراً على كيان المسلمين، مسألة الجاثليق المسيحيّ؛ ممّا جعل الإسلام يقف على مكان متزلزل، فلو لم يبادر الإمام إلى الإفشاء، لداهم الإسلام خطر كبير. صحيح أن الإمام عليه السلام كان مظلوماً وقد اغتصب العباسيّون الخلافة منه، ومع ذلك قام وأضاء مصباح الهداية.

رُوي عن عليّ بن الحسن بن سابور قال قحط الناس بسرّ من رأى في زمن الحسن الأخير فأمر المتوكّل بالخروج إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيّام يستسقون ويدعون فما سُقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ومعه النصارى

(١) تحف العقول، ص٤٨٥.

والرهبـان فكان فيهـم راهب فلما مد يده هطلت السـماء بالمطـر وخرجوا اليوم الثاني فهطلت السماء فشكّ أكثر الناس وتعجّبوا وصبوا إلى دين النصرانية فأنفذ المتوكل إلى الحسـن وكان محبوسـاً فأخرجه من حبسه وقال إلحق أمّة جدّك فقد هلكت فقال إني خارج من الغد ومزيل الشكّ إن شاء الله فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرهبان معه وخرج الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه فلمّا بصر بالراهب وقـد مد يده أمـر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين إصـبعيه ففعل وأخذ منه عظماً أسـود فأخذه الحسـن بيده وقال استسـق الآن، فاستسـقى وكانت السماء مغيمة فتقشّعت وطلعت الشمس بيضاء فقال المتوكل ما هذا العظم يا أبا محمد فقال عليه السلام هذا الرجل عبر بقبر نبيّ من أنبياء الله فوقع في يده هذا العظم وما كُشف عن عظم نبيّ إلّا هطلت السماء بالمطر»[1].

٦. التذكير بالسنن المتروكة

من جملة أساليب الهداية التي يمكن مشاهدتها في سيرة الإمام العسكريّ عليه السلام، توضيح السنن المتروكة. حاول الإمام عليه السلام بهذا الأسلوب إزاحة غبار الغربة عن الأحكام والفرائض الإلهية وإعادتها إلى المجتمع من جديد، وهي وظيفة ومسؤوليّة تقع على عاتق الهداة في كلّ عصـر وزمان. التقى الإمام العسـكريّ عليه السلام سبعين شخصـاً من زائـري كربلاء، جاءوا إلى منزله في سـامراء فحدّثهـم وأجاب عن أسئلة أرادوا أن يسألوها ولكنّهم لم يكونوا قد تلفّظوا بها بعد...

«ومنكم من سأل عن اختلاف بينكم وبين أعداء الله وأعدائنا من أهل القبلة والإسـلام، وأنـا أنبئكم بذلك، فافهموا، فقالت طائفـة أخرى: اي والله يا سيدنا لقـد أضمرنـا، فقـال إنّ الله عـزَّ وجـلَّ، أوحـى إلى جـدّي رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أني قد خصصتـك وعليّـاً وحججـي منـه ليـوم القيامة وشيعتكم بعشر خصـال: صلاة

(١) الفصول المهمة، ص ٢٦٨؛ الصواعق المحرقة، ص٢٠٧؛ مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٢٥؛ كشف الغمة، ج٣، ص ٢١٩.

الخميس، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والأذان والإقامة مثنى، وحيّ على خير العمل، والجهر في بسم الله الرحمن الرحيم، والآيتين، والقنوت، وصلاة العصر والشمس بيضاء نقيّة، وصلاة الفجر مغلسة واختضاب الرأس واللحية، والوشمة، فخالفنا من أخذ حقنا وحزبه في الصلاة فجعل أصل التراويح في ليالي شهر رمضان عوضاً من صلاة الخميس، كلّ يوم وليلة وكتّف أيديهم على صدروهم عوضاً من تعفير الجبين، والتختم باليسرى عوضاً من التختم باليمين، والفاتحة فرادى خلاف مثنى، والصلاة خير من النوم خلاف حيّ على خير العمل، والإخفاء عن القنوت، وصلاة العصر إذا اصفّرت الشمس خلافاً على بيضاء نقية، وصلاة الفجر عند تلاحف بزوغ الشمس خلافاً على صلاتها مغلسة، وهجر الخضاب والنهي خلاف على الأمر به واستعماله، فقال أكثرنا: فرحت عنا يا سيدنا قال: نعم، في أنفسكم ما تسألون عنه وأنا أنبئكم به»[1].

ثمّ ذكرهم الإمام ببعض السنن المتروكة الأخرى وبين البدع التي راجت مكانها. ومن جملتها التكبيرات الأربع في صلاة الميت بدل الخمس.

(١) الهداية الكبرى، ص٣٤٤.

موقع الفكر والعمل في كلام الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام (٢)

جواد خرمي

الإمـام الحسـن العسـكريّ عليه السلام هو الإمـام الحادي عشـر للشـيعة، ولد يوم الجمعـة الثامن من ربيـع الثاني عـام ٢٣٢ ه.ق[١]. في المدينة المنـورة[٢]، والده الإمام الهادي عليه السلام ووالدته سـيدة فاضلة تقيّة قيل إنّ اسمها: «حُديثة»، «سليل» و«سوسن». كانت من جملة النسوة الفاضلات ويكفيها في ذلك أنها أصبحت ملاذ الشيعة في مرحلة الاختناق والاضطراب بعد شهادة الإمام الحسن العسكري[٣].

استمرّت إمامته مدّة ست سنوات وعاصر ثلاثة من الخلفاء العباسيين كان كلّ واحد منهم أظلم من الآخر وهم: المعتز بالله، المهتدي بالله والمعتمد بالله.

بدأت إمامته عام ٢٥٤ وانتهت بشهادته في الثامن من ربيع الأوّل عام ٢٦٠ عن عمر ٢٨ سنة في سامراء وكان أحمد المعتمد، الخليفة العباسي الخامس عشر قد دسّ السمَّ له ودفن في سامراء إلى جانب مرقد والده[٤].

موقع الفكر والعمل في الثقافة الإسلاميّة

إنّ الفكر هو أسـاس والتقدّم البشريّ في المجالات الماديّة والمعنويّة. هذا من

(١) اعتبر المسعودي وعلي بن عيسى الأربلي، أن ولادة الإمام عليه السلام كانت عام ٢٣١ق.

(٢) أصول الكافي، ج١، ص٥٠٣؛ الارشاد، ص٣٢٥.

(٣) الأنوار البهية، ص١٥١.

(٤) الارشاد، ص٣٥٤؛ بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٣٦.

جهة وفي الجهة الثانية يقف العمل والسعي. وإذا تمكن البشر في القرن العشرين والواحد والعشرين من التقدّم والتطوّر على المستوى الصناعيّ والتكنولوجيّ، فإنّ ذلك كان بسبب الفكر والعمل الذي تجلى في حركتهم. كذلك فإنّ التقدّم المعنويّ للأفراد والمجتمعات متوقّف على الاستفادة من العقل والفكر والعمل وبذل الجهود. كان الأنبياء والأئمّة وعباد الله الصالحون من أصحاب الفكر والتعقّل. يقول الإمام الصادق عليه السلام حول منزلة أبي ذرّ: «**كان أكثر عبادة أبي ذرّ رحمه الله التفكّر والاعتبار**»[1].

وتحدّث القرآن الكريم عن القيمة العالية والحياتيّة للفكر والعمل وقدّم أجمل وأبلغ الكلام حول قيمة التعقّل والفكر والدقّة والتفقّه. تكرّرت في القرآن الكريم كلمة «**العلم**» ومشتقاتها التي تدلّ على العلم والمعرفة والفكر أكثر من ألف مرّة. وصرّحت ١٧ آية بدعوة الإنسان إلى التفكّر، وهناك أكثر من ١٠ آيات بدأت بعبارة «**انظروا**». واستعملت كلمة العقل ومشتقّاتها أكثر من خمسين مرّة وجاء الأمر في أربع آيات[2] بالتدبر في القرآن وكان لكلمة الفقه والتفقّه وأمثالهما حضور بارز[3].

وفيما يتعلّق بالعمل فقد ذكر لفظ «**العمل**» ومشتقاته أكثر من ٣٥٤ مرّة في القرآن الكريم. وجاءت عبارة ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أكثر من ٦٥ مرّة. ويشير هذا الأمر إلى ضرورة الإيمان الذي هو ثمرة الفكر والمعرفة إلى جانب العمل وبذل المجهود.

أشارت روايات المعصومين عليهم السلام أيضاً إلى آثار وفوائد الفكر والتعقّل بما لا يتّسع لذكره المجال في هذا المقال حيث نكتفي بذكر الروايات الواردة عن الإمام العسكري عليه السلام.

(١) بحار الأنوار، ج٢٢، ص٤٣١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤؛ سورة آل عمران، الآية: ١٩١؛ سورة النحل، الآية: ٦٩.

(٣) الاحصاءات الواردة بناءً على كتاب «المعجم المفهرس» لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

ألف ـ موقع الفكر

١ ـ الله تعالى يتحدّث إلى العلماء

تتوجّه الآيات الشريفة لمخاطبة العلماء بالالتفات إلى المقام الرفيع للمعرفة والفكر في القرآن؛ لأنّهم يمتلكون القدرة على الدخول إلى عمق كتاب الوجود التكوينيّ والكتاب السماويّ ومن ثَمّ هم الذين يمكنهم الاستفادة منهما لأجل سعادة الدنيا والآخرة. وهنا نشير إلى بعض الآيات الشريفة:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١].

ونقرأ في آية أخرى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[٢].

وجاء في آية ثالثة: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

يقول الإمام العسكريّ عليه السلام: «**إنّما خاطب الله العاقل**»[٤]. الواضح أنّ هذه العبارة على رغم قصرها إلّا أنّها بليغة وعميقة تبين أنّ كلام الله وخطابه موجه لأصحاب الفكر والعقل.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ ـ ١٩١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٤) تحف العقول، ص٥١٦، الحديث ٤.

٢ ـ العبادة مع التفكير

كثيرون الذين يعتقدون أنّ العبادة منحصرة في الصلاة الواجبة والمستحبّة والصيام الواجب والمستحبّ، من دون أن يفكّروا في أسرارهما. لذلك نرى الإمام العسكريّ يؤكّد عليه السلام على التفكير في العبادة ويقول: «**ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله**»(١).

٣ ـ علامة العلماء

إنّ أسلوب الكلام هو أحد الأمور التي تدلّ على العلماء. وتوضح كتاباتهم وكلماتهم مقدار عقلهم ومستواهم الفكريّ. يقول الإمام العسكريّ في هذا الخصوص: «**قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه**»(٢). العاقل هو الذي يفكّر بداية فيما يدور حول جوانب كلامه، ويدرس نفعه وضرره ثمّ بعد ذلك يتلفّظ بما يريد. وأمّا غير العاقل فيتحدث بداية ثمّ يفكر في عواقب ما تلفّظ به. فالعاقل قليل الخطأ والجاهل أو المنحرف قليلاً ما يصل إلى الصواب.

والسبب في ذلك أنّ الإنسان يضاء عقله وروحه الإنسانيّان على أثر الفكر فيتمكّن بتلك النورانيّة الخاصّة من التمييز بين الحقّ والباطل والصحيح والخطأ. أمّا الجاهل فيقبع في ظلمات الجهل. يقول الإمام العسكريّ عليه السلام: «**عليكم بالفكر فإنه حياة قلب البصير ومفاتيح أبواب الحكمة**»(٣).

يقول الإمام عليّ عليه السلام في هذا الخصوص: «**من فكَّر أبصر العواقب**»(٤).

---

(١) تحف العقول، ص٥١٨، الحديث ١٣؛ وسائل الشيعة، ج١١، ص١٥٣؛ أصول الكافي، ج٢، ص٥٥؛ بحار الأنوار، ج٧١، ص٣٢٢.

(٢) تحف العقول، ص٥١٩، الحديث ٢١.

(٣) بحار الأنوار، ج٨، ص١١٥، والحكم الزاهرة، ج١، ص١٩.

(٤) المصدر نفسه، غرر الحكم، ص٦٦٥.

٤ ـ عاقبة عدم التفكير

إنّ عالم الآخرة هو التجسيد الواسع لعالم الدنيا فتتجسّم كافّة حقائق هذا العالم بما يناسبها هناك. والذين لم يستعملوا عقولهم ولم يشاهدوا بعين البصيرة، يحشرون يوم القيامة عمياناً. يقول الإمام العسكريّ عليه السلام: «**... فأتمَّ الله عليك يا إسحاق وعلى من كان مثلك ممّن قد رحمه الله وبصَّره بصيرتك نعمته... فاعلَمْ يقيناً يا إسحاق أنه من خرج من هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً، يا إسحاق ليس تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وذلك قول الله في محكم كتابه حكاية عن الظالم إذ يقول[١]: «ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى»**[٢].

ب ـ موقع العمل إلى جانب الفكر

تظهر القيمة الحقيقية والعينية للفكر والتأمّل والتدبر إذا كان ذلك يؤدّي إلى العمل والسعي وبذل المجهود وإلّا فالفكر الخالي من العمل، فاقد للقيمة الواقعية. الفكر المطلوب والمؤثر هو الذي ينتهي بالعمل الصالح. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**التفكر يدعو إلى البِرّ والعمل به**»[٣].

ونقرأ في الأحاديث الإسلامية تعريف العقل: «**العقل ما عُبد به الرحمان واكتُسب به الجنان**»[٤].

ويؤكّد الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام على أهمية العمل إلى جانب الفكر: «**لا**

(١) تحف العقول، ص٥١٣ و٥١٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٦.
(٣) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٥٣؛ مجموعة ورام، ج٢، ص٣٢٧.
(٤) المصدر نفسه، ص١٦١، وأصول الكافي، ج١، ص١١.

يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض»[١]. ويبين الإمام عليه السلام جزئيات العمل والسلوك الحسن حيث يمكن أن يحصل الأمر عبر طرق عدّة:

١ ـ توضيح الصفات السلوكية للشيعة

يعرض الإمام عليه السلام في هذا القسم بعض الأوصاف العملية والسلوكية التي تبيِّن علاقة الإنسان بخالقه ومجتمعه وعائلته ونفسه حيث يظهر من خلالها أهمية العمل إلى جانب الفكر. يقول مخاطباً شيعته:

«أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بَرّ أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، صلُّوا في عشايرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدَّى الأمانة وحسُنَ خلقه مع الناس؛ قيل: هذا شيعيّ فيسرّني ذلك»[٢].

ويقول الإمام عليه السلام: «المؤمن بركةٌ على المؤمن وحجّة على الكافر»[٣].

٢ ـ تبيين من هو الأفضل ومن هو الأسوأ

يقول الإمام العسكريّ عليه السلام: «أورع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من أقام الفرائض، أزهد الناس من ترك الحرام، أشدّ الناس اجتهاداً من ترك الذنوب»[٤].

ويقول أيضاً: «بئس العباد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أُعطي حسده وإن ابتُلي خانه»[٥].

---

(١) تحف العقول، ص٥١٩، الحديث ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٥١٨، الحديث ١٢؛ وسائل الشيعة، ج٨، ص٣٨٩، الحديث ٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٥١٩، الحديث ٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٥١٩، الحديث ١٨، الأنوار البهية، ص٣١٨.

(٥) تحف العقول، ص٥١٨، الحديث ١٤.

٣ـ الثناء على بعض السلوكيّات

يقـول الإمام عليه السلام مثنياً على بعض الأعمال: «**خصلتان ليس فوقهما شيء! الإيمان بالله ونفع الإخوان**»(١).

ويقـول عليه السلام حول التواضـع: «**التواضع نعمة لا يحسد عليها**»(٢). ويقول في مـكان آخـر: «**مـن التواضع السلام على كلّ مـن تمرّ بـه والجلوس دون شرف المجلس**»(٣).

٤ـ ذمّ بعض الأعمال

عنـد تقييم الأعمـال يجب التمييز بين السـلوك اللائق من غيـر اللائق. ومن هـذا المنطلق نجـد الإمام العسـكريّ عليه السلام يتحدّث حول بعض الأعمال اللّائقة ويظهـر تنفُّـره وذمّه للأعمال غير اللّائقـة. يقول: «**ليس مـن الأدب إظهار الفرح عنـد المحزون**»(٤). ويقول أيضـاً: «**ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تُذلّه**»(٥). ومن أبرز السـلوكيّات التي توصل الإنسـان إلى القبائح، الغضب: «**الغضب مفتاح كلّ شرّ**».

(١) المصدر نفسه، ص٥٢٠، الحديث ٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٢٠، الحديث ٣١.
(٣) المصدر نفسه، ص٥١٧، الحديث ٩.
(٤) المصدر نفسه، ص٥٢٠، الحديث ٢٨، ومنتهى الآمال، ج٢، ص٢٧٣، الحديث ٦.
(٥) المصدر نفسه، ص٥٢٠، الحديث ٣٥.

منشور الجيل الشابّ في سيرة الإمام الصادق عليه السلام

عبد الكريم باك نيا

الشباب والناشئة في كلّ مجتمع هم القوّة الحيوية التي إذا تمكّن المربّون من العمل عليها وأرشدوها إلى السلوك الحكيم، واهتموا بشخصيّاتها واحترموا حاجاتها، كان بإمكانهم عندئذٍ صونها من خطر الانحرافات والترديد في الهويّة وحفظها من الأخطار الاجتماعيّة، ولكان بإمكانهم سوق تلك القلوب الطاهرة نحو الجمال والأمور الحسنة والأخلاقيّة المطلوبة، وبالتالي المساهمة في صناعة مستقبل سالم للمجتمع الإسلاميّ. يقول الإمام الصادق عليه السلام في مجال العمل المعنويّ على الشباب وابقائهم بعيدين عن المجموعات المنحرفة: «**بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجعة**»[1].

العلاقة بالجيل الشابّ

ممّا لا شكّ فيه أنّ تربية الجيل الشابّ في العصر الحاضر من الأهميّة بمكان إذ كان مورد التفات العلماء في مختلف المجتمعات. الشابّ يمتلك خصائص عاطفية واجتماعيّة وجسمانيّة وتنوّع في الخصال السلوكيّة التي تبدأ من الهيجان الداخليّ، والعلاقة الشديدة بالصديق، وعدم ضبط النفس وحبّ الذات والتقليد والافتخار بالشخصية والميل نحو الحريّة، وغيرها من الخصال التي يمتاز بها.

(١) التهذيب، ج٨، ص١١١.

بناء على هذه الخصائص، فإنّ الأسلوب السلوكيّ للإمام الصادق عليه السلام مع الشباب وكلامه وأوامره كلّ ذلك يعتبر من أفضل الأمور التي قُدّمت في ضبط الشباب. وقد امتاز الإمام عليه السلام بخصائص خاصّة في التعامل مع الشباب حيث النظرة العطوفة واحترام شخصيّاتهم والالتفات إلى قابليّاتهم والاهتمام بحاجاتهم الفرديّة والاجتماعيّة وتعامله الحكيم المليء بالعاطفة والإخلاص، كلّ ذلك أدّى إلى اجتذاب الشباب نحوه.

التفت الإمام الصادق عليه السلام سريعاً إلى السجايا الأخلاقية المزروعة عند الشباب حيث خاطب عليه السلام أبا جعفر الأحول أتيت البصرة؟ قال: نعم. قال عليه السلام: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟ قال: والله إنهم لقليل ولقد فعلوا وإنّ ذلك لقليل فقال عليه السلام: **«عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كلّ خير»**[1].

فيما يلي نشير إلى نماذج من سلوك الإمام الصادق عليه السلام مع الشباب:

١- كان ذاك اليوم أحد أيام الحجّ المزدحمة وكان الإمام الصادق عليه السلام يتحدّث إلى بعض أصحابه. وصل هشام بن الحكم وكان ما يزال شابّاً، فاجلسه الإمام صلى الله عليه وآله وسلم في صدر المجلس إلى جانبه. تعجّب الحاضرون من تصرّف الإمام عليه السلام وهم من الشخصيّات العلميّة. لاحظ الإمام آثار التعجّب بادية عليهم فقال: **«هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده»**. ثمّ أراد أن يبيّن المقام العلميّ لهشام فسأله عن أسماء الله تعالى وفروعاتها. أجاب هشام إجابات وافية. قال له الإمام: **«أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله عزَّ وجلَّ غيره؟»** قال: نعم، فقال: **«نفعك الله به وثبّتك يا هشام»**. قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا[2].

(١) الكافي، ج٨، ص٩٣.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٩٥.

٢- كان المفضّـل بن عمرو ممثلاً للإمام الصـادق عليه السلام في الكوفة ومكلّفاً من قبله متابعة المشـاكل الدينيّة والماليّة والاجتماعيّة لأهالي الكوفة، وقد تمكّن مـن إقامة علاقات صـداقة مع شـباب المدينة، لذلك لـم يتمكّن البعض من تحمّل هذه الصـداقة فوجهوا ضـدَّه الافتراءات والشـائعات واتهموه بشـرب الخمـر وترك الصـلاة وملاعبـة الحمام لا بل اتهموه أيضـاً بالسـرقة وقطع الطرق. تولّى الحملة المعارضـة للمفضّل شخص يدعى أبا الخطّاب المعزول الـذي اجتمع حوله بعض الأشـخاص الذين وجّهوا تهماً باطلة إلى المفضّـل. حـاول بعض الوجهاء حـلّ المشـكلة فذهبوا إلـى الإمام عليه السلام وأخبـروه أنّ المفضّل يجالس الأرذال وشاربي الخمر... وطلبوا منه أن يأمره بإبعاد هؤلاء الأشخاص عنه.

كتب الإمام عليه السلام رسالة إلى المفضّل أرسلها معهم. عادوا إلى الكوفة واجتمعوا في بيت المفضّـل وسـلّموه رسالة الإمام عليه السلام. فتح مفضّـل الرسالة وقرأها على مسـمع الجميع حيث طلب منه شراء بعض الحاجيات وإرسالها إلى الإمام عليه السلام. ولم يذكر في الرسالة ما يشير إلى الشائعات. قرأها مفضل ثمّ أعطاها لكلّ واحد من الحاضرين ليقرأها بنفسه، ثمّ سألهم: الآن ماذا يجب أن نفعل؟ قالوا: إنّ قيمة الأمور التي طلبها الإمام عليه السلام غالية جدّاً، لذلك يجب التشاور مع الآخرين وطلب المساعدة من الشيعة. كانوا يريدون الخروج من منزل مفضل. طلب منهم مفضل البقاء على الغداء. جلسـوا ينتظرون الغداء. أرسـل مفضّل من يحضر له الشباب الذيـن وُجِّهت إليهم التهم والشـائعات. عندما اجتمعوا، قرأ عليهم رسـالة الإمام عليه السلام عندما سـمعوا ما طلب، خرجوا من المنزل بسـرعة ثمّ عادوا. عمل هؤلاء الشـباب كلٌّ حسب طاقته على إحضـار ما يمكنه فجمعوا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم وقدّموها للمفضّـل. ثمّ نظر المفضّـل إلى الشاكين وكانوا لم ينهوا غداءهم

وقال لهم: «أنتم الذين طلبتم إبعاد هؤلاء الفتية وظننتم أنّ الله بحاجة إلى صلاتكم وصيامكم»[1].

فيما يلي نشير إلى جزء من الأساليب والطرق العمليّة التي يمكن استخراجها من كلام وسلوك الإمام الصادق عليه السلام والتي توضح كيفيّة التعاطي مع الشباب وهدايتهم.

١ ـ السلوك الحسن والمناسب

الشباب أصحاب قلوب طاهرة وأرواح حسّاسة وأفئدة رقيقة عاطفيّة. لذلك يجب اختيار طريق اللطافة والملائمة في التعاطي معهم. ولعلّ أفضل أساليب التعاطي معهم هو القائم على النظر إليهم نظرة محبّة وحنان واحترام شخصيّاتهم وسلوكهم. وكذلك فإنّ إظهار المحبّة والتمايل إليهم ومناداتهم بالألقاب والعناوين والأسماء التي يحبّونها تساعد في جذبهم نحو المبلّغ والمربّي حيث يمكن في هذا الحال إيجاد ارتباط قلبيّ معهم، يمكن من خلاله الاستماع إليهم وإرشادهم والتذكير بأخطائهم. وبشكل عامّ عند قيام الرابطة العاطفيّة يمكن إيصال الصفات الجميلة إليهم، ويمكن رفع الكثير من احتياجاتهم والحفاظ عليهم بعيداً عن المعاصي والذنوب، والسبب في ذلك أنّ ميل الشابّ نحو الجمال والأمور الحسنة أفضل ممّا هو موجود عند الآخرين وأسرع.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من لم تكن فيه ثلاث خصال لم ينفعه الإيمان: حلم يَرُدُّ به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن طلب المحارم، وخلق يداري به الناس»[2].

(١) معجم رجال الحديث، ج١٩، ص٣٢٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٣٧.

٢ ـ تعليم المسائل الدينيّة

مـن جملـة الأمـور التي تـؤدّي إلى ابتعاد الشـباب عـن الدين، عـدم المعرفة بالمسـائل الدينيّة. والإنسـان يهرب من كلّ مـا لا يعرفه. وأمّـا المعرفة والاطّلاع على الأمور الحسـنة والجميلة وبالأخص الاطّلاع على المنافع والمصالح، فتجذب الأشـخاص الباحثين عنها. ومن هنا فإذا تعرّف الشباب على آثار وبركات وأحكام معارف الدين، عند ذلك تتضـاءل المسـافة التي تفصلهم عن الدين. يضاف إلى ذلك أنّ الأجيال المعاصـرة التي لا تمتلك معرفـة وافية بالدين، تتعرّض لحملات إعلامية وثقافيّة من الأعداء.

يخاطب الإمام الصـادق عليه السلام البشـير بن الدهّان قائـلاً: «**لا خير في من لا يتفقّـه مـن أصحابنا يا بشيـر إنّ الرجل منهم إذا لم يستنـن بفقهه احتاج إليهم فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم**»[١]. ومن هنا يولي الإمام السـادس أهمية كبيرة لتعليم أحكام الدين حيث يقول: «**لو أُتيتُ بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته**»[٢].

٣ ـ معرفة الآفات الاجتماعيّة

إنّ عـدم معرفـة الجيل الجديـد بالآفات الاجتماعيّـة يؤدّي إلـى تراجع القيم الأخلاقيّـة ونجاح ثقافة الأعداء ورواج الحرام. فإذا اطّلع الشـباب المسـلم على هـذه الآفات وعرفـوا عواقبها الوخيمة، عند ذلك يمكنهـم الابتعاد عنها بناءً على الفطرة الطاهرة التي زرعها الله تعالى في أعماقهم. يُعدِّد الإمام الصـادق عليه السلام مجموعة من الآفات الاجتماعيّة وهي:

أ. الظلم.

(١) منية المريد، ص٣٧٥؛ أصول الكافي، ج١، ص٢٥

(٢) بحار الأنوار، ج١، ص٢١٤.

ب. الغشّ.

ج. الخيانة.

د. الخذلان والكذب.

هـ. قول أفّ.

و. العداوة.

ز. التهمة.

ح. الغضب.

ط. الطمع والحرص.

«وأن لا يظلمه وأن لا يغشّه وأن لا يخونه وأن لا يخذله وأن لا يكذّبه وأن لا يقول له أُفٍّ وإذا قال له أُفٍّ فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوّي فقد كفر أحدهما وإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[1] وجاء في حديث آخر: **«شيعتنا لا يهرّون هرير الكلب ولا يطمعون طمع الغراب»**[2].

٤ ـ التشجيع على التعلم

ينبغي للشباب المسلم الاطّلاع الكافي على العلوم العصريّة. ومن جملة الأصول المسلّم بها في ثقافتنا، التخصّص إلى جانب الالتزام. والأشخاص الذين يصلون إلى أهدافهم في مجالات الحياة والذين وصلوا إلى قمة السعادة من خلال العلوم والمهارات الحديثة، هؤلاء يمكنهم جذب أفراد المجتمع والتأثير فيهم إذا كانوا أصحاب إيمان والتزام. يبيّن الإمام الصادق عليه السلام أنّ اكتساب العلوم والمهارات الفنيّة من الأمور الضروريّة واللّازمة للشباب، ويقول: **«لست أحبّ أن أرى الشابّ منكم إلّا غادياً في حالتين، إمّا عالماً أو متعلّماً»**[3].

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٠٨.

(٢) المستدرك، ج١٢، ص٦٩.

(٣) أمالي الطوسي، ص٣٠٣.

٥ ـ الاعتياد على المحاسبة

ينجح الشـابّ في عمله إذا راجع حساباته كل يوم وعرف نفعه وضرره وإلّا فإنه سـيفقد كافّة رأسماله بعد مدّة قصيرة. والشـباب هو رأسمال، وفرصة مهمّة لكلّ شـخص. فإذا لم يلتفت الشـابّ ولم يحاسـب نفسـه ولم يعرف ماذا حصل عليه في حياته، فإنّ المدّة لن تطول به إذ سـيفقد رأسـماله المعنويّ. ولكن إذا حاسب نفسـه وعـرف مقدار تقدّمـه نحو الكمال فـي كلّ يـوم، فإنه سـيعمل جاهداً على توفير الأرضـيّة للتقدّم أكثر نحو الكمال وسيواجه المحطّات المؤلمة التي تواجهه. يخاطب الإمام الصـادق عليه السلام ابن جندب وهو شابّ نشيط حيويّ ومؤمن: «**يا بن جنـدب! حـقّ على كلّ مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كلّ يوم وليلة على نفسه فيكـون محاسـب نفسه فإن رأى حسنة استزاد منهـا وإن رأى سيّئة استغفر منها ولئلا يُخزى يوم القيامة**»[١].

٦ ـ توجيه الاحساس بالصداقة

يُسَرّ الإنسان ويسـتأنس بأصدقائه. والشخص يحصل على النشاط والقوّة من صـديقه النشـيط، والصـداقة إحسـاس طبيعيّ وحاجة يجب العمل على تنميتها. وبناءً على ذلك يتّجه الإنسـان نحو أصدقائه، فيعشق الرفاق. ويبحث عنهم. ولكن قد يقع الشـخص في شراك الأصدقاء الفاسـدين، لذلك قد تنشأ بعض المشاكل على أثر الصـداقة. يبيّن الإمام الصادق عليه السلام المسألة ويقول: «**الإخوان ثلاثة: فواحـد كالغـذاء الذي يحتاج إليه كلّ وقت فهو العاقـل. والثاني في معنى الداء وهو الأحمق. والثالث في معنى الدواء وهو اللبيب**»[٢].

(١) تحف العقول، ص٣٠١.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٣٧.

٧ ـ ضرورة الزواج

الشـابّ يحتاج بالفطرة إلـى الزواج، لا بل ينبغي تأمين هـذه الحاجة الفطرية عبـر الطريق المشـروع. هناك بعض الشـباب الذين أداروا ظهورهم لهذه السـنَّة الإلهيّة بحجّة وجود صـعوبات ومشكلات فوقعوا في شـباك الشيطان. لذلك يجب لَفْـتُ أنظارهم إلى وجود هذا العقد المقدّس عنـد كافّة الأمم. ومن خلال الزواج تكتمل شخصيّة الطرفين ويكتمل إيمانهما. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**من تزوّج أحرز نصف دينه فليتّقِ الله في النصف الآخر**»[١]. ويقول في حديث آخر مخاطباً الشباب: «**ركعتان يصلّيهما المتزوّج أفضل من سبعين ركعة يصلّيها أعزب**»[٢].

٨ ـ التشجيع على الصلاة

الصـلاة في نصوصـنا الدينيّة، سبب كمال الإنسـان وهي الأمر الذي يحفظه من الرذائل والصفات المذمومة. وللصلاة دور كبير في إيقاظ روح النظم وحفظ النظام عند الإنسـان. والصـلاة هي الأمر الذي يضـفي الهـدوء والاطمئنان على القلوب المضـطربة. والصلاة علامة السـالكين إلى الله وأفضل وسيلة للارتباط بربّ العالمين. وتشـير الإحصـاءات إلى أنّ نسبة كبيرة جدّاً من أصحاب الأعمال القبيحة في العالم الإسـلاميّ قد عاشوا في عائلات لا يصـلّون أو أنّهم يستخفّون بالصـلاة. وقد وضّح الإمام الصادق عليه السلام دور الصلاة في حياة الإنسان وسلوكه اليومـيّ: «**أوّل مـا يحاسب به العبد على الصلاة فـإذا قُبِلَتْ قُبل منه سائر عمله، وإذا رُدَّت عليـه رُدَّ عليـه سائـر عملـه**»[٣]. وحَـدَّث الإمام عليه السلام ابـن جندب حول الأضـرار التي تلحق الإنسـان نتيجة ترك الصـلاة: «**ويل للساهين عن الصلوات،**

(١) المصدر نفسه، ج١٠٠، ص٢١٩.
(٢) روضة الواعظين، ج٢، ص٣٧٤.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٠٨.

النائمين في الخلوات، المستهزئين بالله وآياته في الفترات، أولئك الذين لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم»[1].

٩ ـ دعم الأفكار الايجابيّة

يمكن زرع الصفات والخصال الإيجابية الجميلة عند الشباب من خلال تقوية الأفكار الإيجابية. وعند تكرار ذاك السلوك الإيجابيّ والجميل، تصبح هذه الأمور كالعادة عند الإنسان. هنا يمكن الإشارة إلى بعض الأفكار الإيجابيّة في كلام الإمام الصادق عليه السلام ومن أبرزها:

زيارة الأصدقاء وتنمية الإحساس بمساعدة الآخرين: يقول الإمام عليه السلام: **«ما يعبد الله بمثل نقل الأقدام إلى برّ الإخوان وزيارتهم»**.

الأنس بالله تعالى: كم هو جميل أن يأنس الشابّ الطاهر بالله تعالى! وكم جميل أن يجد هذا الشابّ أنّ الله تعالى هو الملجأ الوحيد إليه! يقول الإمام: **«آنسوا بالله واستوحشوا ممّا به استأنس المترفون»**[2].

الثبات في طريق الهدف: الثبات في طريق الإيمان والعقيدة، من جملة أسباب التوفيق والنصر. ويتمكّن الشابّ من الوصول إلى أهدافه من خلال الثبات والاستقامة. ولعلّ من أهمّ الآمال التي يحملها الشباب هو الوصول إلى السعادة الحقيقيّة والقرب من الله تعالى. يقول الإمام: **«لو أنّ شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة ولظلّلهم الغمام ولأشرقوا نهاراً ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولما سألوا الله شيئاً إلّا أعطاهم»**[3].

مساعدة المحتاجين: «عن معلّى بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام في

(١) تحف العقول، ص٣٠٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٠١.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٠٢.

ليلة قد رشت وهو يريد ظلّة بني ساعدة. فأتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء فقال: بسم الله اللهمّ أردد علينا فأتيته فسلّمت عليه فقال: معلى؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: التمس بيدك، فما وجدت من شيء فادفعه إليّ. فإذا أنا بخبز كثير منتشر فجعلت أدفع إليه الرغيف والرغيفين، وإذا معه جراب أعجز عن حمله فقلت: جعلت فداك أحمله عليّ، فقال: أنا أولى به منك ولكن امض معي، فأتينا ظلّة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام فجعل يدس الرغيف والرغيفين حتّى أتى على آخرهم حتّى إذا انصرفنا، قلت له: يعرف هؤلاء هذا الأمر؟ قال: **لا لو عرفوا كان الواجب علينا أن نواسيهم بالدقّة وهو الملح، إنّ الله لم يخلق شيئاً إلّا وله خازن يخزنه إلّا الصدقة، فإنّ الربّ تبارك وتعالى يليها بنفسه**»[1].

الاهتمام بالطعام: كما أنّ الشابّ المسلم يفكر بسلامة روحه، يسعى أيضاً في سبيل جسده، فهو ليس شخصاً ضعيف البنية كسولاً ومنزوياً، بل هو شخص يفكّر بسلامة غذائه كما يفكّر بسلامة روحه. الشابّ المسلم يقوّي بدنه من خلال التغذية الصحيحة وممارسة الرياضة ويحصل على نشاطه عبر طرق متعدّدة، وهو شخص يهتمّ بمسائل الحلال والحرام في الطعام. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**شيعتنا لا يأكلون الجِريَّ... ولا يشربون مسكراً**»[2].

السلوك الحسن مع أصحاب المعاصي: يجب اختيار أسلوبٍ في التعامل مع أصحاب المعاصي والذين يقومون بأعمال قبيحة، بحيث يكون هذا الأسلوب مفيداً لا يؤدّي إلى زرع بذور اليأس والقنوط عند المرتكبين ممّا يؤدّي في النهاية إلى جعلهم من جملة الصالحين. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلّا خيراً، واستكينوا إلى الله في توفيقهم**»[3].

---

(١) تفسير العياشي، ج٢، ص١٠٧، بالاستعانة بعبارات الشهيد مطهري.

(٢) تحف العقول، ص٣٠٢.

(٣) المصدر نفسه.

يفكر في العمل الحلال: في أحد أيّام الصيف الحارّة، وبينما كان عبد الأعلى بن أعين يجول في أزقة المدينة وجد الإمام الصادق عليه السلام. فقال له: «جعلت فداك، مالك عند الله عزَّ وجلَّ وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم؟

فقال عليه السلام: **«يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك»**[1].

التخطيط الصحيح للحياة: يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«فإنّ الله يعلم أنّي واجدٌ أن أطعمهم الحنطة على وجهها ولكنّي أحبّ أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة»**[2].

(١) الكافي، ج٥، ص٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٦؛ أعيان الشيعة، ج١، ص٥٩.

الباب الخامس

أسرة وتربية

التربية في سيرة وكلام الإمام المجتبى عليه السلام

عبد الكريم التبريزي

مقدمة

إنّ بناء مجتمع نموذجيّ وتربية أشخاص بشكل سليم وصحيح، يحتاج إلى أصول وأساليب يتمكّن الإنسان ومن خلالها الوصول إلى السعادة بعيداً عن الانحرافات.

إنّ تقديم أكمل الأساليب التربويّة يقرّب الإنسان من السعادة الحقيقيّة والحياة الخالدة، ومن رضى الله تعالى. ويمكن الحصول على هذه الأساليب من خلال حياة وسلوك وأقوال الأشخاص القدوة الحقيقيين في الدين الإسلاميّ أي الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

سنحاول في هذا المقال دراسة السيرة التربويّة للإمام الحسن المجتبى عليه السلام على أمل أن نتمكّن من الحصول على التربية الحقيقيّة من خلال الالتزام بسيرة الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

ضرورة التربية

الإنسان موجود متعال يمتلك استعداد الوصول إلى الكمال، وهو بحاجة في مسيره التكامليّ إلى أسلوبٍ تربوي قويّ وكامل. والإنسان الفاقد للتربية، فاقد لجميع الأمور، لذلك ينبغي السعي نحو تربية الروح.

يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حول ضرورة التربية الروحيّة والمعنويّة للإنسان: «**عجبت لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في معقوله، فيجنّب بطنه ما يؤذيه ويودع صدره ما يرديه**»(١).

القسم الأوّل: أسباب التربية

ألف - البيت والعائلة

تعتبر العائلة من أهمّ أسباب التربية والهدف منها إيجاد وتربية الأجيال وهدايتها نحو الأهداف التربويّة الصحيحة. والعائلة هي المكان المقدّس الذي وضعت أسسه في الارتباط الزوجيّ بين إنسانين والتي تتّخذ شكلاً جديداً مع وجود الأبناء. أمّا نتيجة هذا الارتباط فهو الأبناء الذين قد يكونون في المستقبل صالحين أو طالحين في المجتمع. ويعتقد علماء النفس الاجتماعيّون أن العائلة واحدة من الأشكال التي حفظت آثار الحضارة. وقد وصل إلينا عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام آثار مهمّة في مجال تأثير ودور العائلة في عملية التربية الصحيحة.

دور الوالد الصالح

الوالد الذي هو الركن المهمّ في العائلة، يجب أن يمتلك مجموعة من الصفات والشروط. يقول الإمام الحسن عليه السلام يخاطب شخصاً سأل عن رأي الإمام عليه السلام فقال: «**زوجّها من رجل تقي، فإنه إن أحبّها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها**»(٢).

ممّا لا شكّ فيه أنّ الأب الذي هو مدير العائلة، إذا كان شخصاً صالحاً مؤمناً فسيعيش أفراد العائلة في ظلّ محبته وعطفه وحنانه، وسيحوّل العائلة إلى محيط آمن ويهيّئ الأجواء لتربية أبناء مؤمنين.

---

(١) الدعوات، قطب الدين الراوندي، قم، مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٧هـ.ق، ص١٤٤ و١٤٥.

(٢) مكارم الأخلاق، ص٢٣٣.

تأثير الأمّ الصالحة

للأمّ دور مهمّ في نموّ ورشد قابليات الأبناء في البيت، لا بل إنّ سعادة وشقاء الإنسان يعود إلى أعمال أمّه. وقد أشار الإمام المجتبى عليه السلام إلى دور الأمّ الخاصّ في بناء شخصيّة الأفراد. عندما ناظر الإمام عليه السلام معاوية، أشار إلى دور الأمّ في علل شقاء معاوية وسعادته وقال: «**... وأمّك هند وأمي فاطمة، وجدّتي خديجة وجدتك نثيلة، فلعن الله آلأمنا حسباً وأقدمنا كفراً وأخملنا ذكراً...**»[1].

والأمّ باعتبارها موجوداً عاطفيّاً تقوم بدور كبير في إيجاد الهدوء والاطمئنان عند أبنائها. لا بل تقوم الأمّ بدور مؤثّر وأساسيّ منذ انعقاد النطفة إلى مرحلة الطفولة، وبالأخصّ في مرحلة الحمل التي تصنع فيها الشخصية الأخلاقيّة والروحيّة للطفل، حيث تكون الأم مصدر الغذاء المباشر له. بناءً على ما تقدّم فإنّ إيمان وأخلاق الوالدين اللَّذَيْن هما ركنان مهمَّان في العائلة، شرط أساسي في الوصول إلى الأهداف التربويّة المتعالية.

ب. الأصدقاء

يأتي الأصدقاء في المرحلة الثانية بعد العائلة حيث يؤثّر هؤلاء في تربية الطفل وتكوين أخلاقه. والطفل يميل بشكل كبير إلى الطفل الآخر الذي يساويه في العمر، مع العلم أنّ معاشرة الأصدقاء أصحاب الأخلاق من جملة الحاجات الطبيعيّة ومن أجمل وأفضل اللحظات التي يقضيها الطفل والناشئة عندما يكونان إلى جانب أصدقائهما.

وضّح المعصومون عليهم السلام الآثار السلبيّة والايجابيّة للصداقة والرفاقة وأوصوا أتباعهم مصاحبة الأشخاص أصحاب اللياقات.

(١) الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص٢٧٩.

يوصي الإمام المجتبى عليه السلام ابنه قائلاً: «يا بني لا تُؤاخِ أحداً حتّى تعرف موارده ومصادره فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة فآخِه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة»[1].

ج ـ المنظمّات والمراكز الاجتماعيّة

يتأثّر الإنسان من خلال تردده إلى المجالس والمحافل بسلوك وحركات المشاركين فيها. يشير الإمام الحسن عليه السلام إلى أصل تأثير المجالس الاجتماعيّة ويوصي المشاركة في المحافل السالمة والمفيدة، يقول: «مَنْ أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة وأخاً مستفاداً وعلماً مستطرفاً ورحمة منتظرة وكلمة تدلّه على الهدى أو تردّه عن ردى»[2].

القسم الثاني: أساليب التربية

١ ـ الاستعانة بحسّ الكمال

يميل الأطفال والناشئة فطريّاً إلى الكمالات والصفات الإنسانيّة الجميلة. والمربّي يمكنه إرشاد المتربّين نحو أهدافه عن طريق الإرضاء الصحيح لمسألة التفوّق وبالتالي يشجعهم على النشاط والفعاليّة في سبيل الحصول على الكمالات. في أحد الأيام دعا الإمام الحسن عليه السلام أبناءه وأبناء أخيه ثم خاطبهم قائلاً: «إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»[3].

بهذا الأسلوب حاول الإمام عليه السلام ترغيب أبنائه، اكتساب العلم والدرس حيث ساروا بعشق ومحبّة على هذا الطريق حيث لا مجال فيه للتهديد والوعيد.

---

(١) تحف العقول، ص٢٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٥.

(٣) منية المريد، ص٣٤٠.

٢ ـ التعريف بالنماذج التربويّة

يبحث الطفل واليافع فطريّاً عن النموذج وتتجلّى حاجته الداخلية هذه في مسألة التقليد عنده. ينبغي للوالدين والمربين تعريف النماذج الصحيحة ليتمكنوا بذلك من توجيه حسّ التقليد عنده. الشيء المهمّ هنا هو معرفة النماذج الصحيحة والقدوة الكاملة التي يمكنها زرع الصفات الحسنة في الطفل. أمّا القرآن الكريم فقد استخدم هذا الأسلوب بشكل كبير حيث عرّف لنا النموذج الأسمى الكامل الذي لا نقص ولا عيب فيه. وهكذا كانت السيرة التربويّة للإمام الحسن عليه السلام، خطب الإمام عليه السلام خطاباً بليغاً بعد شهادة الإمام عليّ عليه السلام عَرَّف بالشخصيّة المميّزة للإمام عليه السلام وقال: «**يا أيها الناس لقد فقدتم رجلاً لم يسبقه الأولون، ولم يدركه الآخرون، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليبعثه في السريّة وأن جبرئيل عليه السلام عن يمينه وميكائيل عن يساره، فوالله ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا ثمانمأة درهم ثمن خادم**»[١].

٣ ـ إيجاد حالة الثقة والعزة بالنفس عند الطفل

إنّ إيجاد الثقة والعزّة بالنفس عند الأطفال يجعل منهم أشخاصاً موفّقين في المستقبل. ويمكن تنمية هذه الصفة الجميلة في الطفل منذ الطفولة وبأساليب متعدّدة. وهنا نشير إلى بعض هذه الأساليب:

الأوّل: احترام الطفل

أظهر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مراراً عديدة الاحترام للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام أيّام طفولتهما. في أحد الأيام دخل الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس فنهض احتراماً لهما ووقف ينتظرهما حتّى وصلا إليه.

(١) المعجم الكبير للطبراني.

كان الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم يتحرّك نحو الطفلين يسـتقبلهما ثمّ يحضـنهما ثمّ يصعّدهما على كتفيه. وقد قال مشـيراً إلى ما يقومان به معتبـراً أنّ مركبهما نعم المركب وهما نعم الراكبان[1].

وفي رواية أخرى، يقول عبد الله بن عباس: «**انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادى على باب فاطمة ثلاثاً... فبينا هو كذلك إذ خرج الحسن بن علي قد غسل وجهه وعلقت عليه سبحة، قال: فبسط النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده ومدها ثم ضم الحسن إلى صدره وقبله وقال: إنّ ابني هذا سيّد**»[2].

الثاني: اللعب مع الطفل

يميل الطفل واليافع إلى اللعب والرياضـة حيـث يمكنه من خلال ذلك التعرف على العالم المحيط به عدا عمّا يضـفيه عليه ذلك من نموّ. واللعب فرصـة للتعبير عن الأحاسـيس والعواطف. أمّا مشـاركة الكبـار للأطفال في اللعب فتـؤدّي دوراً كبيراً على مستوى زرع الثقة في أنفسهم. وهنا يُحكى عن قصّة لعب أبي رافع أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الإمام الحسن عليه السلام عندما كان لا يزال طفلاً[3].

الثالث: اختيار اسم جميل للطفل

يقوم اسـم الطفل بدور مهمّ على مسـتوى شخصيّته. ينبغي اختيار اسم للطفل لا يؤدّي إلى استهزاء الآخرين به في المستقبل ولا يشعر بالحقارة من خلال حمله. وأفضـل الأسماء ما دلّ على اتباع الشـخص لله تعالى ولثقافته ومذهبه. وقد أولى الإمـام الحسـن المجتبى عليه السلام أهميّة خاصّـة لهذه المسـألة. أمّا أسـماء أبنائه الذكور فعبارة عن: حسـن، زيد، قاسـم، عمرو، عبد الله، عبد الرحمن، حسـين،

(١) الطفل الفلسفي [كودك فلسفي]، ج١، ص١١٥.
(٢) اعلام الورى، ص٢١١.
(٣) الطفل الفلسفي، ج٢، ص١٣٣.

طلحة وأمّا أسماء بناته فهي: أمّ الحسن، أمّ الحسين، فاطمة، أمّ عبد الله، أمّ سلمة، رقيّة[١].

الرابع: مشاورة الأبناء

مشاورة الأطفال واحدٌ من أساليب تشكيل شخصيّتهم. أوصى الإمام الحسن عليه السلام بهذه المسألة وكان يشاور أبناءه في موارد مختلفة، وبهذا النحو تمكّن من تربية شخصيّاتهم وأوجد فيها عزّة النفس. في أحد الأيّام دخل معاوية بن خديج منزل الإمام عليه السلام طالباً الزواج من إحدى بناته، عند ذلك قال له الإمام عليه السلام: **«إنّا قوم لا نزوّج نساءنا حتّى نستأمرهنّ»**[٢].

الخامس: السلام على الأطفال

كان الإمام الحسن عليه السلام يوصي بعدم الجواب على الكلام إذا كان قبل السلام[٣]. ولهذا الكلام أهميّة فائقة على مستوى معاشرة الوالدين لأبنائهم. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«خمس لا أدعهنّ حتّى الممات... والتسليم على الصبيان لتكون سنّة بعدي»**[٤].

٤ ـ مطابقة العمل للقول

إذا تمكّن الوالدان والمربّون من العمل طبق ما يقولون، يكونون بذلك قد اختاروا أكثر الأساليب المؤثّرة والمفيدة في التربية وبالتالي يمكنهم بذلك التأثير في الأبناء بشكل غير مباشر. وتكون وصايا الوالدين ونصائحهما مفيدة إذا شاهدها الأطفال تصدر عنهما وتتجلى في أعمالهما فيكونان قدوة لهم.

(١) الارشاد، ج٢، ص١٦.
(٢) حياة الحسن عليه السلام، ج١، ص٣٢٩.
(٣) مسند الإمام المجتبى عليه السلام، ص٦٨٨.
(٤) الخصال، ج١، ص٢٧١.

يتحدّث الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حول الخصال الحميدة لأحد أصدقائه ويذكره بصفات جميلة، يقول: «**كان لا يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول**»[1].

(١) تحف العقول، ص٢٣٤.

عاملان مهمّان في التربية الفعّالة (١)

علي اقليدي نجاد

لعلّ من أبرز الأساليب التربوية التبليغية، الاستعانة بالتشجيع والتنبيه[١]. التشجيع وسيلة لإيجاد الشوق والرغبة والدافع للقيام بالأعمال الحسنة وإيجاد العادات المقبولة، والتنبيه عامل يمنع من ظهور الخصال السيّئة أو القيام بالأعمال غير المقبولة وترك العادات المذمومة.

ممّا لا شكّ فيه أنّ التشجيع والتنبيه عاملان مؤثّران في مستوى التطوّر التربويّ للبشر. وأمّا استعمال هذين الأسلوبين في كافّة مراحل الحياة، فهو مفيد وفعّال، وتبرز أهميّة استخدامهما في مراحل الطفولة؛ لأنّ الأطفال يعيشون عادة حالة من الضعف على مستوى النمو الفكريّ والمعنويّ. نحن بحاجة إلى التشجيع في الأعمال المطلوبة ليصار إلى تقويتها، بينما نحتاج إلى التنبيه في ترك الخصال المذمومة. انطلاقاً من أهميّة هاتين الخصلتين، سنحاول دراسة كلّ واحدة منهما ليتمكّن المربّون من الاستعانة بهما في العمليّة التربويّة الدينيّة.

التشجيع عامل فعّال

إذا كنا نتوقّع أن يقوم الطفل أو الشابّ بعمل ما، فهذا توقّع في غير مكانه. والتشجيع يزرع في الطفل والشابّ الدافع والشوق اللّازمين للقيام بالأعمال

(١) لمزيد من الاطلاع راجع: النظام التربوي في الإسلام، حاجى ده آبادى ودليل الآباء والأمهات، محمد علي السادات، ج٢.

المطلوبة، ومن هنا يمكن أن نزرع في داخلهما عادة القيام بالأعمال الحسنة.

عندما يقوم الطفل بعمل حسن، يأتي التشجيع ليشكّل الهدية التي تبقى في ذهنه دائماً لتكون الدافع في تكرار ذاك العمل.

«ذكروا أنّ الحسن [المجتبى] عليه السلام رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني أستحي منه أن آكل ولا أطعمه، فقال له الإمام الحسن عليه السلام: لا تبرح من مكانك حتّى آتيك، فذهب إلى سيّده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه، فاعتقه وملّكه الحائط»[1].

التشجيع يحرك روح الطفل ويقويها لجهة القيام بعمل ما، ويجعله يشعر بالرضا والسعادة. وهذا الإحساس هو الذي يساعده في تكرار العمل. مثال ذلك يمكننا في تدريس القرآن الكريم وبدل التأكيد على إشكالات الإعراب والتجويد و... التأكيد على النقاط الإيجابية والتقدّم الجزئيّ ثمّ الإشارة في أثناء ذلك إلى بعض الاشتباهات وذلك بهدوء ولطف. في هذه الحالة سنرى أنّ الدافع عند الأطفال لقراءة القرآن سيظهر ويحتلّ موقعاً مهمّاً. التشجيع عامل مفيد ومؤثّر على مستوى تقوية السلوك الإنسانيّ وتفتّح الاستعدادات الكامنة فيهم. وهذا العامل هو سبب وجود النشاط والثقة والاعتقاد لدى الطفل والشاب، ويبعده عن اليأس، هنا من المناسب الإشارة إلى إحدى التجارب:

«في المرة الأولى التي أردت ارتقاء المنبر، قصدت الشيخ علي أكبر الرشتي، قلت له اكتب لي خطاباً. كتب لي. فحفظت ما كتب. قرّرت أن أتلو ما حفظت في المسجد الذي يصلّي فيه والدي. عندما شاهدني الشيخ محمّد الشميراني

(١) النماذج التربوية الاجتماعية، محمد علي كريمي نيا، ص٣٢٩ نقلاً عن البداية والنهاية، ج٨، ص٣٨.

أرتقي المنبر أخذته الحيرة وهو الذي قد شاهدني قبل ذلك عشرات المرّات. بدأت أعين الجميع تتوجّه إليّ. بدأت الخطبة وعرضت ما كنت قد حفظته.

أذكر جيداً أنّ أحد الخطابات قد كتبها لي السيد عزمي (الرشتي) وقد دوّن في البداية بيتين من الشعر، فبمجرد أن قرأت البيتين، صاح الشيخ محمد الشميراني بصوت عالٍ: أحسنت. هذه الكلمة أعطتني من القوّة في تلك الأيام ما زالت تترك آثارها فيّ حتّى يومي هذا.

لم أتجاوز آنذاك الخامسة عشرة أو السادسة عشرة. البعض تحدّث إلى والدي وقال: اسمح لنا أن نعقد جلسة في منزلنا وأن يتحدّث ابنكم هناك.

عندما رجعت إلى المنزل. تحدث إليَّ والدي وقال: صحيح أنّك ترتقي المنبر للمرة الأولى، إلّا أنك تحدثت بشكل حسن. قلت عند ذلك صادقاً؛ إن كلمة أحسنت التي أطلقها الشيخ محمّد الشميراني هي التي تركت هذا الأثر فيّ»[1].

أنواع التشجيع

التشجيع أشكال متعددة. فالنظر بمحبّة، الشكر اللفظي، العطف العمليّ، الحديث للآخرين، تقديم الهدية والأجر و... كلّها من أشكال التشجيع ولكلّ واحد من هذه الأمور موقعه الخاصّ.

وينبغي الاشارة إلى أنّ الطفل يمرّ بمراحل مختلفة في عملية النموّ والرشد، لذلك يجب أن يكون تشجيعه متناسباً مع هذه المراحل. قد يكون قلم التلوين مؤثّراً عند الطفل ذي السبع سنوات، إلا أنه هل يكون مؤثّراً في صاحب الأحد عشر عاماً؟ فهذا ما يقتضي التأمل والدقّة. لذلك من الضروريّ الالتفات إلى رغبات الأطفال ومراحل نموّهم.

(١) مجلة ميلغان، العدد ٩، ص١٠٧.

قانون التشجيع

التشـجيع كباقي الأمـور حيث يجب أن يجـري طبق إطار خاصّ ليعطي الآثار المطلوبة منه. لذلك من المهمّ الالتفات إلى النقاط الآتية:

الأولى: عدم الزيادة في التشجيع.

إنّ الزيـادة في التشـجيع تـؤدّي إلى التقليل مـن قيمة ذاك العمـل وترفع توقّع الطفل، فيظنّ حينها أنّ لكلّ عمل تشجيعاً مهما كان صغيراً.

ومن جملة الأضـرار التي يلحقها الإكثار من التشـجيع، التقليل من الإحسـاس بالمسـؤوليّة لدى الأطفال، فإذا لم يكن هناك تشـجيع، لا يشعر بدافع نحو العمل، لذلك يحاول دائماً التهرّب من الأعمال التي توكل إليه.

الثانية: أن لا يبعث على الغرور

لا ينبغـي أن يؤدّي التشـجيع إلى أن يشـعر الطفل بحالة من الغـرور والأنانية. لذلك من المناسب الدقّة في استعمال العبارات المستخدمة في التشجيع الكلاميّ. والسبب في ذلك أنّ ظهور حالة الأنانية والغرور عند الطفل، يترك آثاراً سلبية فيه وآثاراً مخربة في بنائه الروحي وبالتالي سينجرّ الأمر إلى التخلّف الأخلاقي.

الثالثة: تحديد أسباب التشجيع

يجب توضيح أسباب التشجيع للطفل أو الشابّ وحتّى للكبير وذلك بشكل شفّاف وواضـح ليدرك أنّ هذا التشـجيع يتمحور حول الأمر الفلاني الـذي أتى به. وهذا يؤدّي بدوره إلى أن يحاول الشخص تكرار العمل مرّة أخرى.

ويظهر هذا الأسـلوب الحسن في سـيرة الإمام الصادق عليه السلام. كان هشام بن الحكـم شـاباً متبحّراً في العلـوم العقلية. دخل فـي يوم من الأيـام مجلس الإمام

الصـادق عليه السلام الذي كان يحضره عدد من كبار وشيوخ الشيعة أمثال: حمران بن أعين، قيس بن الماهر، أبي جعفر الأحول وآخرين. اسـتقبل الإمام عليه السلام هشاماً وأجلسـه إلى جانبه. لم يرُقْ هذا الأمر لبعض الحاضرين. عند ذلك تحدّث إليهم الإمـام عليه السلام وأخبرهم أنّ إكرامه هو لما يقدمه من مسـاعدة لأهل البيت عليهم السلام من خلال علومه[1].

إنّ توضيح سبب التشجيع يؤدّي إلى دعم سلوك الشخص وتقويته وينفي التمييز بين الأشخاص بالأخصّ الأطفال.

الرابعة: التشجيع المناسب للعمل

ينبغي أن يكون التشجيع مناسباً للعمل الذي يقوم به الشخص. وإذا كان العمل بسيطاً لا ينبغي أن تكون الهدية التشجيعية أكبر منه والعكس صحيح. يُنْقل أنّ أحد الشـبان عطس ثم قال طبق سـنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الحمد لله ربّ العالمين. عند ذلك توجّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إليه قائلاً: بارك الله فيك. وشجّعه على عمله بهذا النحو[2].

الخامسة: التشجيع يحمل بُعْداً قيمياً

ينبغي أن يخرج التشجيع عن حالة الشكل الواحد. والتشجيع من جهة أخرى هو طريق يشـير إلى الفضـائل ويبعد الطفل عن الرذائل. لذلك من المناسب الاشارة إلـى الجوانـب المعنوية في التشـجيع حيث يقـرب الطفل من الجوانـب المعنوية والقيمية.

السادسة: الوفاء بالوعود

ينبغـي للمربّين والوالدين الوفاء بالوعود التـي يقطعونها لأبنائهم، كذلك ينبغي

(١) سفينة البحار، ج٢، ص٧١٩ والنماذج التربوية الاجتماعية، ص٣٢١.

(٢) النظام التربوي في الإسلام، محمد علي حاجي ده آبادي، ص١٧٠.

الابتعاد عن الوعود الكاذبة والوعود التي لا يمكن أن تتحقّق. وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم محبة الأطفال والعطف عليهم والوفاء بالوعود التي تعطى لهم[1].

إنّ الابتعاد عن الوعود الكاذبة يؤدّي إلى وجود جوّ من الأمن والإيمان والاطمئنان في الأجواء العائلية. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **«لا يجد عبد طعم الإيمان حتّى يترك الكذب هزله وجده»**[2].

السابعة: التشجيع الفوريّ

ينبغي أن يحصل التشجيع بعد القيام بالعمل فوراً، ليدرك الطفل أنّ العمل الذي قام به مطلوب ومقبول وليشعر بلذة التشجيع. مَرّ الإمام المجتبى عليه السلام بأطفال يلعبون وبيدهم قرص خبز يأكلونه، عندما شاهدوا الإمام عليه السلام دعوه، فلبى الدعوة، ثمّ اصطحبهم جميعهم إلى منزله حيث قدم لهم الطعام والشراب وقال: **«الفضل لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد أكثر ممّا أطعمناهم»**[3]. فالإمام عليه السلام شجع الأولاد مباشرة بعد العمل الذي قاموا به.

الثامنة: أن لا يكون الوصول إلى الأجر صعباً وغير ممكن

ينبغي أن يكون الأجر بحيث يمكن للطفل الوصول إليه كلّما فعل فعلاً حسناً. يستحقه، لذلك لا يجب أن يكون الوصول للأجر صعباً، لأن ذلك سيؤدي إلى ايجاد حالة من اليأس عنده وبالتالي سيدفعه إلى عدم تكرار العمل لاحقاً.

من جهة أخرى ليس من المطلوب أن يكون طريق الوصول إلى الأجر سهلاً للغاية بل يجب رعاية الوسطيّة في ذلك.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢، ص١٣٤.

(٢) الكافي، ج٢، ص٣٤٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١١، ص١٩ والنماذج التربوية الاجتماعية، ص١٦٤.

التاسعة: التشجيع وليس التمييز

يجب عدم التمييز في تشجيع الأطفال وفي إعطائهم الأجر. لأنّ هذا العمل ينفي الأثر المتوقع من التشجيع ويؤدي إلى ظهور مشاكل جديدة.

والعدل في هذا السلوك مهمّ إلى درجة أنّ الرسول الأكرم ﷺ وبخ أحد الصحابة بسببه وأوصاه بالعدل: **«روي أنّ النعمان بن البشير أتى بولده إلى النبي ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا فلاناً، فقال النبي ﷺ: أكلّ ولدك نحلت مثل هذا؟ فقال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»**[1].

الكلام الأخير

بناءً على ما تقدّم، ينبغي الدقة في التشجيع والتنبيه وكيفية استعمالهما في التربية. وممّا يجب أن يشار إليه أنّ التساهل والتسرّع مطبان كبيران أمام استخدام التشجيع والترغيب. وإذا تمكن المبلغون والمدرّسون الدينيون من استعمال الترغيب والتشجيع طبق الحدود فسيتمكّنون من زرع حرارة الشوق والرغبة في أرواح الأطفال.

(١) ميزان الحكمة، ج١٠، ص٧٠٧.

عاملان مهمّان في التربية الفعالة (٢)

علي اقليدي نجاد

التنبيه أسلوب مهمّ وعامل مؤثّر

ممّا لا شكّ فيه أنّ التنبيه حالة لا مفر منها في تربية الأطفال فلا يمكن التخلّي عنها بالكامل. لذلك أطلقوا على الترغيب والتشجيع القائد وعلى التنبيه السائق. لأنّ كلا العاملين ضروريّان في تربية الأطفال، حيث يقوم أحدهما بإيجاد الدافع والآخر يمنع التخلّف. ويجب الإشارة إلى أنّ استعمال التنبيه في التربية حسّاس للغاية لا بل صعب حيث يجب الالتفات إلى الآثار التربوية المخربة التي قد تنتج فيما إذا لم يكن التنبيه خاضعاً للضوابط. لذلك يجب الدقّة في استعمال التنبيه، باعتبار أنّ مجرد اشتباه صغير قد يزرع الحقد والحسد في قلوب الأطفال. يقول الإمام: «**الافراط في الملامة يَشُبُّ نيران اللجاج**»[1]. بناء على هذا نفهم أنّ اللوم والتنبيه والاجبار، ليست أسلوباً أساسياً لتربية الأطفال، لا بل لهذه الأمور ضوابط دقيقة وظريفة ينبغي الالتفات إليها.

أنواع التنبيه

التنبيه كالتشجيع إذ يمتلك دائرة واسعة من جملة ذلك: النظر بغضب، عدم الاهتمام، التوبيخ، اللوم العلني والسري، الحرمان من الخروج، والحرمان من

(١) تحف العقول، ص٨٤.

اللعب واللهو، عدم الاهتمام بالطلبات، الخشونة والعصبية، التوسّل بالقوّة و... كل ذلك يمكن ذكره تحت عنوان التنبيه. ولكن يجب الاشـارة كما ذكرنا في التشـجيع إلـى أنّ اسـتعمال كل واحد من هـذه الأمور يعود إلى تشـخيص مراحل نموّ الطفل ليصار إلى اختيار التنبيه المناسب بحاله.

ماذا نختار، التشجيع أم التنبيه؟

صحيح أنّ التنبيه عامل مانع، لكنه في العادة يغير الدوافع الداخلية والحاجات الخفية عند الطفل، لا بل يجبره على القيام بالعمل المطلوب وترك غير المطلوب. فإذا رفعنا ظلال التنبيه، يعود الطفل إلى العمل القبيح. لذلك يفضـل الاسـتفادة من الأساليب الترغيبية والتشجيعية بدل الاستفادة من التنبيه، لأنّ الترغيب يوجد الدوافع الداخلية ويقويها ويؤدّي إلى تغيير السـلوك. «جرى أحد الاختبارات على ١٦٠ تلميـذاً يمتلكـون معلومـات متساويـة وهـم في عمـر واحد، فتـمّ تقسيمهم إلـى أربـع مجموعات متساويـة. كان المطلوب مـن كلّ مجموعة الاجابة عن ٣٠ سؤالاً في مدة خمس عشرة دقيقة. بعد انتهاء العمل في اليوم الأول تم إحضار المجموعـة الأولـى حيث تـم توبيخها ولومها على الأخطـاء التي وقعت بها من دون أن يطلـع الأفـراد علـى أخطائهـم. ولكن جـرى التعامل بشـكل مختلف مع المجموعـة الثانيـة حيث. جـرى تشجيعهم وتحفيزهم علـى المسائل الجديدة التي قاموا بحلّها من دون تصحيح أخطائهم.

أمّـا فيما يتعلـق بالمجموعة الثالثة التي شاهدت اللـوم والتشجيع فلم يجرِ أيّ عمل على الاطلاق. وأما المجموعة الرابعة فكانت في غرفة منفصلة تجيب عـن الأسئلـة من دون أن تعلم مـا يحصل مع المجموعات الأخـرى. في النهاية تـمّ حسـاب متوسـط العلامات التـي حصلت عليهـا كل مجموعة فـكان متساوياً عنـد الجميـع إذ بلـغ الاثني عشـر. ولكن بدأ الوضـع يتغير من اليـوم الثالث إذ

بـدأ متوسط علامـات المجموعة التي تـم تحفيزها وتشجيعهـا بالازدياد بينما تناقص متوسّط علامات المجموعة التي تم توبيخها ولومها. أما المجموعتان الثالثـة والرابعـة فبقـي مستواهمـا علـى حالـه حيـث لـم يحصـل أي تغير على مستوى التقدم أو التراجع»[1].

على هذا الأساس فالأفضل تشجيع وتحفيز الطفل على العمل الحسن الذي قام به حتى لو كان صغيراً، لنهيِّئ الأرضية لتقدّمه وتطوّره.

التنبيه العاطفي

التنبيه العاطفي واحد من الأساليب التنبيهية المؤثرة، إن عدم الاهتمام بالطفل وعدم الالتفات إلى احتياجاته وحذف عاطفته كلّ ذلك قد يكون من أساليب مبلّغي الدين ومربي الأطفال. ولكن يجب الاشـارة إلى أن الروح اللطيفة للطفل لا تمتلك تلـك الطاقـة والقدرة الموجـودة لدى الكبار. لذلك فالأفضـل أن لا يكـون التنبيه العاطفي طويلاً. وقد أوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عدم ضرب الولد وتأديبه بالابتعاد عنه شرط أن لا يكون ذلك طويلاً[2].

التنبيه الخطير

هنـاك بعض أنواع التنبيـه التي لا يجب اللجوء إليها علـى الاطلاق مثال ذلك: التحقير، الإهانة، استخدام الكلمات النابية، الكناية والمقارنة و... إنّ هذه الأنواع تؤدّي إلى أضـرار روحية عند الطفل وتسـحق شخصـيته وتوجد خللاً في تربيته. لأنّ الطفـل يتجه عندئذٍ نحو اللجـاج والجرأة وعدم المبالاة والفسـاد. لذلك من الضروري الحفاظ على كرامة واحترام الأطفال. لنطالع سوياً القصة الآتية:

(١) دليل الآباء والأمهات، محمد علي السادات، ج٢، ص٩٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٢٣، ص١١٤.

«كتبت إحدى الفتيات في مذكراتها: أذكر أيام الطفولة أنني تلقيت ضرباً مبرحاً على أثر اللجاج، كان ذلك أمام الضيوف، خجلت من الضيوف، لذلك قررت حينها الصراخ بصوت عالٍ. حاولت أمي اسكاتي لأن من المعيب الصراخ أمام الضيوف إلّا أنّ محاولاتها باءت بالفشل لأنّ صراخي كان يزداد.

لم تجد أمي وسيلة إلّا الاتيان بثياب لعبتي التي حكتها بنفسي والتي أحبها أكثر من أيّ شيء آخر وأحرقتها أمام عيني. لذلك أخذت بالبكاء وبقي هذا التصرف الوحشي يشكل عقدة عندي لم أتمكن من نسيانها حتّى الآن»[1].

التنبيه البدني

الخطوة الأخيرة في التربية هي اللجوء إلى التنبيه البدني. إنّ هذا النوع يؤدي في الغالب إلى زوال الصداقة وإلى ازدياد الكره والتنفر ويصبح الطفل غير مبالٍ أمام مسائل الحياة والتعاليم التي تقدم إليه. هنا يتحول الطفل إلى موجود مكسور يائس محطّم من الناحية المعنوية وهذا بدوره يمهد الأرضية لانحراف الطفل وتوجّهه نحو أنواع المفاسد. من هنا على الأهل أن يبذلوا جهوداً كبيرة في سبيل عدم الوصول إلى هذا النوع من التنبيه.

يميز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بين تربية الإنسان والحيوان ويقارن بينهما ويقول: «إنّ العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتّعظ إلّا بالضرب»[2].

التنبيه لا يؤدي فقط إلى سقوط شخصية الطفل بل يترك فيه آثاراً سلبية من أبرزها:

(١) النماذج التربوية الاجتماعية، ص٢٢٤.

(٢) غرر الحكم، ص٢٣٦؛ دليل الآباء والأمهات، ج٢، ص١٠٥.

١- الاستسلام أمام القوة.

٢- تحطّم شخصيته والشعور بعدم الأمان.

٣- زوال نشاطه وحياته الحيويّة.

٤- ظهور صفات سيئة عليه كالكذب...

٥- فقدان الدافع.

الباب السادس

من بيوت الوحي

تقرير عن منزل السيّدة الزهراء عليها السلام

محمد جواد طبسي

مقدّمة

كان في المدينة المنورة، بيتٌ واحدٌ يعشقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحبّ أهله. كانت كافّة أنحاء هذا المنزل تحكي عن حالة معنويّة ونورانيّة خاصّة. بالإضافة إلى ذلك فإنّ هذا المنزل كان محلّ نزول وعروج ملائكة الله ليل نهار، وكان يحترمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى درجة أنّه لا يدخله من دون إذن، فكان يعرِّج عليه صباحاً ومساءً ثم يُسَلّم على أهله بعد أن يطرق الباب.

وعندما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يترك المدينة كان المنزل الوحيد الذي يتوقّف عنده وعندما يعود من السفر كان أوّل مكان يزوره. ذاك المنزل، هو منزل السيّدة فاطمة عليها السلام الذي سيتمحور حوله المقال الذي بين أيدينا.

خصائص منزل السيّدة فاطمة عليها السلام

١ ـ الموقع الجغرافيّ:

يقع هذا المنزل في الطرف الشرقيّ لمسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويتوسّط حُجرات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأخرى. يقول مؤلّف كتاب التعرّف على المدينة: «**إذا أخذنا بعين الاعتبار الأقوال الثابتة، فإنّ المسلَّم به أنّ منزل فاطمة عليها السلام يقع بين القبر**

والمنبر»[1]. خاطب شخص عبد الله بن عمر طالباً منه أن يُحَدثّه حول عليّ بن أبي طالب. قال عبد الله: إذا أردت أن تعرف مقام ومنزلة عليّ عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانظر إلى بيته بالنسبة إلى بيوت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أشار بيده إلى منزل عليّ وفاطمة عليهما السلام وقال: هذا بيته المتوسّط بيوت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[2].

٢ ـ مساحة منزل فاطمة عليها السلام

يكتب التبنونيّ في الرحلة الحجازيّة: «يبلغ طول منزل فاطمة عليها السلام من الجنوب ١٤،٥ أمتار ومن الشمال ١٤ متراً ومن الشرق والغرب ٥،٧ أمتار»[3].

٣ ـ هديّة من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

بمجرّد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بدأ التفكير في استحداث هكذا حجرة لفاطمة عليها السلام. بنى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حجرات أزواجه شرق المسجد وبنى لفاطمة عليها السلام هذه الحجرة.

تتحدّث أمّ سلمة حول زواج الزهراء عليها السلام فتقول: «... ثمّ دعا النبيّ بابنته فاطمة ودعا بعليّ فأخذ عليّاً بيمينه وأخذ فاطمة بشماله فجمعها إلى صدره فقبّل بين أعينهما ودفع فاطمة إلى عليّ عليه السلام وقال: يا عليّ نعم الزوجة زوجتك، ثمّ أقبل على فاطمة فقال لها: يا فاطمة نعم البعل بعلك، ثمّ قام معهما يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هيّأ لهما، ثمّ خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب وقال: طهّركما الله وطهّر نسلكما»[4].

(١) معرفة المدينة، ص٧٣.
(٢) سفينة البحار، ج١، ص١١٥.
(٣) الرحلة الحجازية، ص٣٢٧.
(٤) مناقب الخوارزمي، ص٢٤٧.

٤ ـ لا طريق إليه إلّا من المسجد

من جملة ما يمتاز به هذا المنزل أيضاً أنّه لا طريق إلى داخله إلّا من المسجد وفي هذا الأمر عناية قد تكون مجهولة عند المسلمين. كتب السيّد محمّد باقر النجفيّ أنّ كافّة المؤرّخين قد أذعنوا بأنّ منزل عليّ لا يمتلك أيّ باب سوى الباب المفتوح من المسجد[١].

٥ ـ منزل رفيع يفيض بالنور

من جملة خصائص هذا المنزل أنّه كبيوت ومساجد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، مليء بالنور والجلال والعظمة، وهو من المنازل التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٢].

جاء في رواية ذيّلت الآية المتقدّمة، نقلها أنس عن بريدة: «**رُوي عنه لمّا قرأ هذه الآية سُئل أيّ البيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام؟ قال: نعم وأفضلها**»[٣].

٦ ـ مكان صلاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعبادته

بيت السيّدة الزهراء عليها السلام هو مكان الاستراحة المؤقّت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند زيارته ابنته الوحيدة، فكلّ مكان فيه، قد جلس فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصلّى وعَبَد الله وسجد له.

عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعملنا له حريرة**[٤]،

(١) معرفة المدينة، ص١١٩ والفرات والكوفة، ص١٢٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٦.

(٣) سفينة البحار، ج١، ص١١٤، ومجمع البحرين، ص١٣٨.

(٤) طعام يصنع من الطحين واللبن أو السمن، القاموس الجديد، ص٩١.

وأهدت لنا أمّ أيمن قعباً من لبن وزبداً وصفحة تمر، فتوضّأ رسول الله ثمّ قام واستقبل القبلة فدعا الله ما شاء ثمّ أكبّ إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر فهبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نسأله، فوثب الحسن عليه السلام فقال: يا أبه رأيتك تصنع شيئاً ما صنعت مثله؟ قال: يا بنيّ إنّي سُررت بكم اليوم سروراً لم أسرّ بكم مثله، وإنّ حبيبي جبرائيل أتاني وأخبرني أنّكم قتلى وأنّ مصارعكم شتّى، فدعوت الله لكم فأخبرني ذلك، قال الحسين عليه السلام: يا رسول الله فمن يزورنا على تشتّتنا ويتعاهد قبورنا؟ فقال: طائفة من أمّتي يريدون برّي وحلتي إذا كان يوم القيامة زرتها فأخذت بأعضادها فأنجيتها من أهواله وشدائده»[1].

٧ـ مكان ولادة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام

ممّا لا شكّ فيه أنّ الإمام الحسن، والإمام الحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم عليهم السلام قد ولدوا في هذا المنزل وهذا ما تمتاز به هذه الشخصيّات عن الأئمّة الآخرين عليهم السلام إذ من البعيد أن يكونوا قد ولدوا في بيت فاطمة عليها السلام والسبب في ذلك أنّه تمّ تهديم المنزل في عهد عبد الملك بن مروان بحجّة توسيع مسجد الرسول[2].

ومن البعيد أيضاً أن يكون الإمام زين العابدين عليه السلام قد ولد في هذا المنزل، لأنّ الإمام قد ولد عام ٣٨هـ.ق، حيث كان في ذاك العام مع والده الإمام الحسين عليه السلام برفقة الإمام عليّ بن أبي طالب في الكوفة. فالظاهر أنّ الإمام السجّاد عليه السلام قد ولد في الكوفة وهذا ما لم يُشِرْ إليه أحد.

وأمّا إذا صحّ احتمال ولادة الإمام عام (٣٤ أو ٣٥ أو ٣٦هـ.ق) فعند ذلك يمكن القول بأنه ولد في المدينة، ومع ذلك فمن البعيد أن يكون قد ولد في بيت

(١) بشارة المصطفى، ص١٩٥؛ عوالم العلوم والمعارف، ج٧، ص١٢٣، وكامل الزيارات، ص٥٨.
(٢) سفينة البحار، ج١، ص١١٥.

فاطمة عليها السلام، لأن الإمام الحسين عليه السلام في تلك المدّة لم يكن يعيش في منزل فاطمة عليها السلام.

٨ ـ مكان تردّد الملائكة

يقول الإمام الباقر عليه السلام: بيت عليّ وفاطمة من حجرة رسول الله صلوات الله عليهم، وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً، وفي كلّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد، وإن الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتّى أبصر العرش وزاد الله في قوّة ناظره، وإن الله زاد في قوة ناظرة عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن...»[١]. نعم، نزل جبرائيل في الكثير من الأحيان بالآيات الإلهيّة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المنزل، وفيه كانت حادثة حديث الكساء أيضاً[٢].

٩ ـ سلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أهل البيت

عندما نزلت الآية الشريفة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٣]، بقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مدّة أربعين يوماً[٤]، أو ستة أشهر[٥]، أو ثمانية أشهر[٦]، أو تسعة أشهر[٧] يتردد صباحاً ومساءً على بيت فاطمة ويأخذ بحلقة الباب ويسلم على أهله ويقول: «الصلاة

(١) المصدر نفسه.
(٢) سند حديث الكساء الشريف، ص٦.
(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٤) أمالي الطوسي، ص٢٥١.
(٥) سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٣٤.
(٦) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٥٣.
(٧) ينابيع المودة، ص١٧٤، ومناقب الخوارزمي، ص٢٣.

يرحمكم الله»[1] ثمّ يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2] يقول أبو الحمراء: شاهدت رسول اللّه ﷺ يتردّد أربعين يوماً صباحاً ومساءً على بيت عليّ وفاطمة فكان يأخذ حلقة الباب ويقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته. الصلاة يرحمكم الله. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[3].

يقول القندوزي الحنفي بعد ذكر هذا الحديث إنّ ثلاثمائة شخص من صحابة رسول اللّه ﷺ قد رووا هذا الحديث[4].

١٠ ـ إغلاق كافّة الأبواب إلّا باب بيت فاطمة

عندما وجد أصحاب الرسول ﷺ أنّ بيت عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام مفتوح على المسجد، فتحوا باباً من بيوتهم عليه. ولم يطل الأمر إذ أمر الرسول ﷺ إغلاق كافّة الأبواب إلّا باب عليّ عليه السلام. ارتفعت الأصوات المعترضة، إلّا أنّ الرسول ﷺ كان مصرّاً على الإغلاق، حتّى إنّه أمر بإغلاق النوافذ.

عن زيد بن أرقم قال «كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد قال: فقال يوماً سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليّ، قال فتكلم في ذلك ناس، قال: فقام رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنّي ما أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ فقال فيه قائلكم، وإنّي والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكن أُمرت بشيء فاتّبعته»[5].

والحديث المذكور هو من الأحاديث المُسَلَّم بها عند السُنَّة والشيعة، فلم يعترض

(١) أمالي الطوسي، ص٢٥١.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٥٣.
(٣) ينابيع المودة، ص١٧٤.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ذخائر العقبى، ص٧٧.

على صـحّته أحد إلّا ابن الجوزيّ الذي اعتبره من جملة الأحاديث الموضوعة التي وضـعها الرافضـة. وقد كتب ابن حجر العسقلانيّ في كتاب «**فتح الباري في شرح صحيح البخاري**» يردّ على ابن الجوزيّ فقال: «**أخطأ في ذلك شنيعاً فإنه سلك في ذلك ردّ الأحاديث الصحيحة بتوهّمه المعارضة**»[١].

١١ ـ احترام الأئمّة عليهم السلام للبيت

صـحيح أن بيت فاطمة تـمّ تهديمه منذ زمان الإمام السـجّاد عليه السلام وما تلاه، بحجّة توسيع المسجد، إلّا أنّ مكان البيت معلوم وواضح حيث كان الناس يظهرون احتراماً له من دون أيّ تقيّة.

كان الإمام الجواد عليه السلام يتوجّه عند أذان الظهر لزيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ يمشي نحو بيت فاطمة عليها السلام فيخلع نعليه ويدخل البيت ليصلّي فيه[٢].

رؤية أخرى

عندمـا نلقي نظرة أخـرى على هذا البيت تأخذنا الحيرة والدهشـة. ففي هذا البيت لن نجد ما يدلّ على زخارف الدنيا وزينتها، هو بيت بسـيط للغاية ليس فيه شيء من الأثاث والوسائل ذات القيمة العالية.

طبعـاً لا ينبغي لهذا الكلام أن يفهم على أنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان فقيراً، وهو الـذي حرّر آلاف الأشـخاص من أسـر العبوديّة، بل هذه العائلة هـي التي اختارت حياة الزهد، فكان كّل ما تملكه وقفاً على الفقراء والمعدمين، أمّا هم فقد ارتضوا الحياة البسيطة[٣].

(١) معرفة المدينة، ص١١٧.
(٢) سفينة البحار، ج٢، ص٣٧٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٤.

أمّا محتويات المنزل، فكان جهاز السـيّدة الزهراء عليها السلام الذي لم يُضَـفْ إليه بعد سـنوات أيّ شـيء على الإطلاق، وبالإضـافة إلى ذلك كان في البيت قضـيب وضعه الإمام عليه السلام بين طرفي المنزل يُستخدم لوضع الملابس عليه، جلد خروف وضع على الأرض، وسادة مملوءة بأوراق التمر، وأمّا باقي المحتويات فعبارة عن:

١- قميص قيمته ثمانية دراهم.

٢- غطاء رأس كبير قيمته أربعة دراهم.

٣- منشفة خيبريّة سوداء.

٤- سرير للنوم صنع من أوراق شجر التمر.

٥- أريكتـان مصـنوعتان مـن الكتّان المصـريّ إحداهما محشـوّة بـأوراق التمر والأخرى محشوّة بصوف الخروف.

٦- وسـادتان من جلد الجاموس محشوّتان بعشب ذي رائحة ذكيّة يطلق عليه اسم الأذخر.

٧- ساتر صوفيّ.

٨- قطعة من الحصير.

٩- طاحونة.

١٠- وعاء لغسل الملابس.

١١- قربة من الجلد لنقل الماء.

١٢- وعاء نحاسيّ لوضع الحليب.

١٣- وعاء جلديّ للماء.

١٤- ابريق للحمّام.

١٥- كوز ماء من الفخار الأخضر.

١٦- كوزان من الخزف.

١٧- قطعة من الجلد للفراش.

١٨- عباءة من القماش القطريّ[١].

مصير بيت فاطمة عليها السلام

ممّا يؤسف له أنّ هذا البيت وساكنيه تعرضوا للأذى بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فشهد حوادثَ مؤلمة.

إنّ هذا البيت الذي كانت رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنبعث منه، والذي كان محلّ عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد شهد على إغلاقه لسنوات على أهل بيته خلافاً لوصيّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحرموا الأمّة الاستفادة من فيوضات وبركات ساكنيه، لا بل هجموا على البيت للحصول على البيعة من عليّ عليه السلام، وأخيراً تمّ هدم البيت في زمان عبد الملك بن مروان بحجّة توسيع المسجد.

(١) حياة السيدة فاطمة، ص٥٦.

الباب السابع

مع القضية المهدوية

أفضل العلماء في عصر الغيبة

محمد حسن نبويّ

عن أبي محمّد عليه السلام قال: قال عليّ بن محمّد عليه السلام:

«لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالّين عليه والذّابّين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومَرَدته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله ولكنّهم الذين يمسِّكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عزَّ وجلَّ»[1].

كثيراً ما يفكر مبلغو الدين الذين أخذوا على عاتقهم نشر معارف الإسلام والترويج للدين وتربية أبناء البشر بما يجعلهم أتقياء عاملين بالتعاليم الإسلامية، ماذا يمكن العمل في أجواء غلب عليها النفاق وجعل البعض لا يفكّر إلّا بالدنيا الدنيّة لا بل جعل البعض يتجاوز كلّ الحدود الدينيّة من أجل مصالحه ودنياه، ماذا يجب العمل لننتقل في سلوكنا كمبلّغين من الواجب إلى الأوجب ومن المهمّ إلى الأهمّ لنحصل بذلك على رضا الله تعالى ونساعد الناس في تأدية تكاليفهم ليشملنا رضى صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.

إنّ الذي يمكنه المساعدة في هذا الإطار هو الرواية المتقدّمة التي يمكنها

(١) بحار الأنوار، طبعة بيروت، ج٢، ص٦.

أن تكـون دليلاً للمبلّغ في معرفة مسـير حركته ليصـل من خـلال ذلك إلى العالم السامي «أفضل العلماء» عند الله تعالى.

تعتبر الرواية المتقدمة أنّ نجاة وهداية البشـر من الضلال يتوقّف على نشاط العلماء الذين يمتلكون الخصائص الآتية:

دعوة الناس إلى الإمام عجل الله فرجه:

- الذيـن يدعون الناس إلى إمام زمانهم عليه السلام؛ هذه المسـألة التي أخذت تفقد بريقهـا اليوم في الأبحاث الاجتماعيّة والسياسـيّة والاقتصـاديّة المعاصـرة، فنسي البعض وجود إمام الزمان وتركوا دعوة الناس إليه.

إذا دعونـا النـاس إلى الإمـام عليه السلام وتوقّفنا تربيتهم على هذا الأسـاس، فإنّ هناك معياراً ـ يبيّن أنّ كلّ من كان سـلوكه وقوله وتصـرفاته مطابقةً لذاك المعيار فقد سلك في السبيل الصحيح.

إنّ الشـخص الـذي يعيش حالة الانتظار قد ربّى نفسـه بحيـث يكون جاهزاً لظهـور الإمام عليه السلام فيتـرك كلّ ميوله ليلتحـق به من دون تعليـل وتقاعس. إنّ الأشـخاص الذين يربّون أنفسهم على الانتظار لن يقعوا على الإطلاق في شرك التزوير والخداع والحرام والظلم والشهوات وبالتالي لن يقعوا في فخّ الشيطان. فـي هـذا الحال يكـون الانتظار أفضـل الأعمال التـي تقوم بها الأمّـة. جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج».

تعريف الناس بالإمام عجل الله فرجه «الدالين عليه»:

إذا كان الأفراد جاهلين بشخصيّة إمام الزمان عليه السلام، فعلى العلماء إرشادهم إليه.

إنّ ظهور المنجي والمصلح العالميّ من المسائل المتوافق عليها في الأديان. وفي الإسلام فإنّ ظهور مُنْجٍ باسم المهديّ بن الحسن من الحقائق التي لا يمكن إنكارها، لا بل جاء ذكر هذه الحقيقة في الكثير من مصادر أهل السنّة، وأمّا الشبهات الموجودة في هذا الخصوص فهي في المصداق.

نحن الشيعة نعتقد بأنّ الإمام حيّ وهو حجّة الله على الأرض، أمّا أصحاب المذاهب الأخرى فينتظرون ولادته وقيامه.

«والذابين عن دينه بحجج الله»:

الدفاع عن الدين: إن الدفاع عن دين الإمام عليه السلام، في زمن الغيبة هو من جملة رسالة العلماء الحسّاسة. هؤلاء يدافعون عن دين الله بالأدلّة الإلهيّة.

إذا رغب الشخص في الوصول إلى الأدلّة الإلهيّة وبالتالي الدفاع عن دين الله فعليه أن ينهل العلم من مدرسة الثقلين.

ليت أتباع الدين الإسلاميّ يرجعون إلى القرآن في الدفاع عن الدين ويبتعدون عن إبداعاتهم في هذا الخصوص، ويا ليتهم اطلعوا على أدلّة القرآن وأهل البيت في الدفاع عن أنفسهم وآمنوا بقدرة الإسلام على إثبات حقانيّته، ويا ليتهم تعلّموا من القرآن وأهل البيت أسلوب الدفاع عن الدين بدل اللجوء إلى الأدلّة الفلسفيّة الجافّة. هذا هو طريق العلماء المفضّلين في زمان الغيبة.

ألم يُوصِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في آخر حياته بالتمسّك بالثقلين للنجاة من الضلال؟ لماذا لا نلجأ إلى القرآن وأهل البيت في معرفة الطريق وأسلوب هداية أنفسنا وهداية الآخرين؟

«والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته»:

حِفْظُ الشيعة من المفاسد: أفضل العلماء في زمان الغيبة هم الذين يبذلون جهودهم لإبعاد الشيعة عن الأفخاخ التي نصبها الشيطان والتي نصبها الفاسقون، هم يعملون بكلّ طاقاتهم لإبعاد الناس عن المفاسد والمعاصي.

بما أنّ العلماء الحقيقيّين يعرفون الفساد من الصلاح والمفاسد من المصالح بناءً على النصّ القرآنيّ والروايات، كذلك يقف أتباع الشيطان في الطرف الآخر الذي يقف به العلماء لإيقاع الناس بالأفخاخ الشيطانيّة.

«.. ومن فخاخ النواصب»:

مواجهة أعداء أهل البيت عليهم السلام: من جملة وظائف العلماء في زمان الغيبة مواجهة شيطنة أعداء أهل البيت.

اليوم يعمل الوهّابيّون وهم ألدّ أعداء الشيعة، على إضعاف الشيعة خدمة لمصالح القوى العظمى، لا بل يقدّمون التعاليم التي تفوح منها رائحة مخالفة الشيعة. هؤلاء المنبوذون من جانب كافّة مذاهب أهل السنة، يتغلغلون في كافّة مناطق العالم بسرعة وهمُّهم الأساس إيجاد الفتنة بين السنّة والشيعة، حيث أرادوا بذلك إبعاد السنة عن الشيعة وتوفير الظروف المناسبة لاشتباكهما معاً.

إذا كان السنّة في القديم يشاركون الشيعة الذهاب إلى الحسينيّات لإقامة عزاء سيّد الشهداء، وفي بعض الحالات يبادرون إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام، فمع نشاط الوهابيّة أصبح هذا الأمر غير موجود على الإطلاق. هنا يُوجبُ العمل والجهد والاجتهاد وعلى العلماء أن لا يبخلوا ببذل الجهود لهداية الجميع، لأنّ في ذلك خدمة لدين الله تعالى.